الوافي

في تاريخ الأدب العربي في الاندلس
موضوعاته وفنونه

تأليف
الدكتور عمر ابراهيم توفيق

الطبعة الثانية

الفهرس

المقدمة
التمهيد
جغرافية الاندلس
تاريخ شبه الجزيرة الايبرية قبل الفتح الاسلامي
الفتح الاسلامي
تسمية الاندلس
مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الاندلس
المجتمع الاندلسي بعد الفتح الاسلامي
العادات والتقاليد الاجتماعية في الاندلس
عصور الاندلس الادبية
اهم مصادر الادب الاندلسي
دور المستشرقين في بعث التراث الاندلسي
الفصل الاول: العصر الاموي
عهد الولاة (٩٢-١٣٨هـ)
الشاعر ابو الاجرب بن جونة بن الصَّمة
الشاعر الخطار حُسام بن ضِرار
النثر
الخطابة
الكتابة
عهد الامارة (١٣٨-٣١٦هـ): القرن الثاني للهجرة
الظروف السياسية والاجتماعية
اتجاهات الشعر

الاتجاه المحافظ

الموضوعات الجديدة

الشاعر ابو المخشي عاصم بن زيد العبادي

حسانة التميمية

عباس بن ناصح الثقفي

عبد الرحمن الداخل

القرن الثالث للهجرة

الحالة السياسية والثقافية

الاغراض الشعرية

النقائض

وصف المعارك والحروب

الشاعر يحيى بن حكم الغزال

عهد الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ): القرن الرابع

توحيد الاندلس

النهضة العمرانية

ازدهار الثقافة

الشعر في القرن الرابع

الاتجاه المحافظ المتجدد

١- قصائد المديح ووصف المعارك والحروب

الشاعر ابن هاني الاندلسي

٢- شعر السجن

الشاعر الطليق المرواني

الاتجاه الحديث

الشاعر يوسف بن هارون

شواعر عصر الاموي
شاعرات القيان: الجارية العجماء، قمر، فضل المدنية، متعة
شواعر الحرائر: حفصة بنت حمدون الحجارية، عائشة بنت احمد القرطبية
عصر الفتنة (٣٩٩-٤٢٢هـ)
الظروف السياسية والاجتماعية
رثاء المدن التي خربت اثناء الفتنة
ابن شهيد ابو عامر
ابن حزم الاندلسي
النثر في العهد الاموي
مهنة الكتابة
الخطابة
المحاورات
حركة النقد
تنوع اساليب النثر
حركة التأليف الادبي
العقد الفريد لابن عبد ربه
طوق الحمامة في الالفة والالاف
رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد
الفصل الثاني: الادب في عصري ملوك الطوائف والمرابطين
عصر ملوك دول الطوائف
الحالة السياسية والثقافية
اهم الاغراض الشعرية
الغزل
ابن زيدون

المديح
ابن عمار
الرثاء
رثاء المماليك التي سقطت بيد المرابطين
الادب في عصر المرابطين
الحالة السياسية والثقافية
اهم الاغراض الشعرية
الزهد
النثر في عصر ملوك الطوائف والمرابطين
الخطابة – الرسائل و انواعها – وصف الطبيعة – المفاخرات – المفاضلات و المناظرات الادبية – كتب و رسائل وصف الرحلات، الزرزوريات – المقامات
الفصل الثالث: الادب في عصري الموحدين وبني الاحمر
الادب في حقبة الموحدين
توطئة تاريخية وثقافية
غزل الشواعر
رثاء المدن الساقطة بيد الافرنج
التصوف وشعراؤه
اهم شعراء عصر الموحدين
ابن سهل الاشبيلي
ابن جنّان الانصاري
الادب في حقبة بني الاحمر (الاندلس الصغرى)
مقدمة تاريخية
الحالة الثقافية
اهم الاغراض الشعرية

شعر النقوش والقصور
الشاعر ابن زُمرك
شعر الحكمة والموعظة
الشاعر ابن ليون التجيبي
شعر الاسر
الشاعر البسطي
المديح النبوي وشعراؤه
طبقات الشعراء
الشعراء الموظفون (شعراء البلاط)
لسان الدين لبن الخطيب
شعراء غير الموظفين
ابن خاتمة الانصاري
الفصل الرابع: الفنون الشعرية
شعر الطبيعة
المعارضات في الشعر الاندلسي
ابن عبد ربه الاندلسي
تعدد القوافي – المزدوجات – المربعات – المخمسات – المسمطات – الملمعات
الزجل واعلامه
الموشحات
اثر الادب الاندلسي على الادب الاوربي
اثره على الشعر الاوربي
اثر اللغة العربية على اللغة الاسبانية وغيرها
اثر القصص الشرقية على القصص الاوربية

القصص الوعظية – القصص الخرافية – قصص الشطارة – قصة بوذا – قصة حي بن يقظان لابن طفيل

الفهرست

المقدمــة

بعد سنوات طويلة من تدريس مادة الأدب الأندلسي رأيتُ أن أضع كتاباً جامعاً وافياً لطلبة الجامعات، وان يكون منهجاً مقرراً، ومكملاً لجهود الأساتذة الذين سبقوني في ميدان التدريس، عوضاً عن الملخصات الموجزة أو الكتب المتفرقة التي تفصل في عصر دون عصر آخر، وقد حاولت جهد إمكاني أن أسير على وفق المفردات المقررة من قبل وزارة التعليم العالي العراقية وبخط تاريخي من الفتح حتى السقوط دون أن أهمل أو أتغافل عن أي نشاط أدبي في تلك الفترة الطويلة، بالبحث أو الدراسة أو الاشارة أو التذكير في الهوامش استناداً الى ثقله الأدبي ومساحته التأثيرية لغرض فتح الباب واسعاً أمام الباحثين لمن يريد الاستزادة منطلقاً من المعلومات الواردة في كتابنا هذا، ولاسيما إن ميدان الدراسة ما زال خصباً وبكراً في بعض عصوره، وأملي من عملي هذا خدمة طلبتنا الاعزاء بتقديم ما يساعدهم في تكوينهم الثقافي، اضافة الى ان المادة المدونة تعد ضرورية لكل مِن يريد الاطلاع على الحضارة الاندلسية التي ارست لبنات كبيرة في صرح الحضارة العالمية.

والله هو الموفق

استاذ اول

د. عمر ابراهيم توفيق

جامعة كركوك / العراق

تقريظ الكتاب

عاش الاندلسيون في ربوع بلاد جميلة، فتنت الطبيعة ساكنيها، فانبرى اكثرهم الى التغني بجمالها ووصف مفاتنها الغنية بمواردها، خضرة غاباتها، وزرقة سمائها، وصفاء اديمها.وخصوبة تربتها، هذا الامر دفع ساكنيها وحتى الوافدين اليها تحت فضاءات النعمة والخير الى التصرف العقلاني بما رزقهم الله و عزهم في ديارهم بانشاء حضارة امتد تاريخها من القرن الثاني الهجري وحتى نهاية القرن التاسع، فانبثق تاريخ حافل بالفكر والادب فاضحت منارا وكوكبا لامعا مضيئا في سماء غشيت بالظلمة وانطفاء بصيص الامل فيما جاور هامن الدول الاوربية التي كانت تغص في الجهل و الامية، فاضحت الاندلس من وقتها تشع نورا وعلما فيما جاورهاوتنتشل من غرقوا في دياجير التخلف.

فالحضارة الاندلسية شعت بنورها في ارجاء القارة الاوروبية و مهدت فيما بعد لنشوء الحضارة الاوروبية على اشلاء الاندلسيين، وكعادة الاوروبين دائما انهم انكرو الدور الاندلسي، فاحرقوا المدن واستملوا الارض والعرض فلن يتوانى التاريخ في عرض صفحات جرائمهم وبما جنت ايديهم و هم يحاصرون المدن الاندلسية وينزلون على اهلها جام غضبهم الاهوج ضد شعب امن كانت بالامس تمتد اياديهم لتزيل البؤس والجهل عن جبين الاوربي حين كانت جموع طلابتهم تفد الى ارض الاندلسي، ليغرفوا من بحارعلومها وتتنور عقولهم من واحة عقل المعلم الاندلسي، اذ شعّ ادبا وعلما وفناً، وستبقى الحضارة الاوربية التي يتشدقون اليوم بعظمتها مدينةالى يوم يبعثون الى الاندلسين فقد احسنوا اليها، وقال المنصغون من الاوربيين بتاثر لغاتهم وادابهم وحتى نتاجا ئهم القصصية بلغة الاندلييسن وادبهم العربي العتيد.

من هنا يأتي حديثنافي الاشارة الىالادب الناجح ضمن الدراسات الادبية، فهو الذي يكون صدى لبيئته مصورا جوانب شتى من اجتماعية وجغرافية و سلوكية وعلمية...، لان البيئة الاندلسية قد لونت هذه الحضارة و من ثم ادبها الذي اختزل

الوانه من البيئة الاخاذة، على الرغم مما أزعم تأثره بالادب المشرقي قرونه الاولى، فنبغ فيها شعراء وعلماء وكتاب واصطبغت نتاجاتهم بجمال طبيعة بلادهم، لذا ظهرت اتجاهات لدراسة هذا الادب لوفرة نتاجاه وتلونه بالوان زاهية، فمن المحدثين من تناول دراسته حسب منظور معين واشبعه بحثا ودراسة، ومنهم من جزأ دراسته لفترة محددة دار في فلكها، ولاننسى دور الاساتيد الرواد الذين سبقونا بحثا وتحقيقا نشرا للمخطوطات فلهم مناكل التقدير والتبجيل، ..ودراسة الاستاذ الدكتور عمر ابراهيم توفيق من اجل الدراسات للادب الاندلسي، فحين حاول الاحاطة بكل الجزئيات سارع الى تسمية مؤلفه بالوافي؛لانه فعلا لم يترك شاردة او واردة الا واشبعها تقصيا وبحثا، فاحرى ان يستفيدمنها طلبة الدراسات الاولية وطلبة الدراسات العليا، فهو لم يترك جزئية الا ووثقها بما توافرت لديه من مصادر ومراجع قديمة وحديثة، فهو كتاب مهم لاغنى لباحث الادب ولاسيما الاندلسي، فهو بحق يمتاز بدقة مؤلفه وبراعته في انتقاء المعلومات وتقليبها على اوجهها المختلفة حتى يضمنها كتابه، فعلى الدارس ان يقرأ ما بين السطور ليتفهم الجهد المبذول في اخراج هذا الكتاب. فكان لي شرف مراجعة الكتاب بعد طبعه الاولي وتصويب اخطائه المطبعية وتنقيح اشعاره، وعذرا من القارئ الكريم اذ اغفلت هفوة هنا وهفوة هناك، ورحم الله العماد الاصفهاني اذ قال في معجم الادباء: "اني رأيت انه لا يكتب انسان كتابا في يومه الا قال في غده لوغير هذا لكان احسن ولو زيد كذا لكان يستحسن ولو قدم هذا لكان افضل ولو ترك هذا لكان اجمل، وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

واخيرا اشدّ على يد الاستاذ الدكتور عمر ابراهيم توفيق على تأليفه وهذا غيض من فيض،فهو مشهود بابحاثه وكتبه وحكمته في الاعمال الادارية في الجامعات المختلفة

الدكتور

عبد اللطيف يوسف عيسى

استاذ الادب الاندلسي المساعد
كلية التربية/جامعة
كركوك

التمهيـــد

١ - جغرافية الأندلس: -

الأندلس: شبه جزيرة تقع في الجنوب الغربي من أوربا وتشمل حالياً دولتي اسبانيا والبرتغال، وكانت تطلق على المناطق الخاضعة لحكم المسلمين من شبه جزيرة ايبريا، تحيط المياه بها عدا جانباً واحداً هو الشمال الشرقي الذي يربطها ببقية اجزاء اوربا، وتحدها جبال البرانس (برتات) التي تفصلها عن فرنسا والتي جرت على سفوحها قرب بواتيه معركة بلاط الشهداء (١١٤هـ - ٧٣٢)، فمن الشمال الغربي والغرب يحيطها المحيط الاطلسي الذي كان يعرف ببحر الظلمات او البحر الاخضر ومن الشرق والجنوب البحر الابيض المتوسط الذي كان يعرف بالبحر الرومي، ثم مزيج من مياه البحر والمحيط في الجنوب حيث مضيق جبل طارق، ملتقى البحر بالمحيط والفاصل بين افريقيا وأوربا والذي يبلغ في اضيق مواضعه خمسة عشرة كيلو متراً.

ويؤلف سطح الاندلس هضبة كبيرة في الوسط تسمى " مسيتا " وسلاسل جبلية من الجنوب الشرقي والغرب تضم وديانا وانهاراً وسهولاً منبسطة، وفي الغرب تنحدر الهضبة حتى تنتهي الى سهل ممرع كبير اخضر، وشبه الجزيرة غنية بالانهار أهمها: المنيو، ودويرة وهو كثير الفروع غزير المياه يمر عبر اراض خصبة، ونهر تاجو وتقع عليه مدينة طليطلة " العاصمة القديمة " ومدينة مدريد عاصمة اسبانيا الحالية ويصب عند لشبونة " اشبونة عاصمة البرتغال الحالية "، ونهر آنه وتقع عليه مدينة بطليوس، ونهر الوادي الكبير وتقع عليه قرطبة واشبيلية ويتفرع منه نهر الى مدينة غرناطة ونهر لكه بالقرب من قادس وجميعها تصب في

المحيط الأطلسي بينما تصب في البحر المتوسط أنهار عدة اهما إبرو و هو متعدد الفروع غزير المياه، ينبع من شرقي اقليم قشتالة ويمر بإقليم أراجون وسرقسطة وقتلونيا ويصب عند طرطوشة قرب مدينة برشلونة عاصمة الاقليم، ونهر الوادي الابيض يصب عند بلنسية ونهر شُقورة (سجورا) الذي يصب شمال دانية و هي منطقة خصبة جداً وتقع عليه مرسيه اضـافة الى نهري اندرش والبُشرات[1]، ويروي المقري عن بعض المؤرخين أنه كان يشق الاندلس أربعون نهراً كبيراً وبها من العيون والحمامات والمعادن ما لا يحصى[2].

وشبه الجزيرة مختلفة الطبيعة، واحسنها مناخاً المناطق التي خضعت لحكم المسلمين في السهول الجنوبية والشرقية والغربية والتي اثرت على نتاجات الشعراء الذين عاشوا في تلك السهول، ومناخها متباين لاختلاف اقاليمها، فمناخ الاقاليم في الشرق مناخ البحر المتوسط من حيث سكانها ونباتاتها وحيواناتها، والاقاليم في الغرب خاضعة لمناخ المحيط الاطلسي ونباتاته وحيواناته وغاباته بينما التي تقع ضمن الهضبة الكبرى قليلة الخصوبة مناخها قاري في الشتاء شديدة البرودة كثير العواصف والثلوج وفي الصيف شديدة الحرارة على عكس المناطق الاخرى التي تتصف بالاعتدال، وقد وصفها ابن سعيد "... إنها جنة الدنيا بما حباها من اعتدال الهواء وعذوبة الماء وكثافة الافياء.. " [3] لذلك اختلفت الطبائع والحاصلات، و هي حالياً منطقة سياحية متميزة بجزر ها ومياهها وانهار ها ومرافقها وفيها اماكن اثرية كثيرة تعود الى حقبة المسلمين التي امتدت الى ما يقارب من ثمانية قرون.

٢ - تاريخ شبه جزيرة الايبرية قبل الفتح الاسلامي: -

---

[1] الأدب الاندلس من الفتح الى سقوط الخلافة ، د. احمد هيكل : ١٦ ،دراسات اندلسية عبد الواحد ذنون طه :٢٠ ، عصر الدول والامارات : ١٣ ، شوقي ضيف وغيرها .

[2] نفح الطيب : ٢٢٦/١ .

[3] نفح الطيب : ١٨٢/١ .

يعد الايبريون من اقدم سكان اسبانيا وقد اختلط بهم قديماً السلتيون، فنشأ من هذا الاختلاط الشعب الاسباني ثم اهتدى الفينقيون الى شبه الجزيرة، فنزلوا بها وتبادلوا التجارة مع اهلها واغرتهم خيراتها بالاقامة في بعض اقاليمها، واسسوا مدناً فيها مثل مدينة قادس، وكان ذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد[1]، وكانت مدينة طالقة (إتاليكا) دار حكم لهم بعد ان استمرت فترة نفوذهم مدة تزيد على مئة وخمسين عاماً، وبعدها تعرضوا لهجمات اليونانيين بقيادة ملكهم " اشبان بن طيطش " وخربوا مدينة

طالقة وبنوا مدينة جديدة لهم باسم: اشبيلية (سفيليا) "، ونقلوا اليها ما غنموها في الشرق من الذخائر والنفائس[2] ثم وفد الاغريق على شبه الجزيرة في القرن السابع قبل الميلاد واقاموا في الجهات الشرقية وأسسوا مدناً عدة بقي بعضه حتى الآن كمدينة برشلونة وبعدها وقعت الجزيرة منذ سنة ٥٣٥ ق. م حتى سنة ٢٠٥ تحت تأثير الفينقيين القرطاجنيين .

وفي القرن الثاني (ق. م) تعرضت الجزيرة لغزوات الرومان بعد ان تغلبوا على دولة قرطاجنة وورثوا ملكها، واصبحت ولاية رومانية، وغلبت اللاتينية على اللغات الاخرى وانتشرت المسيحية فيها واطلقوا عليها اسم " اسبانيا " واشاعت فيها حضارتها الى ان سقطت في القرن الخامس للميلاد بيد قبائل القوط الذين هاجروا اليها من شبة جزيرة ايطاليا، وقاموا بتوحيد اسبانيا تحت حكمهم، واصبحت وحدة سياسية واحدة عاصمتها " طليطلة " وبعدها في القرن السادس للميلاد اصبحت مسرحاً لحروب اهلية عنيفة بسبب الخلافات الدينية بين حكامها القوط والسكان المحليين وبسبب الصراع على السلطة، فقد كان القوط مسيحيين آريين لا يعتقدون بإلوهية المسيح ولا يرون للقساوسة حقاً في الوساطة بين الله تعالى والناس، ويحاربون سلطان القساوسة الروحي على نقيض سكانه الأصليين الذين كانوا

[1] الأدب الاندلس من الفتح الى سقوط الخلافة : ٢١-٢٢ .
[2] تاريخ الجهاد الاسلامي في الاندلس : ٢٢ ، د. عبد الحميد حسين احمد السامرائي .

يعتنقون الكاثوليكية، وفي سنة ٥٨٧ للميلاد اعتنق الملك ريكاردو المذهب الكاثوليكي واصبح المذهب الرسمي للدولة[١] وبعد وفاة الملك "غيطشة " سنة ٧٠٨م تناحر افراد العائلة الحاكمة واستقل كل طرف بناحيته وشاعت الفوضى والاضطرابات مما دفع كبراء القوط بانتخاب مجلس شيوخ واعيان انقاذاً للموقف، فانتخبوا " الملك لذريق " خلفاً للملك المتوفى، ولم تنعم الجزيرة بالهدوء، اذ بقيت الاستقراطية الرومانية القديمة مسيطرة على طبقات المجتمع، وكان هناك مجلس صوري من النبلاء لمساعدة الملك في الحكم في ظل صراع شديد بين القوط وسكان البلاد الأصليين من جهة وبين لذريق وعائلة الملك السابق، وكان هذا سبباً في الوهن الذي دب في الحكم الذي مهد للفتح الاسلامي[٢].

٣ - الفتح الإسلامـــي: -

بعد أن بسطت جيوش المسلمين سلطانها على شمال افريقيا اذ استمر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي) الى عهد الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك تطلعوا الى فتح الاندلس لنشر الدين الاسلامي وللعوامل الآتية: -

أ – ايجاد مجال جديد للقوات التي تجمعت تحت امرة موسى بن نُصير بعد سيطرتهم على شمال افريقيا[٣].

ب- تشجيع ييليان حاكم سبتة لابعاد جيش المسلمين عن فتح مدينته والثأر من لذريق الذي اغتصب السلطة في شبه جزيرة ايبريا من مواليه اسرة الملك غيطشة واعتداؤه على ابنته حسب ما تذكر بعض المصادر [٤].

ج- تشجيع ابن غيطشة ملك الاندلس السابق الذي كان يقيم مع ييليان ويتطلع الى اعادة كرسي الحكم في الاندلس.

---

[١] فصول في الأدب الاندلسي : ١٥ ، د. حكمة الاوسي .
[٢] تاريخ افتتاح الاندلس : ١ ، ابن قوطية .
[٣] فصول في الأدب الاندلسي : ٢٣ .
[٤] البيان المغرب ٢: ٩ ، ابن عذاري .

د – تشجيع اليهود الذين هاجروا من اسبانيا الى شمال افريقيا وكانوا يشكلون فريقاً كبيراً عظيم الثروة، عانوا الاضطهاد على ايدي السلطة ورجال الكنيسة ولاسيما في أواخر القرن السابع حين اصدر مجمع طليطلة – وهو مؤسسة تشريعية تتكون من أمراء العرش وكبار رجال الدين – قرارات باعتبارهم خارجين عن سلطان الدولة وأوامر بنزع ممتلكاتهم وحرمانهم من حرياتهم، وفصل اطفالهم لتربيتهم في بيئة مسيحية ومن ثم طردهم الى المغرب[١].

هـ - تردي الاوضاع السياسية والعسكرية في الاراضي الاسبانية.

و – الحصول على الغنائم والعودة الى افريقيا إن لم تسر الامور بيسر.

استأذن الوالي موسى بن نُصير الخليفة الاموي في دمشق الوليد بن عبد الملك الذي اجابه "خضها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال "[٢]

فأرسل احد محاربيه واسمه طريف بن مالك المعافري على رأس قوة تتألف من (٥٠٠) مقاتل، منهم (١٠٠) فارس، عبر المضيق على سفن قدمها حاكم سبته، ونزلت جنوب شبه الجزيرة في موضع يحمل اسمه الى اليوم، وعاونه انصار بيليان وحلفاؤه ابناء الملك غيطشة، وغزا الساحل الممتد بين صخرة جبل طارق ومرفأ الجزيرة الخضراء وعاد بالوافر من الغنائم[٣] وفي السنة التالية ارسل جيشاً كبيراً بقيادة طارق بن زياد وهو بربري من قبائل نفرة، اعتنق ابوه الاسلام وانضم هو الى جيش المسلمين، وعبر المضيق الذي سمى باسمه فيما بعد، ونزل في جنوب شبه الجزيرة، وكان عبوره على سفن حاكم سبته برفقة ادلائه، وهزم كل الحاميات التي تعرضت له، ووصل نبأه الى ملك القوط " لذريق " فاعدّ جيشه واتجه جنوباً والتقى

---

[١] تاريخ الدولة الاموية في الاندلس : ١٨ ، عبد المجيد نعنعي .
[٢] تاريخ الدولة الأموية في الأندلس : ٥٠ .
[٣] فصول في الأدب الاندلسي : ٢٥ .

بجيش طارق الذي كان يضم ما يقارب اثنى عشر ألف مقاتل ومعهم يوليان في جماعة كبيرة من أهل البلد ودامت المعركة ثمانية أيام، وكان لاولاد غيطشة وانصار يوليان دور بارز في التأمر على لذريق واضعاف جيشه، فانتصر المسلمون واعوانهم واختفى الملك لذريق، وذكرت مصادر أنه قتل، وقالت اخرى إنه ألقى بنفسه في مياه النهر وما عثر له على اثر[١] ثم تقدم المسلمون واحتلوا قرطبة وطليطلة العاصمة وصارت للمنتصرين غنائم عظيمة [٢] وبعدها عبر موسى بن نصير الى الاندلس وسلك طريقاً آخراً واخضع في طريقه عدداً من المدن والاقاليم هي: شذونة واشبيلية وماردة حتى وصل طليطلة فاجتمع بجيش طارق، وفي قمة الانتصارات، استدعىَّ الخليفة موسى بن نصير الى دمشق على ان يكون بصحبة طارق، فاوقف موسى الزحف وعاد الى الجنوب وولى ابنه عبد العزيز على البلاد واتجه الى دمشق سنة ٩٥هـ - ٧١٤م [٣] بترك منطقة شعاب جليقية بيد الاسبان، وهي منطقة جبلية وعرة تقع في اقصى شمال الغربي فوفد عليها الجنود الاسبـــان الذين فروا من المعارك لتتكون فيها اولى خـلايا المقاومة ضد الوجود الإسلامي وتنطلق منها موجات ما يسمى " الاسترداد " التي استمرت طيلة فترة الحكم الإسلامي[٤].

٤ - تسمية الأنـدلس: -

تطلق على الجزء الاسلامي من شبه جزيرة أيبريا نسبة الى الايبيريين الذين سكنوا هذه البلاد وتتكون في الوقت الحاضر من دولتي اسبانيا عاصمتها " مدريد " والبرتغال عاصمتها " لشبونة " وكلمة الاندلس مشتقة من اسم قبائل " الوندال " الذين سكنوا شبه الجزيرة مقابل الساحل الافريقي، وكانت تطلق كلمة " فندلسيا او اندليسيا

---

[١] البيان المغرب ٢ : ١٧ ، ابن عذاري .
[٢] فجر الاندلس : ١٩ ، حسين مؤنس ، كتاب الاكتفاء : ٤٨ ، ابن الكردبوس .
[٣] الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة : ٢٧ ، د. منجد مصطفى بهجت .
[٤] نفح الطيب ١ : ٢٧٦ ، الامامة والسياسة ٢: ٦٨ المنسوب لابن قتيبة .

" على موطن هذه القبائل، والارجح ان البربر سموا تلك الجزيرة بهذه الاسم بعد تحوير كلمة فندلس الى اندلس من باب تسمية الكل باسم الجزء.

٥ - مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية في الاندلس: -

كان المجتمع الايبري قبل الفتح مؤلفاً من عناصر مختلفة تضم الأصليين من الايبريين الذين يرجعون الى جنس من البربر الذين استوطنوا شبه الجزيرة منذ اقدم العصور قادمين اليها من شمال أفريقيا وأطلق عليهم اسم الموريين وهي لفظة إغريقية [١] واليونانيين والقرطاجيين والرومان والوندال والقوط تبعاً لموجات الغزو التي تعرضت لها الجزيرة.

وفي القرن الخامس ق. م تلقت الجزيرة المؤثرات الحضارية اليونانية، وتلقى القسم الجنوبي منها المؤثرات القرطاجنية لتتفاعل وتتعايش أبهى الحضارتين ومن ثم تُتوج بالحضارة الرومانية وآدابها وتنتشر بين أهلها شرائح روما وقوانينها وتعمر مدنها بروائع الفنون الرومانية على الرغم من موجات الغزو الجرماني من الشمال وقبائل الفندال ومن ثم قبائل القوط الذين سيطروا على شبه الجزيرة [٢]، لتتكون الجزيرة من امتزاج سكان ايبريا القدامى وبقايا القبائل الجرمانية والعنصر القوطي، وكان المجتمع يتكون من العائلة الحاكمة وكان يرتكز على الملكية الانتخابية ضمن العائلة الواحدة، وطبقة ارستقراطية رومانية قديمة متحالفة مع العائلة الحاكمة للمحافظة على نفوذهم وثرواتهم، وطبقة رجال الدين التي كانت تستمد قوتها من تدين الشعب، وكان لهم دور في توجيه القوانين والتشريعات والتدخل في الامور السياسية والعسكرية، والسيطرة على الاراضي الزراعية الخصبة، وجمع ثروات عقارية مالية كبيرة، والطبقة العامة من سكان المدن والتجار والحرفيين وبعض المزارعين

---

[١] فصول من الأدب الاندلسي :٣٥ .
[٢] تاريخ الدولة الاموية في الاندلس :١٦

الاحرار، اضافة الى طبقة العبيد واقنان الارض وكانوا يعملون في مزارع الاشراف ورجال الدين في ظروف قانونية واجتماعية واقتصادية سيئة جداً[١].

اما الحياة الثقافية فقد كانت فيها حصيلة طيبة من العلوم والفنون، شارك فيها الفينقيون واليونان والرومان والقرطاجنيون مما جعلها بذرة نشطة في التربة الاسبانية مفسراً الازدهار الفكري السريع ما بعد الفتح الاسلامي في امتزاج بين الحضارات الاوربية القديمة والحضارة الاسلامية المشرقية، وبرز في الحكم القوطي شخصيات لامعة كالقديس ايسيدورو الاشبيلي (٥٦٠-٦٣٦م) الذي الف كتاباً بعنوان " اصول الكلمات " وهو كتاب موسوعي حاول مؤلفه ان يضم فيه ما وصل اليه من علوم اليونان والرومان بطابع مسيحي، وتكلم فيه عن انواع المعرفة الانسانية التي كانت معروفة في عصره[٢]

المجتمع الاندلسي بعد الفتح الاسلامي: كان المجتمع الاندلسي يتكون من سكان البلاد من الايبريين واليونانيين والرومانيين والقرطاجنين والجرمان والقوط الذين اصبحوا خليطاً متجانساً بطابع روماني[٣] والعرب الذين دخلوا الاندلس على شكل موجات متتابعة سموا بـ ((الطوالع)) وأولهم الذين رافقوا موسى بن نصير وكانت تضم اثنى عشر الفاً او ثمانية عشر الفاً، وطالعة مع بلج بن بشر القيسي في سنة ١٢٣ للهجرة وكان عدد افرادها ما يقارب عشرة الاف، واستوطنوا في الاراضي الخصبة وسموا بالبلديين، وجاء بعدهم الشاميون، ونافسوا البلديين، فشب النزاع بين القيسية واليمنية وقسموا البلاد الى اقاليم، مثل اقليم همدان اليمامى واقليم بني سعد واقليم بني اوس... واقاليم للبربر الذين رافقوا طارق بن زياد، مثل أقاليم زناتة ومصمودة وصنهاجة... واستمرت هجراتهم جماعات وافراد من شمال افريقيا[٤]، وكان من الاخطاء الاستراتيجية اخذ الاراضي من السكان الاصليين وتوزيعها على

---

[١] تاريخ الدولة الاموية في الاندلس : ٢٢ .
[٢] فصول في الأدب الاندلسي : ٢٠ .
[٣] فجر الاسلام :٣٦٦ ، تاريخ المسلمين : ١١٩-١١٣ ، د. عبد العزيز سالم .
[٤] فصول في الادب الاندلس : ٣٥ ، كتاب البلدان : ٣٥٤ ، اليعقوبي .

الفاتحين فقد احتفظ موسى بن نُصير بخمس الاراضي حصةً للخلافة ووزع الباقي على جنوده مما ولد ضغينة بين الطرفين وكانوا ينظرون الى الفاتحين نظرة صاحب الارض الى الدخيل المغتصب[1] وكان سبباً في الثورات المستمرة وعدم انتشار الاسلام الى ما وراء حدود جبال البرانس[2] وارتداد عنه بعد سقوط المدن الكبرى.

وكان معظم الفاتحين من الجنود، وقد اعجبوا بجمال الاسبانيات والصقلبيات اللاتي اتخذوهن نساءً لهم احراراً وجواري وتولدوا منهن جيلاً جديداً سميوا بالمولدين، ولنتيجة التسامح الديني الذي بثه الاسلام في اتباعه، اعتنقت اعداد كبيرة من اهل الذمة من النصارى واليهود الاسلام، وتولدت لديهم نزعة وطنية عصبية لسكان البلاد الاصليين فقاموا بثورات كثيرة لاسترداد السلطة مثل ثورة عبد الرحمن الجليقي في بطليوس وثورة عمر بن حفصون في ببشتر[3] ولو قدر لهم النجاح والاحتفاظ بهويتهم وتراثهم الاجتماعي والثقافي لترسخ جذور الاسلام في الاندلس كما حصل في المشرق الاسلامي وربما عبر الحدود الى باقي اوربا مغيراً وجه التاريخ.

وكان النصارى يعاملون معاملة حسنة وكانت لهم كنائس ومدارس خاصة بهم ولهم قاض يتولى شؤونهم الشخصية وما حدثت من فتنة دينية في عهد عبد الرحمن الاوسط والتي اثارها بعض القساوسة ورهبانهم عابرة، وكان قسم منهم قد قبلوا بعض العادات الاسلامية مثل الختان وعدم اكل لحم الخنزير والملابس الاسلامية وسموا بـ " المستعربين " واحتفظ عدد كبير من المولدين الذين دخلوا الاسلام باسماء اسرهم القديمة كابن بشكوال وبنو قومسى وبنو مرتين وبنو غرسية .

---

[1] الادب العربي في الاندلس : ٣٦ ، د. علي محمد سلامة .

[2] بخلاف ما قام به الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) عندما فتح العراق والشام وبلاد الفارس وكوردستان .. وابقى الاراضي بيد سكانها على ان يدفعوا الخراج لمن يدخل الاسلام اسوة بالمسلمين الاخرين والجزية لمن يبقى على دينه السابق مما ادى الى دخولهم الاسلام افواجاً وحمل راية الاسلام ونشرها الى ما وراء النهر واواسط اسيا ... والاخلاص للدين الاسلامي دون الارتداد عنه .

[3] الدول والامارات : ٤٦ ، شوقي ضيف .

اما اليهود قد وجدوا ضالتهم في بلاد الاندلس فسمحوا لهم بمزاولة التجارة وحرية التملك وكان القوط قد سلبوهم هذه الحقوق وقد اشتغل كثير منهم بالعلوم والاداب والفلسفة وتبوأ بعضهم مناصب وزارية مهمة ولا سيما الوظائف المتعلقة بالمالية وما حدث لهم في مملكة غرناطة في حكم بلقين من باديس بن حبوس قبيل دخول المرابطين في نهاية عصر ملوك الطوائف فيدخل ضمن الفوضى التي اتسم بها ذلك العصر ورد فعل على كلام الوزير اليهودي ابن نغريلة الابن في الاساءة الى الرسول الكريم[1] واطلق مصطلح " الصقالبة " على الاطفال الذين كانوا يجلبون من اوربا شراء او سلباً وتقوم الدولة بتربيتهم تربية اسلامية ثم ينخرطوهم في الجيش حتى وصل بعضهم الى اعلى المراتب ولاسيما في عهد ملوك الطوائف مثل مجاهد العامري امير دانية والجزائر الشرقية، كما اطلق كلمة " مدجنون " على مسلمي المدن الرئيسة التي سقطت بيد الافرنج بعد معركة العقاب (٦٠٩للهجرة) في نهاية حكم الموحدين والمورسكيين على المسلمين المتبقين في الاندلس بعد سقوطها سنة (٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) [2].

العادات والتقاليد الاجتماعية في الأندلس.

كانت هناك عوامل رئيسة اثرت على طبيعة المجتمع الاندلسي وهي: -

١- الطبقة الرومانية الارستقراطية التي كانت صاحبة الجاه والمال.

٢- الطبقة العربية الارستقراطية التي ظهرت من البلديين الذين سيطروا على معظم الاراضي الخصبة وبنوا لانفسهم في المدن والضواحي دوراً وقصورا وبساتين وتجمعت في ايديهم اموال ضخمة وجواري وعبيد

٣- طبيعة شبه الجزيرة من خصوبة الاراضي وكثرة المياه والانهار واعتدال الهواء التي صقلت المجتمع الاندلسي.

---

[1] الادب الاندلسي : ١٤٢ ، منجد .
[2] النفح : ٣ : ١٥٦ .

٤- تعدد الاجناس والاصول العرقية مولداً نوعاً من التمازج الاجتماعي المبني على المدنية والحضرنة.

٥- امتزاج الحضارات الاوربية القديمة مع الحضارة الاسلامية المشجعة للنظافة وطلب العلم والمعرفة.

٦- تجمع الاموال وكثرة الخيرات ولاسيما في المدن المطلة على الانهار والمحيطات.

٧- كثرة الجواري وما يرافقها من دور للقيان ومدارس لتعلم الرقص والغناء وآداب المجالسة وشيءٍ من العلوم المختلفة، ولمعرفة طبيعة المجتمع الاندلسي يرجى الرجوع الى كتاب النفح للمقري التلمساني الذي احتوى على ثلاث رسائل في فضائل الاندلس لابن حزم وابن سعيد والشقندي[١] وكتب المصنفات والرحلات التي الفها مشارقة زاروا الاندلس مثل ابن حوقل (٣٠٦ هـ) في كتابه " صورة الارض " الذي ضمنه وصفاً تفصلياً للحياة الاجتماعية والاقتصادية في عصر الخلافة الاموية في الاندلس وتعجبه من اختلاف طبيعة الحياة في الاندلس عن المشرق[٢].

وقد فصلنا في كتابنا " صورة المجتمع الاندلسي في القرن الخامس للهجرة "[٣] تلك العادات والتقاليد والتي يمكن تلخيصها كالاتي: -

١- **النظافة " جاء في النفح عن فضائل أهل الاندلس "** أن اهلها اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون... وفيهم من لا يكون إلا ما يقوته يومه فيطويه صائماً ويبتاع صابوناً يغسل به ثيابه[٤]. وكان عدد الحمامات

---

[١] النفح : ٣ : ١٥٦-٢٢٢ .

[٢] للمزيد ينظر بحث " الاندلس من خلال كتاب صورة الارض لابن حوقل ، د. عبد الواحد ذنون طه ، دراسات اندلسية : ١١٤ ، مكتبة وسام ، الموصل ، ١٩٨٦ .

[٣] صورة المجتمع الاندلسي : ١٥٣-١٥٩ ، د. عمر ابراهيم توفيق ، دار غيداء ، الاردن .

[٤] النفح ٣ : ١٥٦ .

في عهد المنصور بن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ) في قرطبة تسع مئة حمام، لذلك تكرر ذكرها في قصائد الشعراء ووصفوا نعيمها وحسن تنسيقها[١].

٢- التأنق والتجمل في المظهر والملبس والحرص على الروائح العطرية والكحل والحناء وقد فصل المقري عن زيهم في السلم والحرب.

٣- **العمارة:** شوارعهم في المدينة كانت مرصفة وفي الوسط مجرى مركزي مغطى تصب فيه المياه القذرة، وكان هنالك نظام خاص لجمع النفايات وحملها الى خارج المدينة بعربات تحمل نواقيس تنبيها للناس، وشوراعهم كانت منورة تضاء ليلاً... وبيوتهم كانت تراعى فيها جمال العمارة والتنسيق، وفي كل بيت حديقة وان كانت صغيرة، واهتمامهم بالورود والرياحين والتباهي بامتلاكها وبعثها الى أصدقائهم للدلالة على المودة والاحترام ومن ثم وصفها شعراً، ولابي اسماعيل بن حبيب الحميري كتاب " البديع في وصف الربيع " يصف فيه الورود المختلفة[٢].

٤- **التدبير والعمل:** كان الأندلسيون اهل احتياط وتدبير وحفظ لما في ايديهم خوف ذل السؤال دون الوصول الى حد البخل لذلك رفضوا التسول والاستعطاء واعتكفوا على العمل وكسب الرزق " واذا رأوا شخصاً صحيحاً قادراً على الخدمة يطلب سبوه واهانوه فضلاً من ان يتصدقوا عليه فلا نجد بالاندلس سائلاً إلا أن يكون له عذر "[٣].

٥- **العلم والمعرفة:** العلم عندهم مقدر والعالم معظّم من الخاصة والعامة قال المقري: " وسمة الفقيه عندهم جليلة " وقد اشار المستشرق الهولندي دوزى الى ان كل فرد في الاندلس كان يعرف القراءة والكتابة[٤] وانهم

---

[١] ينظر : صورة المجتمع الاندلسي : ١٥٤ .

[٢] البديع في وصف الربيع ، ابو اسماعيل بن حبيب الحميري ، تحق هنري بيرس ، الرباط ، ١٩٤٠ .

[٣] النفح ٣ : ١٥٧ .

[٤] الحضارة الاسلامية في الاندلس : ٢٨ .

حرصوا على تعليم ابنائهم وبناتهم منذ الصغر، وكان مظهراً من مظاهر التمدن وقد روى ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة شلب " قلّ أنْ ترى من أهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الادب ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر، قرض من ساعته ما اعترض عليه " [١] وكان هنالك في كل بيت مكتبة خاصة، اضافة الى المكتبات العامة التي كانت يعمل فيها امهر المجلدين والرسامين والمصححين الذي يقومون بمقابلة الكتب المنسوخة [٢] وكان معظم بلاطات الامراء والخلفاء مذتديات ادبية تناقش فيها الادب والعلم، وروي العجب في شغف الحكم المستنصر (٣٦٦هـ) بالكتب أنه كان جماعاً يرسل البعثات الى الاقطار المختلفة ينسخون له التواليف وكان له ديوان الندماء لترتيب الشعراء حسب الطبقات وبذل العطاء لهم، وبعث الى ابي فرج الاصفهاني الف دينار ذهب في كتاب الاغاني قبل ان يظهر الكتاب لاهل العراق[٣].

٦- **المرأة:** وكانت للمرأة مكانة مرموقة في المجتمع، وتتضح ذلك من كثرة اعلام النساء اللاتي ترجم لهن في كتب التراجم، وكنّ يمارسن معظم المهن، وكان لبعضهن دور في الامور السياسية، ولبعضهن منتديات ادبيات مثل ولادة بنت المستكفي، واشتهرت بالاناقة والتحرر والاختلاط بطبقات المجتمع، وكان لانتشار الجواري وتحررهن وما يحملن من سمات جمالية ومنازعاتهن للحرائر اثر في هذه الانطلاقة الاجتماعية التي لم تكن سمة عند الاندلسيات جميعاً فكانت فيهن المحافظات اتصفن بالخجل والحياء[٤].

---

[١] معجم البلدان : ٣ : ٢٥٧ .
[٢] ينظر : المكتبات وهواة الكتب في اسبانيا الاسلامية : ٢٧ .
[٣] الحلة السيراء : ١ : ٢٠١ .
[٤] للمزيد عن المرأة في الاندلس ، ينظر : صورة المجتمع الاندلسي : ١١٣-١٣٣ .

٧- **القضاء والشرطة:** فخطة القضاء كانت اعظم الخطط لتعلقها بامور الدين والعدل وخطة الشرطة كانت مهمة اضافة الى خطةالاحتساب صاحبها قاضي يمشي بنفسه في الاسواق يتابع البيع والشراء وكانت لها قوانين واحكام وفنون.

٨- الاستمتاع بالحياة والخروج الى النزهات واستغلال اوقات فراغهم في المتعة والمرح والنزهات النهرية واقامة الحفلات والتمتع بالطبيعة، وفي حالة الحزن على الفقيد كانوا يرتدون الالبسة البيضاء على عكس المجتمعات الاخرى.

٩- ظاهرة انتشار الخمر والميوعة والخلاعة الى حد الانحلال ولاسيما في المدن وانتشار الجواري ومبالغة المرأة بأناقتها في التفتن في الزينة والتماجن باشكال الحلي[١] وانتشار ظاهرة الغزل الاباحي والغلموية والتغزل بهم في قصائدهم الى حد التقزز مع وجود طبقات محافظة حصينة حتى يروى إن آل مغيث استؤصلوا ولم يبق منهم الا الشريد الضال لان احدهم تغزل باحدى بنات الخلفاء الموحدين وان ابن غُرلة الشاعر الزجال قتله الخليفة الموحدي لانه تغزل باخته رميلة زجلا[٢].

عصور الأندلس الأدبية

يتوجب للذي يدرس الأدب الأندلسي ان يدرس عصور الاندلس الادبية منذ الفتح حتى سقوطها بيد الافرنج سنة ٨٩٧ هـ / ١٤٩٢م لانها مرآة للواقع السياسي والاجتماعي والثقافي وسلسلة تجمع حلقات الادب على بساط ملون بمشاعر الاندلسيين وثقافاتهم وحياتهم الاجتماعية وصراعاتهم الداخلية والخارجية التي ادت في النهاية الى انقلاب ذلك البساط لتزركش عليها حضارة اخرى مختلفة الشكل والمعنى، ويمكن تلخيص تلك العصور بما يأتي: -

---

[١] الاحاطة ١ : ١٣٩ .

[٢] للمزيد ينظر : دفاتر اندلسية : ٤١٣ ، د. يوسف عيد .

١- **عصر الفتح والولاية (٩٢-١٣٨ للهجرة):** - ويشمل هذا العهد فتح الاندلس بقيادة طارق بن زياد ثم تولى موسى بن نصير الولاية، لتصبح اندلس ولاية تابعة لملوك بني امية في دمشق لغاية سنة ١٣٢ للهجرة ومن ثم ولاية تابعة لملوك بني عباس لغاية ١٣٨ للهجرة، وتولى هذا العهد حوالي اربعة وعشرون والياً.

٢- **العصر الاموي (١٣٨-٣٩٩ هـ):** وتشمل أنظمة (الامارة والخلافة والحجابة والفتنة) بالتعاقب، ويبدأ بهروب عبد الرحمن بن معاوية الاموي من الشام والتجاؤه الى اخواله البربر في شمال افريقيا وتشكيله قوة عسكرية والزحف نحو الاندلس والانتصار على الوالي العباسي يوسف الفهري لتصبح الاندلس امارة مستقلة عاصمتها قرطبة حكمها سبعة امراء اخرهم عبد الرحمن الثالث الذي حكم خمسين سنة (٣٠٠-٣٥٠هـ) واعلن الخلافة في عام ٣١٦ للهجرة واعقبه ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) المعروف بشغفه بالكتب والمكتبات فقد أوصى بالخلافة لابنه هشام الثاني الملقب بالمؤيد وكان حدثاً صغيراً غير مكتمل النمو مما جعل الحاجب الملقب بالمنصور بن ابي عامر بتولي الحكم لتبدأ فترة الحجابة وتولى بعد ولده عبد الملك ثم ابنه الاخر عبد الرحمن الملقب بالشنكول وكان نزقاً وفي عهده اضطربت البلاد وقتل في سنة ٣٩٨ للهجرة لتبدأ فترة الفتنة التي استمرت عشرين عاماً حكم خلالها ثلاثة عشر حاكماً، وعمت البلاد المصائب والويلات والخراب وانفرط عقد الاندلس لتبدأ فترة ملوك الطوائف.

٣- عصر ملوك الطوائف (٤٢٢-٣٨٤ هـ) وفي ذلك العهد انتثرت الاندلس الامارات متصارعة متآكلة بعضها مع بعض، اهمها امارة بني عباد في اشبيلية وبني جهور في قرطبة وممالك أسرية متناثرة في سرقسطة وبلنسية وغرناطة وبطليوس ومرية وغيرها واتسمت تلك الفترة

بالفوضى والتخاذل امام الافرنج وبروز اعلام كبار في مجال الشعر والنثر نتيجة تعدد العواصم واثمرار الثقافة التي سيقت في القرن الرابع للهجرة.

٤- عصر المرابطين (٣٨٤-٥٤٠للهجرة) ويبدأ بدخول جيش يوسف بن تاشفين وهم بربر من شمال افريقيا الى الاندلس والقضاء على ممالك ملوك الطوائف والحاق الاندلس بشمال افريقيا، والدولة المرابطية كانت دولة دينية على المذهب المالكي تمتد من طرابلس في ليبيا الى المغرب والاندلس، وسجلوا في بداية حكمهم انتصارات على الافرنج ومن ثم تخاذلوا نتيجة صراعهم على السلطة في شمال افريقيا وفي عهدهم سنة ٥١٢ للهجرة سقطت سرقسطة والمناطق المحيطة بها بيد الافرنج وتشكلت امارات صغيرة خارجة عن طاعتهم مثل امارة ابن مردنيش في شرقي الاندلس.

٥- عصر الموحدين (٥٤٠-٦٣٥هـ) يعد ابن تومرت الملقب بالمهدي المؤسس الحقيقي لهذه الحركة التي نشأت على اساس النهي عن المذكر والدعوة الى المعروف، وفي عهد الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي تخضع الاندلس لحكمهم وتصبح ولاية تابعة لحكم الموحدين في شمال افريقيا، واستمر حكمهم ما يقارب قرنا من الزمان وفي عهدهم حدثت اكبر فاجعة وهي معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ واعتبرت بداية النهاية لحكم المسلمين في الاندلس وسقطت بعدها المدن الاندلس الرئيسة مثل قرطبة واشبيلية وانبثقت في نهاية حكمهم امارات صغيرة اندلسية لم تصمد امام الافرنج.

٦- عصر بني الاحمر (دولة الاندلس الصغرى) (٦٣٥-٨٩٧هـ) بعد الهزائم الكبيرة التي لحقت بالمسلمين وسقوط معظم الامارات المستقلة تمكن احد رجال الحدود المسمى بابن الاحمر من تأسيس مملكة يخضع لها فعلياً

مناطق تضم مالقة ومرية وغرناطة العاصمة، ويستمر حكمهم ما يقارب من قرنين ونصف بمعونة دولة بني مرين في المغرب في منطقة عرفت بالاندلس الصغرى تجمع فيها المسلمون الذين سقطت مناطقهم واتصفت حكمهم بكثرة الاضطرابات والصراع على السلطة ومقاومة الافرنج.

أهم مصادر الأدب الأندلسي

١- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق احسان عباس، دار صادر بيروت، كتاب موسوعي، تاريخي ادبي، يغلب عليه جمع للمادة وسرد الاخبار والمناظرات الادبية ويكمن اهميته في.

أ – يُغّطي الادب الاندلس وتاريخه من الفتح حتى السقوط.

ب- نقل من كتب مفقودة.

ج- صولات نقدية.

محتويات الكتاب:

أ- المقدمة: ١٢١ صفحة

ب- القسم الاول: فيما يتعلق بالاندلس في ثمانية ابواب.

ج- القسم الثاني: الحديث عن الاديب لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ)، واستطرادات اندلسية.

د – عدد الاجزاء / عشرة ، وهنالك تحقيقات اخرى

٢- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة: ابن بسام الشنتريني (٥٤٢ هـ) تحقيق احسان عباس، الدار العربية للكتاب، كتاب ادبي و تاريخي يتخلله تراجم للشعراء ورؤى نقدية عن المئة الخامسة للهجرة على نسق كتاب يتيمة الدهر للثعالبي الذي ارخ لشعراء القرن الرابع، ويتكون من اربعة اقسام، كل قسم متكون من جزئين.

القسم الاول: لاهل قرطبة وما يحيط بها من وسط الاندلس

القسم الثاني: الجانب الغربي، اشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر.

القسم الثالث: الجانب الشرقي من الاندلس.

القسم الرابع:

أ – لمن طرأ على جزيرة الاندلس من شعراء الشرق والمغرب العربي من الشعراء والكتاب.

ب- عدد من المشهورين المعاصرين ممن نجم في ذلك القرن خارج الاندلس.

٣- المُغرب في حُلى المَغرب تحقيق د. شوقي ضيف، منشورات دار المعارف، مصر في جزئين، الف الكتاب بالموارثة في مئة وخمسة عشر عاماً، اخرهم والذي ينسب اليه الكتاب، علي بن سعيد المغربي (٦٨٥ هـ) وله كتب اخرى: "رايات المبّرزين وغايات المميزين "و "كتاب الغصون اليانعة في اخبار المئة السابعة "وكتاب القدح المعلي في التاريخ المحلى " وكتاب في البلاغة " المرقصات والمطربات " وكتب اخرى مفقودة وإنه كتاب ادبي تاريخي، جغرافي، وتراجم، قسم الكتاب جغرافياً على أقاليم الغرب والوسط والجنوب ويبتدئ بكرسي المملكة ومكانتها وتاريخها وما يحيط بها من الطبيعة، ويتناول فيها حسب الترتيب، الامراء والرؤساء والعلماء والشعراء.

٤- المُعجب في تلخيص اخبار المغرب، عبد الواحد بن علي المراكشي (ت٦٤٧ هـ) يشمل هذا الكتاب على فصول كثيرة، بدأها المؤلف بالحديث عن جزيرة الاندلس وحدودها ومدنها وقراها ثم انتقل الى احداث فتحها وسير ملوكها ومن كان فيها من الفضلاء حتى نهاية الحكم الاموي ومن ثم المرابطين والموحدين لغاية سنة ٦٢١ للهجرة، وتضمن الكتاب مجموعة ضخمة من الاشعار، وقصائد طويلة وهو كتاب تاريخي ادبي جغرافي في جزء واحد.

٥- الاحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب (ت٧٧٦ هـ)، موسوعة تاريخية، ادبية، جغرافية، قدم صورة شاملة عن مدينة غرناطة من اوصاف واخبار وترجم لثلاث وتسعين وأربعمائة شخصية اندلسية ممن حكموا غرناطة او وفدوا اليها من المغرب والمشرق من ملوك وأمراء واعيان وولاة ووزراء

وقضاة وعلماء وزهاد وصوفية مع سيرته الذاتية في اخر الكتاب والكتاب يتكون من مقدمة وقسمين في أربعة اجزاء.

٦- كتب التراجم: وهي كتب ادبية تاريخية عن سير وتعريف بالاعلام متضمنة اخباراً وأوصافا وقصائد شعرية ومقولات نثرية منها:-

أ – جذوة المقتبس، لابي عبد الله الحميدي (ت٤٨٨ هـ) منشورات دار الكتب المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦.

ب – قلائد العقيان ومحاسن الاعيان، الفتح بن خاقان (٥٢٩هـ).

ج – مطمح الانفس ومسرح التأنس في مُلح اهل الاندلس، المؤلف نفسه.

د – بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس، احمد بن يحيى الضبي (٥٩٩ هـ) وهو ذيل لكتاب جذوة المقتبس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧.

هـ - الحُلة السِّيراء: ابن الابّار (٦٥٨ هـ) تحقيق: حسين مؤنس في مجلدين، خص الجزء الاول في تراجم اهل المئات الاولى والثانية والثالثة والرابعة والجزء الثاني بتراجم المئة الخامسة.

ج – مجموعة الصلة: -

أ – الصلة، ابن بشكوال (٥٧٨هـ) الدار المصرية للتأليف والنشر.

ب- تكملة الصلة، ابن الابّار (٦٥٨هـ) مط العطار، ١٩٥٥.

ت- الذيل والتكملة لكتاب الصلة، عبد الملك المراكشي (٧٠٣هـ)، اجزاء متفرقة من محققين عدة.

ث- صلة الصلة، ابو جعفر الغرناطي (٧٠٨هـ).

اضافة الى مئات المصادر ودواوين الشعراء والمراجع الحديثة التي اغنت المكتبة الاندلسية ويمكن معرفتها من قوائم المصادر والمراجع التي تناولت الادب الاندلسي وتاريخه من الكتب والرسائل الجامعية والبحوث العلمية.

دور المستشرقين في بعث التراث الأندلسي

من باب العرفان نشير الى دور المستشرقين الذين كان لهم دور ريادي في بعث التراث الاندلسي، ومن ابرزهم:-

١- دوزي (ت١٨٨٣) الذي ينتمي الى المدرسة الهولندية وألف كتاب " تاريخ مسلمي اسبانيا " وترجم كتاب " نفح الطيب " للمقري التلمساني، والبيان المغرب لابن عذارى والبسامة لابن عبدون ومجموعة بحوث ودراسات.

أ - خوليان ريبيرا (ت١٩٣٥) استاذ اللغة العربية في جامعة سرقسطة حقق مجموعة كتب مثل قضاة قرطبة للخشني وديوان ابن قزمان وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ومجموعة بحوث منها: كتاب التربية الاسلامية في الاندلس، مترجم الى العربية ودراسة موازنة بين كتابين اندلسيين ودراسة عن الاصول العربية لفلسفة ريموند ولوليو[١].

ب- اسين بلاثيوس (١٩٤٤) الذي كرس بحوثه لدراسة الفلسفة الاسلامية والتصوف فكتب عن ابن باجة وابن مسرة وابن عربي وابن حزم ونشر كتاب الحدائق لابن سيد البطليوس، وبحث بعنوان: الاصول الاسلامية للكوميديا الالهية لدانتي.

ج – ادخل جوثتالث بالنثيا (ت١٩٤٩) استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد ومن وكتبه: تاريخ الفكر الاندلسي، ترجمه: د. حسين مؤنس وكتاب الشعر الاندلسي وتأثيره في الشعر الاوربي.

ومن المستشرقين الاخرين غرسيه غومس اذ نشر مجموعة دواوين شعرية وله كتاب " الشعر الاندلسي " مترجم الى العربية والمستشرق الفرنسي بروفنسال (١٩٥٦) الذي نشر نصوصاً تاريخية قديمة مثل "مذكرات الامير عبد الله بن زيري" وكتاب المرتبة العليا للنباهي" والروض المعطار لابن عبد المنعم الحميري "واجزاء

---

[١] مترجم الى العربية ، ينظر : دراسات اندلسية ، د. عبد الواحد ذنون طه ، مكتبة بسام ، الموصل .

من كتاب بيان المغرب لابن عذاري، كما القى مجموعة محاضرات في جامعة القاهرة.

والمستشرق الايطالي ميشيل اماري الذي اختص بالتراث الاندلسي في صقلية ومن كتبه " المكتبة الصقلية " خلال اكثر من ربع قرن، وكتاب تاريخ مسلمي صقلية في ثلاثة اجزاء والمستشرق السوفيتي كراتشوفسكي الذي اختص بدراسة الادب الجغرافي في الاندلس في كتابه المترجم " تاريخ الادب الجغرافي العربي "[١].

والمستشرقة د. ماريا خيسوس روبيرا متي التي الفت كتاب " الأدب الاندلسي "[٢] كما لها اكثر من خمس عشرة دراسة[٣].

---

[١] مترجم الى العربية ، ينظر : دراسات اندلسية ، د. عبد الواحد ذنون طه ، مكتبة بسام ، الموصل .

[٢] ترجمه صلاح الدين عثمان ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

[٣] ينظر : المصدر ترجمه : د. اشرف علي دعرور ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .نفسه ، مقدمة المترجم : ٤-٦ .

الفصل الاول

العصر الأموي ٩٢ -٤٢٢ هـ

(الولاية، الامارة، الخلافة، الفتنة)

الفصل الاول

العصر الأموي

أ – عهد الولاة (٩٢ –١٣٨هـ)

يبدأ هذا العهد بولاية عبد العزيز بن موسى بن نُصير الذي اتخذ اشبيلية عاصمة له، ولم تدم ولايته طويلاً إذ قتله الجند سنة ٩٨ للهجرة، ثم اجتمع زعماء البربر واختاروا ايوب بن حبيب اللخمي، ابن أخت موسى بن نُصير، ثم تعاقب على ولاية الاندلس اثنان وعشرون والياً، منهم من كان يعينهم الخليفة او والي شمال افريقيا[١] واتسمت تلك الفترة بكثرة الحروب والمنازعات، حروب مع الأفرنجة عبر جبال برانس وحروب مع الاسبان في الاقاليم الشمالية وحروب في متابعة الفارين والمناوئين، والمنازعات الكثيرة على السلطة بين العرب والبربر ثم بين العرب انفسهم قيسيين ويمذيين وكان مجتمعاً مضطرباً قلقاً، واغلب الداخلين الى الاندلس جنوداً وحكاماً كان شأنهم المعارك والسلطة لا العلوم والثقافة عدا نفر قليل من التابعين الذين كانوا على حظ من المعرفة الدينية وقدر ضئيل من الادب، قائلوه مشارقة وفداً على الاندلس لذلك فهو ادب مشرقي، منهم: -

١- ابو الاجرب بن جَوَنة بن الصِّمة[٢]، واشتهر بالهجاء والمديح وهو من العرب الطارئين على الاندلسي، وقيل كان في مرتبة الفرزدق وجرير، يروى ان ابا نواس سأل الشاعر عباس بن ناصح الاندلسي ان يسمع شيئاً من شعره عندما زار بغداد، وشعره مفقود إلا ابياتاً قليلة، وردت في المغرب[٣].

ولقد أراني من هواي بمنزل عال ورأسي ذو غدائر افرعُ

---

[١] فجر الاندلس : ٣٤٥ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ابن القوطية : ١٠ ، البيان المغرب ٢: ٣٠-٥٦ .
[٢] المغرب ١: ١٣١ ، النفح ٢ : ١٥٦ ، بغية الملتمس رقم :٦٢٢ ، جذوة المقتبس: ١٨٧ ، الادب الاندلسي من النفح حتى سقوط غرناطة ، احمد هيكل : ٦١ .
[٣] المغرب ١: ١٣٢ .

والعـــيش اغيـــد ســـاقطٌ افنـــانُه والمـــــاء أطيبـــه لنـــا والمرتـــع

٢- الشاعر ابو الخطار حُسام بن ضِرار [١]، وفد على الاندلس والياً سنة ١٢٥ للهجرة ايام هشام بن عبد الملك، وكان شاعراً فارسا، لقب بعنترة الاندلس ولم يعثر إلا على قليل من شعره، فمن ذلك قوله في ثأر اخذه لعزيز له بقوله[٢]: -

فليـتَ ابـن جَـوَّاسٍ يُخبَّـر انـنـــــي سـعيتُ بـه سـعي امـرئٍ غيـر عاقـلٍ

قتلـتُ بـه تسـعين تحـسب أنهـــم جـذوع نخيـل صُـرِّعتْ فـي المسـايل

ولـو كانـت المـوتى تبـاع اشـتريته بكفـي ومـا اسـتثنيت منهـا انـاملي

و له قصيدة في معاتبة المروانيين على نصرتهم للقيسيين على اليمنيين ورد في تاريخ افتتاح الاندلس لابن قوطية وجذوة المقتبس[٣].

* * * *

أما النثر:- فيقصد به النثر الفني الذي يتجلى فيه الكاتب او القائل حسن بيانه وجمال اسلوبه بما يقتضي الموقف والمعنى، ويختلف عن النثر التأليفي الذي يراد به نقل معلومة معينة الى القارئ، واتسمت تلك الفترة بقلة عدد النصوص النثرية، ولا يمكن ان توصف بانها من النثر الاندلسي لانها ليس من البيئة الاندلسية التي لم تتكون بعد إلا أنها كتبت في الاندلس من قبل كتاب كانت نشأتهم وثقافتهم مشرقية ويمكن تصنيفها الى:

١- **الخطابة:** ضرورة تستوجبها ظروف الحرب والنزاع القبلي والمناسبات الدينية والاجتماعية، واقدم خطبة وصلتنا من الاندلس، خطبة طارق بن زياد عند

---

[١] بغية الملتمس : ٦٨٦ ، جذوة المقتبس : ١٨٨ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ١٨ ، اخبار مجموعة : ٥٦ ، الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٢ .

[٢] جذوة المقتبس : ١٨٨ .

[٣] تاريخ افتتاح الاندلس : ١٨ ، جذوة المقتبس : ١٨٩ .

عبوره مضيق جبل سمي باسمه، وادعاء بعض المصادر بحرقه السفن التي حملته وجنوده الى الاندلس، واشتهرت من خلال المقولة المشهورة "ايها الناس، اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم " وقد وردت الخطبة بروايات متعددة مع ثلاثة ابيات يحدثنا فيها عن عبوره الى الاندلس رواها الحجاري في المسهب ونقل عنه المقري التلمساني في النفخ [١] ولم ترد النصوص في مصادرتاريخ الاندلس المبكرة باستثناء النص الذي جاء في كتاب " افتتاح الاندلس " لعبد الملك بن حبيب (٢٣٨ هـ) [٢] والنص الذي ورد في كتاب " الامامة والسياسة " والمنسوب ظناً لابن قتيبة (٢٧٦هـ)، بينما اعتمد المقري على رواية ابن خلكان (ت٦٨١ هـ) في كتابه وفيات الاعيان، ويدور شك كبير حول ذلك النص والاليات التي وردت معها لحداثة طارق بن زياد في الاسلام اذ كان بربريا ومولى موسى بن نصير وحديث العهد بالعربية، وان المصادر الاولى التي تناولت عملية الفتح لم تشر الى تلك النصوص، واسلوب الخطبة يغلب عليها التكلف والسجع وهو من سمات الخطبة في العصر العباسي المتأخر، وان المعاني التي جاءت فيها غير ملائمة مع الروح الاسلامية في الدعوة الى الجهاد اذ اشار الى دوافع الفتح في الحصول على اللؤلؤ والمرجان وبنات اليونان، اضافة الى ان الخطبة خالية من الاقتباسات القرآنية والاحاديث النبوية، وردت فيها اخطاء تاريخية وعسكرية، وان من اوليات الخطط العسكرية التفكير بمسالك الانسحاب، لذلك يدور الشك عن حرق طارق للمراكب التي نقلته ولاسيما ان المراكب كانت عائدة الى يوليان حاكم سبته كما اسلفنا في حديثنا عن عمليات فتح الاندلس في التمهيد[٣] والارجح ان طارق قد خطب بين جنوده باللغة البربرية وحثهم على القتال والجهاد واورد لهم مقولته المشهورة "البحر من ورائكم والعدو امامكم " مما اصبحت فيما بعد بذرة دسمة للقصاصين بحياكة الاساطير حولها ومن ثم انتقالها

---

[١] النفح : ١ : ٣٦٥ .
[٢] استفتاح الاندلس: تحقيق : محمود علي مكي ، معهد الدراسات الاسلامية ، مدريد ٩٥٧ .
[٣] لقراءة النصوص ، وعوامل الشك ، يرجى مراجعة كتاب " الادب الاندلسي " احمد هيكل : ٦٧-٧١ والادب الاندلس ، د. منجد بهجت : ١٠٠-١٠٣ .

الى كتب التاريخ باساليب كتابها، وان النصين اللذين وردا في المصدرين الاولين اقرب الى الصواب.

٢- **الكتـــابـــة:** - ضرورة تقتضيها ظروف الحكم والفتح كالرسائل والعهود وطلب الصلح والدعوة الى الرجوع الى الطاعة...، وبين ايدينا نصوص قليلة جداً، منها ما حفظ من الكتابة من عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير الى " تودمير " احد حكام القوط، وقد جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد العزيز الى تودمير، إنه نزل على الصلح وإنه له عهد الله وذمته، ألا ينزع من ملكه، ولا احد من النصارى عن املاكه وانهم لا يقتلون ولا يُسبون ولا يفرق بينهم وبين اولادهم ونسائهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا تحرق كنائسهم، ما تُعَبـــد ونصح، وأنه لايأوى لنا عدّوا ولا يخون لنا أمنا ولا يكتم خبراً علمه... " [١] وورد في بيان المغرب[٢] رسالة من يوسف الفهري، آخر الولاة الى عبد الرحمن بن معاوية "الداخل" حين علم بنزوله بالاندلس، وكاتب الرسالة هو خالد بن يزيد وكان رسوله اليه، عندما اراد ان يألفه ويتفادى القتال معه، ومن الرسالة " اما بعد، فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكَّب وتأبش من تأبش اليك ونزع نحوك من السراق واهل الختر والغدر ونقض الايمان المؤكدة الذين كذبوا الله فيها وكذبونا، وبه جل وعلا نستعين عليهم، ولقد كانوا معنا في ذوي كنف ورفاهية وعيش حتى غمصوا ذلك، واستبدلوا بالامن خوفاً، وجنحوا الى النقض، والله من ورائهم محيط، فان كنت تريد المال فانا اولى بك ممن لجأت اليه، ألا اغدرك، ولا امكن منك ابن عمي صاحب إفريقية، ولا غيره[٣].

ومن أهم الكتاب في تلك الفترة، خالد بن يزيد الذي كان كاتباً لاخر الولاة يوسف الفهري ثم لعبد الرحمن الداخل، وامية بن زيد الذي دخل الاندلس مع جنود

---

[١] الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٥ .
[٢] بيان المغرب ، ابن عذارى ٢: ٦٧ .
[٣] تابش : تجمع ، غمصوا : انكروا واستقلوا .

بَلج بن بشر، و تناولت موضوعات النثر النواحي السياسية والاجتماعية مثل مسائل الدين وامور القبائل والعهود والرسائل والتوقيعات، وخصـائصه مشرقية يميل الى الايجاز وقوة العبارة على حساب تزيينها بالمحسنات، ولم تعرف المقدمـات الطويلة والالقاب العديدة [1].

ب – عهد الامارة (١٣٨ –٣١٦هـ).

أولاً: القرن الثاني للهجرة.

الظروف السياسية والاجتماعية: يبدأ هذا العهد بدخول عبد الرحمن الداخل الى الاندلس وتأسيس الامارة الاندلسية، وتميز حكمه (١٣٨-١٧٣هـ) وحكم ابنه هشام (١٧٢-١٨٠ هـ) وحفيده الحكم (١٨٠-٢٠٦ هـ) ببلورة هيبة الدولة الاندلسـية، وتقليل المنازعات الداخلية والخارجية بتضعيف الارستقراطية العربية باستخدام عناصر غير عربية وظهور طبقة الموالي والمولدين من الاسبان المسلمين واستعمال العنف المفرط في القضاء على ثورة المولدين في العاصمة قرطبة[2] ووضع الدولة على سكة التقدم العلمي والحضاري والتوسع في اعمال البناء والعمران، فقد اسس عبد الرحمن الداخل مسجد قرطبة [3] واستقدم الفنانات المشرقيات واسس لهن داراً عرفت بدار المدنيات لتعليم الموسيقى والغناء، وبرزت شخصية المرأة الاندلسية التحررية، كما بدأت الحياة الثقافية تميل الى التحسن بعد وفود كثير من الامويين من الشرق على الاندلس وعودة افواج الدارسين من الشرق، وتبلورت الحلقات الدراسية في الجوامع على غرار المدارس والجامعات، ومن جانب اخر تحول الاندلسيون من المذهب الاوزاعي الى المذهب المالكي وبشدة مما اثر سلباً على الحياة الثقافية واضفاء صفة الجمود على الحياة العقلية، وهو مذهب يعتمد على النص ولا يفسح

---

[1] الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ٦٧ .
[2] للتفـاصيل ينظر البيان المقرب ، ١ : ١١٣ ، ٢ : ٧٢ ، نفح الطيب ١ : ١٥٩ ، المعجب : ١٢ .
[3] البيان المغرب ٢ : ٣٤١ .

للعقل مجالا ويكره التفريع والتفلسف والمنطق لدرء الشك والزيغ عن العقيدة والاعتماد على الفطرة والنص لغرض الوصول الى اليقين [1] كما تبلور في تلك الحقبة الجيل الاول من الادباء الاندلسيين، مثل الشاعر ابو المخشيّ والشاعر عباس بن ناصح والشاعرة حسانة التميمية، ومشاركة الحكام لهم في قرض الشعر، فقد كان عبد الرحمن الداخل شاعراً مجيداً وناثراً بليغاً وحفيده الحكم بن هشام شاعراً وناثراً، وتميز شعر ذلك الجيل بالملامح الآتية (اتجاهات الشعر): -

١- **الاتجاه المحافظ:** - الاهتمام بالموضوعات التقليدية من فخر وحماسة ومدح وغزل على نهج القدامى في بناء القصيدة والاعتماد على صورهم المستوحاة من شبه الجزيرة العربية باعتبار القصائد الجاهلية هي الصورة المثلى للقصيدة العربية والعيش في أجوائها من الصحراء والنوق والدبان والكثبان وحيواناتها وانها عندهم اكثر جرياناً على الطبيعة واحفل بالجزالة العفوية وبالغريب[2] وظروفهم كانت ملائمة لهذه الموضوعات، فالفخر والحماسة من لوازم الصراع والغلبة وقد عرف الداخل والحكم بهذا النوع من الشعر في الاشادة بالسيف والقتال، ومن لوازم البيئة العربية القديمة ولنا في ذلك قصيدة طردية للامير عبد الرحمن الداخل[3].

دعني وصَيد وقع الغرانقْ
فانّ همي في اصطياد المارقْ
في نفق إنْ كانَ او في حالق
إذا التظتْ هواجر الطرائقْ
كان لفاعي ظلّ بندٍ خافقْ
غنيتُ عن روض وقصر شاهق
بالقفر والأيطان بالسرادق

---

[1] ينظر : تاريخ علماء الاندلس : ابن الفرضي ١ : ١٨١ .
[2] الادب الاندلسي : ٤٨ ، احسان عباس .
[3] الادب الاندلسي : ٩٤ ، احمد هيكل .

فقُل لمنْ نام على النمـــارق
إنّ العلا شُدت بِهمّ طـــارق
فاركبْ ثبـــج المضـــائقْ
اولا، فانتَ ارذل الخـــلائقْ [١]

والقصيدة فيما روى: اتاه ممن كان يعرف كلفه بالصيد، فاخبره عن نوع من الطيور تسمى " غرانق " الى جانب معسكره في احدى حملاته، فالقى هذه القصيدة التي تحتوي على الفاظ غريبة، كالغرانق: جمع غرنوق و هو الكركي، والايطان: مصدر اوطن أي مقام، والثبج: الحافات، وهواجر: قطاع طرق، وبند: علم والسرادق: ما يحمي به من الشمس، والنمارق: الوسائد، والقصيدة من بحر الرجز مشطورة وهو وزن ينسجم مع هذا الموضوع، واكثر طرديات ابي نواس بهذا الوزن، اما القافية مؤسسة دخيلة تنتهي بروى قلما يجيد الشعراء فيه و هو القاف ومخرجه في اقصى الحلقوم مع انسداده، والقصيدة تدل على عزة النفس والكبرياء وهي من سمات قصائد الفخر والسلطة، ولحكم بن هشام قصيدة مماثلة تتسم بالشدة والعنف[٢].

٢- **الموضوعات الجديدة:** - ولا نقصد في ذلك عدم وجودها في الشعر العربي القديم وانما معالجة مختلفة، فالشاعر ابو المخشيّ عاصم بن زيد العبادي، و هو نصراني الاصل من نصارى الحيرة، نزل والده الاندلس مع جند الشام في فترة الولاة واشتهر بالهجاء وكان هجاؤه مراً يمس الحرم ويتناول الاعراض، واكثر من مدح سليمان بن عبد الرحمن الداخل، وذكر في مدائحه بيتاً من الشعر عده هشام بن عبد الرحمن الداخل الذي كان فيه حول تعريضا به:

وليســوا كمثــل مِــنْ أنْ سِــيم عُرفــاً يُقلّــبُ مُقلــةً فيهــا أعــورار

---

[١] اخبار مجموعة : ١١٧-١١٨ .
[٢] مصدر نفسه :١٣٢ ، الأدب الاندلسي : ٨٣ ، احمد هيكل .

فاستدعاه الى مدينة ماردة وكان هشام حينئذ والياً عليها، فخرج اليه ابو المخشي من قرطبة طامعاً في عطائه، وامر بقطع بعض لسانه وسملتْ عيناه، وانجبر لسانه بعد وقت وكان يتكلم تلعثماً، واستمر العمى الى مماته فعظم مصابه وكثرت الشكوى في اشعاره، ولما علم عبد الرحمن الداخل بذلك وبخ ابنه وقدم اليه الشاعر وانشده قصيدته التي صور فيها محنة العمى، فاجازه بعطية كبيرة، ومات في عهد الحكم الربضي[1] ومن شعره وهويصور حالة العمى عنده.

قوله:

خضعتْ أم بناتي للعدى أن قضى الله قضاء فمضى
ورأت أعمى ضريراً إنّما مشيهُ في الارض لمسٌ بالعصا
فاستكانت ثمّ قالتْ قولةً - وهي حرَّى – بلغت مني المدى
ففؤادي قرحٌ مِنْ قولِها ما من الادواء داء كالعمى

و

وهي قصيدة معبرة تعبر عن حال الفاقد البصر وضعفه، وفي تصوير الهّم له:

وهمٍ صافني في جوف يمٍ كلا مَوجيها عندي كبير
فبتنا والقلوب معلقات وأجنحة الرياح بنا تطير

وشعره يمثل الشعر الاندلسي في عهد الامارة في السير في الاتجاه المحافظ مع نفحات اندلسية في تجديد بعض الموضوعات كوصف العمى وتصوير الحال... يتميز بتغليب عنصر العاطفة وتجويد الاداء.

---

[1] للمزيد عن شعره وسيرته : الجذوة :٣٧٧ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٣٥ ، المغرب ٢ : ١٢٣ ، بغية الملتمس : ٥١٣ ، فصول في الأدب الاندلسي : ١١٠ ، الشعر الاندلسي : ٣١ ، غرسيه غومس .

وكانت له ابنة شاعرة اسمها " حُسانة تميمية "، تعد من اولى الشواعر في الاندلس، وكانت جريئة لا تقبل الضيم، فاستغلت مقدرتها الشعرية في الدفاع عن حقوقها، فلما مات ابوها كتبت الى الامير الحكم بن هشام، و هي عازبة تخبره أنها اصبحت وحيدة في قصيدة مدحية منها[1]:

انـــي اليـــك أبـــا العاصـــيُ مُوجعـــة أبـــا الحســـين، ســـقتهُ الواكـــفَ الـــديمُ

قـد كنـتُ ارتـعُ فـي نعمـاه عاكفـة فاليـــوم آوي الـــى نعمـــاك يـــاحكم

أنـتَ الأمـام الـذي انقـادَ الأنـام لـــه وملكتـــه مقاليـــد النهـــى الأمُـــمُ

لا شـيء اخشـى أذا مـا كنـتَ لـي كنفـا آوى اليـــه ولا يعرونـــي العـــدم

لا زلـتَ بـالعزة القعســـاء مرتـديا حتـى تـذل الـيك العـرب والعجـمُ

فلما وقف الحكم على شعرها استحنسه وامر لها براتب، كما لها قصيدة اخرى في الشكوى من عامل الى الامير عبد الرحمن الاوسط واخرى في مدحه [2] و هي قصـائد مزيجـة فـي الرثـاء والشـكوى والمـدح والاسـتغاثة، وابياتهـا تفـيض بالعاطفـة الحارة الصادقة وهي سمة مميزة لقصائد هذه الفترة، و شعرها فيه كثير من طبيعة المرأة في ضعفها وحاجتها الى الحماية وطلب الغوث والشكوى.

ومن الموضوعات الجديدة الاخرى: وصف حال الاخرين وطلب العون لهم، فالشاعر عباس بن ناصح الثقفي الذي رحل مع ابيه الى المشرق ونال حظاً وافراً من العلم، وعند عودته تولى القضاء في الجزيرة الخضراء في عهد الحكم الربضي، وقد اشـتهر بالشـعر كعـالم ومـؤدب وكـان لـه ديـوان مفقـود، وقصـائده تـدور عـن المـدح والحماسـة والفخـر والزهـد، ومـن شـعره قصـيدة يطلـب الغـوث والمسـاعدة لـوادي الحجارة بعد نزل به وسمع امرأة تشكو أهمال الدولة وشدة الاعداء قوله:

---

[1] نفح الطيب ١ : ١٤٥ ، القعساء : الثابتة .

[2] المصدر نفسه : ٢ : ٤٣٨ .

تملمت في وادي الحجارة مسهراً اراعي نجوما ما يردن تغيرا
اليك ابا العاصي نضيتُ مطيتي تسير بهم سارياً ومهجرًا
تدارك نساء العالمين بنصرةٍ فانك اهل أنْ تغيث وتنصرا[1]

وكان شعره ذات سمات بدوية واضحة، قليل الصقل كثير الخشونة.

اما الشوق والحنين: - فقد غلب على الشعراء الذين هاجروا من المشرق ولاسيما الشام ولعبد الرحمن الداخل ثلاث مقطعات في الشوق الى ديار الشام عندما راى نخلة مفردة في الاندلس فهاجت شجنه وتذكر بلده، قائلاً:

تبدتْ لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بارض الغرب عن بلد النخلِ
فقلت: شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بني وعن اهلي
نشأت بارضٍ أنتِ فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزنِ من صوبها الذي يسح ويستمرى السماكين بالوبل[2]

ويلاحظ الحاح الشاعر على الفاظ الفراق، المنتأى، البين، الاقصاء التغرب، النوى، الافتراق، وانشطار بين المشرق والاندلس و عن عمق المرارة التي يعانيه بنغمة أسية حزينة لارتباطها بذكريات مؤلمة، كما برع الشاعر في التركيز العاطفي وتشخيص النخلة باعطائها مشاعر انسانية حية ومشاركة وجدانية فيما يسمى بالعلاقة النفسية المتبادلة.

ثانياً: القرن الثالث للهجرة:

[1] نفح الطيب ١ : ١٦١ ،واخباره ، ينظر : بغية الملتمس : ٢٧٦ ، النفح ١ : ٤٤٥ . ، وبغية الوعاة للسيوطي : ٢٧٦ ، المغرب : ٢٥٣ ، الادب الاندلسي ، احمد هيكل : ١٠٥ .
[2] للمزيد ينظر : النفح ٢ : ٤٢ ، ٣ : ٥٤ ، الجذوة : ١٠ ، الحلة السيراء : ١ : ٢٦ ، البيان المغرب ٢ : ٨٩ ، الادب الاندلسي : ٩٣ ، احمد هيكل ، الادب الاندلسي : ٦٦ ، منجد .

حكم في هذه الفترة أربعة أمراء، عبد الرحمن الاوسط وابنه محمد ثم حفيداه المنذر وعبد الله، واتسم حكمهم عدا المنذر بطول فترتها[١] وكثرة الصراعات الداخلية والخارجية [٢] وقطع اشواط كبيرة نسبياً في التقدم الاجتماعي والثقافي ولاسيما في فترات الهدوء النسبي، وكان من أهم العوامل المؤثرة في التغيير الاجتماعي، قدوم المغني والموسيقي زرياب من الشرق الى الاندلس، وإنشاؤه مدرسة لتعلم الموسيقى والغناء، وصار مثالاً للاناقة، وقدوة في الزي واللطافة وكيفية الأكل ونقل اليهم كثيراً من طرق الطهي وتصفيف الموائد وقص الشعر وترتيب المنزل، وهو الذي أحل العود ذي الاوتاد الخمسة محل الاوتاد الثلاثة، فشاع الترف والتأنق والشغف بالموسيقى والغناء والتمادي في احيان كثيرة الى اللهو والمجون وشرب الخمر نتيجة كثرة الكروم والتسامح في عصرها وكثرة الجواري ووفرة الغلمان من الصقالبة وغيرها، فتولدت شخصية اندلسية متمدنة محبة للترف والغناء والشرب والاناقة والمبالغة فيها واستمرارها الى العصور التالية [٣].

اما الحالة الثقافية: فقد كانت هناك وثبة كبيرة في السير نحو الامام نتيجة تعلق الامراء بالمعرفة ومشاركتهم في ميادين الثقافة، فقد كان عبد الرحمن الاوسط محباً للمطالعة ومقرباً للعلماء وباعثاً في طلب الكتب من الامصار المختلفة [٤].

وشاركه في ذلك بقية الامراء والقادة الذين تمردوا عليهم، وظهرت طلائع العلماء الاندلسيين في العلوم العقلية والفلسفية مثل ابن مسرة والمؤرخ عبد الملك بن حبيب والعالم الفلكي والشاعر عباس بن فرناس الذي استنبط صناعة الزجاج من

---

[١] حكم عبد الرحمن الاوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ) وابنه محمد(٢٣٨-٢٧٣ هـ) والمنذر (٢٧٣-٢٧٥ هـ) وعبد الله (٢٧٥-٣٠٠هـ) .

[٢] من هذه الصراعات ، الفتنة بين المضرية واليمنية في تدمير ، وحركة الاستشهاد التي قام بها المسيحيون وهجوم نورماند مرتين وتمردات القبائل في سرقسطة ومارده ... وثورة المولدين بقيادة عمر بن حفصون الذي اعتصم بجبل بربشتر ودامت سنين طويلة ، لمعرفة التفاصيل ، ينظر : البيان المغرب ٢ : ١٨٠ وما بعدها .

[٣] للتفاصيل يرجى مراجعة النفح : ٢ : ١٠٩ ، المطرب : ١٤٧ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٦٨ ، الادب الاندلسي : ١٢٠ ، هيكل .

[٤] النفح ١ : ١٦٢ ، تاريخ افتتاح الاندلس : ٥٨ .

الحجارة واخترع الآلة المعروفة بالمثقال لمعرفة الاوقات، وحاول تطبيق اسطورة ايكاروس في الطيران بصنع جناحين له والطيران الى مسافة[1] مع ظهور طبقة كبيرة من المؤدبين وكان للشرق صداه في الشعر الاندلسي بظهور الاتجاه الحديث في الشعر مع المحافظة على الاتجاه القديم ويمكن تصنيف اغراضهم الشعرية المميزة الى: -

١- **النقائض:** - وقد كان لشعر الذي انتشر في الحكم الاموي في المربد بين جرير والفرزدق والاخطل ونمو الحركة الشعوبية في العهد العباسي اثره في الاندلس لتوفر البيئة الملائمة من التقليد والصراع المرير الذي كان بين العرب والمولدين من الاسبان الذين دخلوا الاسلام، ووصلتنا أبيات كثيرة طويلة تصور ذلك الصراع، ويبدو ان بعضها اشبه بالنقائض يفتخر فيها الشاعر بقومه ويرد على شاعر اعدائهم وربما كانت قصيدة الرد من البحر والقافية نفسيهما ومن هذه القصائد أبيات لقصيدة للشاعر سعيد بن جودي السعدي صاحب سوار بن حمدون متولي رئاسة العرب في الجنوب الذي تغلب على اعدائه من المولدين في مدينة البيرة حتى يقال إن قتلاهم في تلك الوقعة بلغ اثنى عشر الفا ومن أبياته[2].

قصـــرنا علـــيهم والرمـــاح تنوشـــهم كوقـع الصياصـي تحـت وهـج القسـاطل

فلـم يبـق مـنهم غيـر عـان مصـفد يقـــاد اســيراً موثقــاً فــي السلاســل

واخــر مــنهم هــارب قــد تضــايقت بـــه الارض يهفـو مـن جـوى وبلابـل

وكان لكل من العرب والمولدين شعراء خاصة بهم يدافع عن قومه من أجل رأيهم ويحرضهم على القتال فكان الشاعر العبلي واسمه عبد الرحمن بن احمد شاعر المولدين والمحامي عنهم والشاعر محمد بن سعيد بن مخـارق الاسدي، شاعر العرب.

---

[1] للتفاصيل ينظر : تاريخ الفكر الاندلسي : ١٩٣ ، فصول في الادب الاندلسي : ١٣٧ .

[2] المقتبس : ٥٧-٦٠ ، فصـول فـي الاب الاندلسـي : ٩٥ ، الصياصـي ومفـرده صيصـة : شـوكة الحائك او قُرن الحيوان ، القساطل : الغبار الساطع في الحرب .

٢- **وصف المعارك الحروب:** فقد سجل الشعر قصائد كثيرة في معارك بين الامراء والخارجين عنهم، وما احرزه هؤلاء من انتصارات ضمن قصائد مدحية ومن ذلك قول

عباس بن فرناس في حملات الامير محمد: [١].

ومختلف الاصوات مؤتلف الزحفِ لهوم الفلا عَبلِ القبائل ملتفِ

اذا أومضت فيه الصوارم خلتها بروقاً تراءى في الجهام وتستخفي

كأنّ ذرى الاعلام في مَيَلانها قراقير في يمّ عجزنَ عن الجدفِ

وان طَحنتْ اركانها كان قطبَها حجا ملكِ نَدْبٍ شِمائله عفِ

سمى ختام الانبياء محمد اذا وُصف الاملاك جَّل عن الوصف

ولم يقتصر الشعر المدحي ووصف المعارك على الامراء فقد توجه قسم من الشعراء الى الرؤساء المنفصلين عن حكومة قرطبة في ظهور واضح لاسس البلاطات الادبية الاقليمية ومن ذلك قول ابن عبد ربه الاندلسي في ابراهيم بن حجاج المستقل باشبلية [٢].

ألا إنّ ابراهيم لُجَّةُ ساحل من الجود ارستْ فوق لجة ساحلِ

فاشبلية الزهراء تزهي بمجده وقرمونة الغراء ذات الفضائل

اذا ما تحلتْ تلك من نور وجهه غدت هذه للناس في زيّ عاطل

ومن الاغراض القديمة التي في نشوة ومراح
تفاعلت مع البيئة الجديدة الخمريات
والمجونيات وشعر الطبيعة اضافة
الى الزهديات والهجاء ولنا في ذلك

---

[١] الادب الاندلسي : ١٣٧ ، هيكل ، لهوم : ملتهم ، القبل : الضخم ، القراقير: السفن الكبيرة .
[٢] القصيدة كاملة في المقتبس : ٤ ، الادب الاندلسي : ١٣٨ ، هيكل .

قـول المطـرف بـن عبـد الـرحمن
الاوسـط فـي مجونياتـه: [1]احيـي
اللـــــــــــيالي ســـــــــــهداً

ولســـــتُ اسمـــــع مـــــاذا يقـــــول داعـــــي الفـــــلاح

وقول الامير عبد الله في زهدياته: [2].

يـــا مَـــنْ يراوغـــه الاجـــل حتّـــام يلهيـــك الامـــل
حتـــام لا تخشـــى الـــردى وكـــانه بـــك قـــد نـــزل
اغفلـــتَ عـــن طلـــب النجـــا ة ولا نجـــاة لمـــن غفـــل
هيهـــات تشـــغلك المُنّـــى ولا يـــدوم لـــك الشَّـــغَل
فكـــان يومـــك لـــم يكـــن وكـــأن نعيـــك لـــم يـــزل

ومن خلال دراسة هذه الابيات والابيات الاخرى يتضح ان اسلوبهم يميل الى التفصيل واحياناً الى القص وتتشيع فيه روح الدعابة والسخرية والفكاهة في الموضوعات اللاهية، والكآبة والمرارة في الموضوعات الجادة ومن ابرز الشعراء في ذلك القرن يحيى الغزال وشاعر الهجاء واللغوي محمد يحيى القلفاط [3].

يحيى الغزال (٢٥٠هـ)

---

[1] النفح ١ : ٣٢٩ .
[2] البيان المغرب : ٢ : ٢٣٢ .
[3] لمعرفة سيرة القلفاط وشعره : ينظر الادب الاندلسي : ١٧٦-١٨١ ، احسان عباس

يحيى بن حكم الغزال، من مدينة جيان الاندلسية، واسرته في اصلها تنتمي الى قبيلة بكر بن وائل، وقد لقبه الامير عبد الرحمن الاوسط بلقب الغزال عندما دخل عليه ذات يوم فحياه بقوله:

" جاء الغزال بحسنه وجماله "

وطلب اليه أن يجيره فقال "

قـــال الاميـــر مـــداعباً بمقـــــاله جـــاء الغـــزال بحســـنه وجمالـــه

ايـن الجمـال مـن امـرئ اربـى علـى متعـــــدد السـبعين مـــن احوالـــه

وعمر طويلاً تجاوز مئة سنة، ويظهر ذلك من ما نسب اليه:

ومـــالي لا أُبلـــى لتســـعين حجـــة وســبع أتـــتْ مـــن بعـــدها ســـنتان

فتكون ولادته في حدود سنة (١٥٠هـ).

فقد كان متفاعلاً مع احداث عصره السياسية، والاجتماعية، وجاءت اشعاره لتصور لنا حياته بكل ابعاده، وان اكثر ما يرد من اشعاره يقترن به بعد تجاوز سن الخمسين، اما اشعاره التي تصور شبابه فلم تصلنا منها شيئاً.

ومن هذه الاحداث: (معرفة حياة الشاعر من خلال شعره).

١- قبضه اعشار الغلال في زمن عبد الرحمن الاوسط، وتصرفه بها، فادى به ذلك الى السجن وفيه نظم قصيدته البائية التي يستعطف فيها الامير، ويطلب العفو منه: منها:

إنْ تَـــرد المـــالَ فـــانى إمـــرؤ لـــم اجمـــع المـــال ولـــم اكســـبِ

اذا اخـــذتَ الحـــق منـــي فـــلا تلتمـــــس الربـــــح ولا تزَغـــــبِ

قـــد احســـن الله الينـــا مـــعاً إن كـــان رأس المـــالِ لـــم يـــذهبِ

٢- سفارته الى بلاد النورماند الشمالي عن الامير الاندلسي، قيل القسطنطينية، واينما صحت الرواية فان الشاعر وصف لنا رحلته في ابيات عدة منها:

قـــال لـــي يحيـــى وصـــرنا بـــين مـــوج كالجبـــال

شـــقتَ القلعـــين وانبـــت عُـــرى تلـــك الحبـــالِ

وتمطـــى مَلـــك الـــمو ت الينـــا عـــن حَيـــالِ

فراينـــا المـــوتَ رأي الـــ عـــينِ حـــالاً بعـــد حـــالِ

لـــم يكـــن للقـــوم فينـــا يارفيقـــي رأسُ مـــالِ

والأبيات مثال جيد على وصف الرحلة في البحر.

وهنالك أبيات تصور لنا تفاصيل زيارته كما جاءت من تلك الروايات وقد لا نجزم بصحتها منها: فهو يرفض وأعضاء سفارته الركوع للملك ويخاطب الملك بالشجاعة، ويحدث زوجته بأحاديث عن سير المسلمين وأخبارهم وبلادهم ومن تلك الاشعار:

بَكَـرتْ تُحَسّـن لـي سـواد خضـابي فكـأن ذاك أعـادني لشـبابي

ما الشيبُ عندي والخضاب لواصفٍ إلا كشمـس جلَّلـتْ بضـبابِ

تخفـى قلـيلا، ثـم يقشُـعها الصَّـبا فيصـير مـا سـترت بـه لـذهابِ

لا تنكـري وضـحَ المشـيبِ فانمـا هـو زهـرة الافهـام والألبـابِ

٣- بعد عودته من سفارته، رأى ان زرياب يتمتع بنفوذ كبيرة عند الامير، فيدخل في خصومة معه تؤدي بالغزال الى الرحيل عن الاندلس الى المشرق، هنالك يلتقي بتلاميذ أبي نواس ويرى ما هم عليه من تهوين للشعر الاندلسي وشعرائه، حتى اذا صار الحديث عن أبي نواس الشاعر المبجل لديهم، قال لهم منكم مَنْ يحفظ قصيدته:

ولمـا رأيـتُ الشَّـرب أكـدَت سـماؤهم تأبطـتُ زقـي واحتسـبت عنـائي

فلمـا اتيـتُ الحـانَ ناديـتُ ربّـه فهـبَّ خفيـف الـروح نحـو نـدائي

قليـل هجـوع الليـل إلا تعلـةً علـى وجَـل منـي ومـن نظرائـي

فقلـتُ، اذقنيهـا فلمـا أذاقنـي طرحـت اليـه ريطتـي وردائـي

فأعجبوا بها كثيراً وذهبوا في مدحها، فلما أفرطوا قال لهم: هذه الأبيات لي وانشد قصيدة مشابهة لهم والقصيدة معارضة لقصيدة مشهورة لأبي نواس.

ديوانـه:

اشتهر يحيى الغزال في الاندلس ومنذ عهد مبكر، ويقال كان له ديوان جمعه حبيب بن احمد الشطجيري حسب ما جاء في جذوة المقتبس إلا أنه فقد، وقام د. حكمت الاوسي بجمع اشعاره بعد ان فقد معظمه، فاجتمع عنده ما يناهز ثلاثمائة بيت جاءت في ملحق كتاب" فصول في الادب الاندلسي "واستدرك عليه هلال ناجي خمسين بيتاً فاصبح المجموع ثلاثمائة وخمسون بيتاً كما قام د. احسان عباس بجمعه في كتيب مستقل، ومعظمها يدور بعد وصول عمره الى اكثر من خمسين سنة، ومن موضوعاته الشعرية:

١- **المديح:** عاصر الملوك واختلط بهم، ومدحهم، ولم يصلنا من ذلك إلا قصيدة يستعطف بها عبد الرحمن بن الحكم الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ) ومن أبياته:

مَـنْ مُبلـغٌ عنـى إمـامَ الهـدى الـوارثَ المجـدِ ابـاً عـن ابٍ

واصـبح المشـرقُ مـن شـوقهِ اليـكَ قـد حـنّ الـى المغـربِ

مِنبُـره يهتـف مـن وجـده اليـك بالسـهل وبالمرحـبِ

٢- **الحكمة والزهد:** له سبع عشرة قطعة في هذا الموضوع تصور حياته الاخيرة ويصدر عن حكمة بالغة وتجربة محنكة، يظهر فيها عزوفه عن الملذات والمتع ثم يدعو الى العمل الصالح وعن تجربته في الحياة ومن أبياته:

تسألني عن حالتي أم عمـرْ

وهي ترى ما حلّ بي من الغبرْ

اربدّ مني الوجه وابيض الشعر

وصار رأسي شهرةً من الشهرْ

فانظر إلي واعـتبرْ ثم اعتبرْ

فـانّ للحليـم في معتبرْ

٣- **نقد المجتمع:** يكشف عن العيوب المستشرية، ويوجه سهامه لهؤلاء الذين انحرفوا عن جادة الصواب باسلوب المبالغة، يعالج فيها الرياء، ويسوء ظنه بالناس ويؤكد على الاعمال الصالحة، والرزق الحلال، وله مقطوعة يسخر من قيم الناس التي تفرق بين بني الناس حياً وميتاً وله:

أرى اهـــل اليســـار اذا تـــوفوا بنـــوا تلـــك المقـــابر بالصـــخور

أبـــوا إلا مبـــاهاةً وفخـــراً علـــى الفقـــراء حـــتى فـــي القبـــور

ألمـــا يبصـــروا مـــا خرّبتـــه الـــد هـــور مـــن المـــدائن والقصـــور

لعمـــر أبيهـــم لـــو أبصـــروهم لمـــا عُـــرف الـــغني مـــن الفقيـــر

ولا عرفـــوا العبيـــد مـــن المـــوالى ولا عرفـــوا الانـــاث مـــن الـــذكور

اذا أكـــل الثـــرى هـــذا وهـــذا فمـــا فضـــل الكبـــير علـــى الحقيـــر

وله مقطعات بسوء الظن بالنساء لا سيما أنه وصل الى مرحلة متقدمة من العمر قوله:

إنْ الفتـــاة وإنْ بـــدا لـــك حُبَهـــا فبقلبهـــــــا داء عليـــــكٌ دفـــــينُ

هـــذا كـــلامٌ لســـــتُ اقبلـــهُ الشيـــــخ لـــــيسَ يحبـــهُ احـــدُ

وله كذلك صيغة حوار بين اب وابنته يخير ها في الزواج بأحدالرجلين، شيخ غني وفتى فقير:

وخيرّهـــا ابوهـــا بـــين شيـــخ كثيـــر المـــال او حـــدثٍ فقيـــر

فقالـــت: خطتـــا خســـف ومـــا ان ارى مـــــن خطـــــوة للمســـــتخير

ولكـــن إنْ عزمـــتَ فكـــل شـــيء احـــبّ إلـــيّ مـــن وجـــه كبيـــر

لان المـــرء بعـــد الفقـــر يثـــرى وهـــذا لا يعـــود الـــى صـــغير

٤- **الغزل والمجون:** له عشر قصائد، واشهرها همزيته التي تقترن برواية رحلته الى المشرق، والارجح ان القصيدة نظمت لاظهار الباع والمقدرة الفنية، ومن الغزل الماجن له قصيدتان، كما له قصيدة ثالثة في ذقاء وعفاف فيها اشواق ووجد بعد أن شتت الدهر شملها منها:

أقـرِ الســـلامِ علـــى إلـــف كـــلفتُ بـــه قد رمتُ صبراً وطول الشوق لم يرمِ

كنـــا كروحـــين فـــي جســـم غـــذاؤهما مـــــاء المحبـــة مـــن هـــام ومنســـجم

ففـــرق الـــــدهر شمـــلاً كـــان ملتئمـــاً منـــــا وجمـــع شـــملاً غيـــر ملتـــئم

اشكـــــو الـــى الله مـــا القـــي لفرقتـــه شكـــوى محـــب ســـقيم حـــافظ الـــذمم

لـو كنـت اشكو الـى صُم الهضـاب إذن تفطـــــرتْ للـــذى أبديـــه مـــن ألـــم

الدراسة الفنية:

١- ان امتيازه في الشعر لا يعود الى مقدرته الفنية فحسب واندما الى سيرته الذاتية مثل ابن زيدون الذي اشتهر من خلال حياته قبل شعره.

٢- ميله الى القص الشعري.
٣- روح السخرية والنقد ونظراته المتهكمة في نقد المجتمع وبيان الظواهر السلبية.
٤- انعكاس ابياته الشعرية لحياته الخاصة، ولصور المجتمع السياسية والاجتماعية.
٥- له صور فذية مبتكرة مثل ما موجود في ابياته المتعلقة بالحوار بين المرأة والشيخ.
٦- الواقعية التعبيرية في الافصاح عن الواقع كما جاء حديثه عن رحلته في البحر او مقابلته للملكة " تيو دورا " في بلاد النورماند او القسطنطينية.
٧- قلة القصائد نتيجة لفقدان معظمها.
٨- ان ما وجد عنده يعود الى حياته بعد سن الخمسين لذلك غلبت عليها صفة التشاؤم والحكم والعقلنة .
٩- زهده تعبير عن رجل جرب الحياة وعرف اسرارها ويدخل ضمن زهد الشيخوخة [١]

عهد الخلافة (٣١٦ -٤٢٢هـ).

أ – القرن الرابع:

وسميّ بالعصر الذهبي، وتبدأ هذه الفترة بتبوأ عبد الرحمن الثالث مقاليد الحكم في بداية القرن ومن ثم اعلانه الخلافة سنة ٣١٦م /٩٢٩م وتلقبه بالخليفة الناصر لدين الله الى وفاته سنة ٣٥٠للهجرة ثم تولى ابنه الحكم الثاني الحكم وتلقب بالحكم المستنصر الى وفاته سنة ٣٦٦ هـ ووصى بالحكم لابنه هشام الملقب بالمؤيد،

[١] للمزيد عنه مراجعة النفح ١ : ٣٣٣ : ٤٧/٣ ، جذوة المقتبس : ٣٧٥ ، بغية الملتمس : ٥٠٠ ، المطرب : ١٣٧ ، العقد الفريد ٣ : ٥٨ ، ١٩٠ ، البيان المغرب ٢ : ١٣٩ ، فصول في الادب الاندلسي : ١١٩-١٣٢، تاريخ الادب الاندلسي ، مذجد ٦٩-٨٠ ، الادب الاندلسي ، د. احسان عباس : ١٥٧-١٧٠ .

الذي لم يبلغ الحلم، وبايحاء من امه صبح عين المنصور محمد بن ابي عامر حاجباً للصبي، فاستأثر بالحكم بعد ان ضرب خصومه واحداً بعد الآخر، ولم يبق للخليفة إلا الدعاء على المنابر وذكر اسمه على السكة والطرز وتلقب بالمنصور، وبني مدينة الزاهرة قرب قرطبة ونظم الجيش على اسس جديدة واستقدم البربر وبلغت الدولة في عهده مجدها العسكري والثقافي وتوفي سنة ٣٩٢ للهجرة وخلفه ابنه عبد الملك المظفر الذي لم يختلف عن أبيه في السياسة والبأس والقوة والعلم، وتوفي سنة ٣٩٩ للهجرة في ظروف غامضة فتولى بعده اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول، ولم يكن ذات خبرة وافتتح امره بالخلاعة والمجون وحمل الخليفة على توليه ولاية العهد، فكان فيه حتفه بعد ان ثار الساخطون وكشف المستور وكانت بداية الفتنة[1] ويرجع المؤرخون التقدم العلمي والثقافي الذي حصل في الاندلس في ذلك القرن الى النقاط الآتية: -

١- **توحيد الاندلس:** عندما تولى عبد الرحمن الناصر الحكم كانت الاندلس مقسمة والاخطار الخارجية محيطة بها، فاخضع الخارجين والثائرين كابن حجاج المستقل في اشبيلية وابن جودي المستقل في غرناطة ومن ثم الاراضي التي استولى عليها ابن حفصون، كما اخضع طليطلة التي عرفت بالثورات لكونها عاصمة القوط القديمة، اما الحدود الخارجية فقد تمكن من ردع المسيحيين الذين استقوا في الشمال في مملكتي ليون ونافار واجبرهم على دفع الجزية، وفي شمال افريقيا كانت الدولة الفاطمية وعاصمتها القيروان تتوسع وتمكنت من السيطرة على المغرب وطرد حكامها الموالين للاندلس، فعمل الناصر على ردعهم ببناء الاسطول الاندلسي وارسال جيش كبير لاسترداد ما استولى عليها الفاطميون في المغرب من فاس الى المحيط وبقيت الاندلس دولة قوية رادعة

[1] النفح ١ : ٣٩٧ ، البيان المغرب ٢ : ٣٠١ ، تاريخ ابن خلدون : ٤ : ١٤٧ ، الحلة السيراء : ٢٧٤: ، صورة المجتمع الاندلسي : ١٥ .

الـى نهايـة ذلـك القـرن، فـشاع الأمـن والطمأنينـة وارتفـع المسـتوى المعاشـي وتجمعت اموال ضخمة في البيت المال[١] وانشغل الناس بمظاهر الحياة.

٢- **النهضة العمرانية:** كان عبد الرحمن الناصر محباً للعمران ومفتونا بالبناء، ووصلت العاصمة والمدن الرئيسة الاخرى الى اوج جمالها واناقتها وعمرانها بكثرة القصور والجوامع والحدائق العامة، ووصلت عدد حماماتها سبعمئة في قرطبة و هو دليل على الر قي الاجتماعي، و شيد مدينة الز هراء في شمال قرطبة على سفح جبل العروس، ونهض ببنائها عشرة ألاف عامل لمدة خمسة وعشـرين عامـاً وكانـت الطبقـة الـدنيا فيهـا بسـاتين وحـدائق، تتوسـطهادور للمـواطنين وتعلوهـا قصـر الخلافـة وقاعتـه الكبيـرة المزدانـة باعمـدة الرخـام وحليها الذهبية، كما بني المنصور بن ابي عامر مدينة الزاهرة وتوسع في بناء المسجد الجامع ولا تزال روعته ماثلة الى اليوم على الرغم مما اقتطع منها لكاتدرائية وكنيسة[٢] وبلغ طول صحنه مائة ذراع وخمسة اذرع و عدد ابوابه تسعة وجمع فيها من الاعمدة ١٢٩٣ عموداً من الر خام و باب مقصورة الجامع من الذهب وجدار المحراب وما يليه فيه من الذهب على الفسيفساء، وارتفاع المنارة الى مكان الأذان أربعة وخمسون ذراعاً[٣] وقال الشاعر ابو تمام في ثرياه[٤]: -

تحكـــي الثريـــا فـــي تألقـــها وقـــد لواهـــا نســـيمٌ وهـــي تتقـــد

كأنهـــا لـــذوي الإيمـــان افئـــدةٌ مـــن التخشـــع جـــوف الليـــل ترتعـــد

٣- **ازدهـار الثقافـة:** - التحضـر والرقـي واهتمـام الحكـام بـالعلوم والبحـث العلمـي وانتشـار الأمـن والرخـاء مـن العوامـل المسـاعدة فـي التقـدم الثقـافي، وكـان

---

[١] الادب الاندلسي : ١٧٦-١٨١ ، هيكل .

[٢] لتفاصيل العمران في الاندلس ، ينظر : كتاب الفن العربي في اسبانيا وصقلية لفون شاك ، ترجمه : د. طاهر مكي ، دار المعارف ، مصر .

[٣] النفح ١ : ٥٤٠-٥٦٣ ـ صورة المجتمع الاندلسي : ١٧٤ .

[٤] الذخيرة : ٢/٣ : ٨٣ .

للخليفتين الناصر والحكم الفضل في تلك الثورة الثقافية التي عمت البلاد بتشجيع القادمين الى الاندلس من علماء المشرق وحثهم على البحث والتأليف، فقد استقبل الناصرأبا على القالي واسند اليه تأديب ابنه الحكم، اذ نقل معه مجموعة كبيرة من الكتب ودواوين الشعراء، واشتهر الحكم بولعه بالكتب وبمكتبته الغنية التي بلغت اربعمائة ألف مجلد[١] وقد وجه الف دينار ذهب الى ابي الفرج الاصبهاني لكتابه" الاغاني" قبل ان يظهره في بغداد، وكانت مجالسهم منتدى للعلماء والادباء، وفي الميدان اللغوي تأسست مدرسة للدراسات اللغوية تحت اشراف أبي علي القالي، وأَلِفَ كتبا مهمة مثل كتاب " مختصر كتاب العين وكتاب طبقات النحويين وكتاب لحن العامة وكتاب الابنية في النحو " لابي بكر الزبيدي، وظهر ابن القوطية في مؤلفاته اللغوية والتاريخية، وترك لنا كتابه " تاريخ افتتاح الاندلس " وهو يتناول تاريخ الاندلس من الفتح حتى نهاية القرن الثالث[٢] ومن الكتب التاريخية المهمة الاخرى، كتاب " اخبار مجموعة " لمؤلف مجهول، يتناول تاريخ الاندلس الى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر، وظهرت كتب التراجم مثل كتاب " تاريخ قضاة الاندلس " للخشني[٣] وكتب التفسير والحديث والفقه والفلسفة بعد انتشار روح التسامح التي سيطرت على فترة الخلافة وكتب في الطب والفلاحة والرياضيات ونشطت حركة الترجمة من الاغريقية واللاتينية، وفي مجال الادب، ظهر كتاب " الحدائق لابن فرج الجياني (٣٦٦هـ) " الذي يعارض كتاب " الزهرة " لمحمد بن داود الاصفهاني وغيرها من الكتب [٤].

الشعر في القرن الرابع

---

[١] نفح الطيب ١ : ١٨٤ ، الفهرسة لابن خير ١ : ٣٩٥ .
[٢] نشره جيانوس في مدريد .
[٣] نشر بتحقيق عزت العطار ، ١٩٥٤ .
[٤] للمزيد ينظر : الادب الاندلسي : ١٨٤-١٩٤ ، هيكل .

أ – اتجاه المحافظ المتجدد:

نتيجة للاستقرار السياسي الذي تميز به هذا القرن وظهور طبقة اجتماعية ارستقراطية محافظة متسمة بعادات وتقاليد خاصة بها بعيدة عن الاستهتار والمجون وظهور عوائل معروفة بهذا الاتجاه ومشاركة الامراء والحكام لهم اضافة الى طبقة العلماء والفقهاء، واعجاب تلك الطبقة بالاتجاه الشعري المحافظ المتجدد في الشرق، كالبحتري في موسيقاه وصوره وعنايته بالبيان وذهنية ابن الرومي في التحليل والتفصيل واستقصائه واحتجاجه ولمسات ابن المعتز في تشبيهاته المترفة وصوره المفضضة وشخصية المتنبي في المكابرة وتحليله للمشاعر، ظهر اتجاه في الشعر العربي عندهم مزيج بين القديم والمحافظ له وبين الجديد في انعكاس لصور الحياة المترفة التي عمت ذلك القرن، وقد حافظ هذا الاتجاه على النهج القديم في تركيبة القصيدة العربية والميل الى الجزالة وفخامة العبارة في اللغة، واختيار الاوزان الطويلة ذات النغم الوقور والقوافي ذات الرنين المؤثر على السمع، والبعد عن الافراط في المجون والمجاهرة به كما ظهر تأثير البيئة الجديدة على معاني الشعر وصوره في البحث عن المبتكر الرائع او الطريف الملائم لحياتهم الجديدة وعلى الاسلوب وجمالياته في تجميل الصياغة بالوان من البديع وتزيينها بالمحسنات التي تضفي على القصيدة الرونق والبهجة والالوان عن طريق المقابلة والطباق والجناس والتكرار، وهذا لا يعني جودة تلك القصائد جميعهاً فهنالك الشعر الفج الجافي والاخر السهل السائغ الواضح وهنالك التصوير المتكلف والتصوير المبدع الموفق... وتجلى هذا الاتجاه في قصائد المديح والفخر ووصف المعارك والحصون والزهد والغزل العذرى والرثاء.

أولاً: قصائد المديح ووصف المعارك والحروب:

صاحب الشاعر الامير او الخليفة في الجهاد وكانوا يسمعون الشعراء غازياً وراجعاً، وهنالك كم هائل من الشعر مزيج بين المدح ووصف المعارك والاشادة

بالانتصارات والاعتذار عن الانكسارات، ومن ذلك قول صاعد البغدادي مهنئاً المنصور محمد بن ابي عامر في غزوة جربيرة سنة ٣٩٠ للهجرة [١].

جَـددتُ شُـكرى للهـوى المتجَّـدد وعَهـدِتُ عنـدكَ منـه مـا لـم يُعْهَـدِ

اليـومَ عـاشَ الـدينُ وابتـدأ الهـدى غضّـاً وعـاد المُلـكُ عـذبَ المـوردِ

ووقفـتُ فـي ثـاني حنـينٍ وقفـةً فـرايتُ صُـنعَ الله يُؤخَـذُ باليـدِ

مَـن فـاتهَ بـدرٌ وادرك عُـمرُهُ جربيـرَ فهـو مـن الرعيـل الاسـعدِ

فـوددتُ لـو حـتمَ الـقضاء بـأنني فـي القـوم أوَّلُ طـالعٍ مستشـهدِ

فمـا اسـتكينُ لورعـةٍ، ومحمـدٌ وبنـوه انصـار النبـي محمـدِ

عهـدي بـهِ، والله يـنظر صـبره والمـوتُ بـين مُصَـوبٍ ومُصَـعد

غطـى عليـه المشـركون فلـم يكـنْ فـي القـوم إلا صـخرةً فـي فَدْفـدِ

حتـى تَحَصَّـنَ بالمـلائكة التـي حفّتـه بـين معفـر ومـردد

وتخلل هذا اللون من الشعر وصف الخيل والسفن الحربية والات الحرب من الرماح والسيوف والمنجنيق، ومن ذلك وصف الشاعر الرُمادي للسفن[٢]: -

والسّـفن قـد جللهـا كأنـها اعـراء حبشـان

كأنهـا فـي دار مضمـارها خـيل يصـنّعن لميـدان

كأنهـا والمـاء ميـدانها فـي الـجو منقضـة عقبـان

تـرى المقـاذيف باحنـائها كأنمـا ترمـى بنيـران

لـذلك تمشـي مشـي صـاحٍ فلـو جـاوزَ امسـتْ شـبه نشـوان

---

[١] اعمال الاعلام : ٧٢-٧٣ ، الادب الاندلسي : ٩٤ ، احسان عباس .

[٢] القصيدة كاملة في كتاب التشبيهات : ١٧٩ .

واذا كان الشاعر الجاهلي يصف الرحلة في البر لبيان المشقة للوصول الى الممدوح فان الشاعر الاندلسي وصف الرحلة في البحر، وتردد كثيراً في قصائد يحيى الغزال وابن دراج القسطلي، كقوله: [1]

علـى لجـج خضـرٍ اذا هبـت الصَّـبا ترامـــــى بنـــا ثبيـــر وثهـــلان

اذا غـيضَ مـاء البحـر منهـا مددنـه بـــدمع عيـــون يمتـــريهن أشـــجان

وان سـكنتْ عنـا الريـاح جـرى بنـا زفيـــر الـــى ذكـــر الاحبـــة حنـــان

وفي هذا القرن ظهر ما يمكن ان نسميته بـ " شعر الوفود او الشعر الدبلوماسي " فقد صور الشعر عظمة الدولة وقوة الخلافة، وفصل في وصف الوفود التي كانت ترسل الى قرطبة، مثل وفد امبراطور الروم الى عبد الرحمن الناصر، يقول في ذلك منذر بن سعيد[2]

تـرى النـاسَ افواجـاً يؤمـون بابـهَ وكلُّـــــهم مـــا بـــين راج وآمـــل

وفـود ملـوك الـروم وسـط فنائـهِ مخافـــــة بـــأس او رجـــاء لنائـــل

فعـش سـالماً اقصـى حيـاة مـؤمَّلا فانـــتَ رجـــاء كـــل حـــافٍ وناعـــل

سـتملكها مـا بـين شـرق ومغـرب الـــى درب قســطنطين او ارض بابـــل

كما ان امراء الاسبان الشماليين المسيحيين كانوا يفدون الى العاصمة الاندلسية خاضعين او طالبين العون، ومن ذلك قدوم الامير الاسباني " اردون " طالباً العون وفي ذلك يقول عبد الملك بن سعيد[3]:

هـــذا امـــيرهم أتـــاه آخـــذا منـــه أواصـــر ذمـــة وحبـــالِ

متواضـــعاً لجـــلاله متخشـــعاً فـــي مأمـــن لمّـــا يُـــرَع بقتـــالِ

---

[1] ديوانه ق : ٤٤ .
[2] النفح ١ : ١٧٤ .
[3] المصدر نفسه.

ســـينال بالتأميـــل للـــملك الرضـــا عـــــزّاً يعـــــم عـــــداه بـــــالإذلال

لا يـــوم اعظـــم للـــولاة مســـــرة واشـــــده غيظـــــاً علـــــى الاقبـــــالِ

مـــن يـــوم " اردون " الـــذي اقبالـــه أمـــــل المـــــدى ونهايـــــة الاقبـــــالِ

ومن أبرز شعراء المدح في ذلك العصر: -

ابن هاني وابن دراج القسطلي

ابن هاني الاندلسي (٣٢٦-٣٦٢هـ):

هو ابو القاسم محمد بن هاني الازدي الاندلسي[١] وكان ابوه من قرية المهدية في شمال افريقيا، ويقول ابن خلكان " انه كان شاعراً اديباً: فانتقل الى الاندلس، فولد له محمد المعروف بابن هاني في قرية قريبة من اشبيلية، فنشا بين اشبيلية وقرطبة والبيرة نشأة ادبية شعرية، حافظاً لاشعار العرب واخبارهم، اتصل بصاحب اشبيلية وحظيّ عنده ومن ثم نصحه بمغادرة الاندلس فهاجر الى المغرب وعمره سبعة وعشرون عاماً ويذكر بعض اصحاب التراجم في سبب هجرته، أنه كان متهما بالفلسفة وكثير الانهماك في الملذات ولكن الفلسفة في زمنه لم تكن تهمة تؤدي الى المطاردة لوجود نوع من التسامح، والانهماك في الملذات كان شائعاً والارجح أنه طرد لتمذهبه الاسماعيلية واتصاله بالدعوة الفاطمية لان مجتمع الاندلس كان عندهم غلو شديد على المذهب المالكي وان الشافعية والشيعية والظاهرية كانت غير مقبولة عندهم، واتصل في شمال افريقيا بالقائد جوهر الصقلي ومدحه ثم اتصل ببعض الولاة ونال جوائزهم حتى وصل خبره الى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله فطلب ان يتوجه اليه، فسار اليه وكانت له فيه اشعار قوبلت بالتقدير ورجع الى المغرب لاخذ عياله وفي برقة في ليبيا انتهت حياته وقضيّ عليه، وفي ذلك روايات عدة منها إنه عربد في مجلس انس وقتل، وقيل أنه خرج ثملا فوقع في الطريق ومات وقيل وجد في ساقية مخنوقاً بتكة سرواله والارجح انه قتل من قبل المناهضين للفاطميين [٢].

شـــعره:

---

[١] ينظر في ترجمته واخباره : جذوة المقتبس : ١٥٧ ، المطرب : ١٩٢ ، التكملة رقم ٣٥٠ ، الاحاطة : ٢ : ٢١٢ ، وفيات الاعيان ٢ : ٥ ، والنفح ٢ : ٢٦٤ ، والمطمح : ٨٤ ، مقدمة ديوانه ، تحقيق : كرم البستاني ، الادب الاندلسي :١٣٣ هيكل ، دفاتر اندلسية :٧٠١ يوسف عيد ... .

[٢] الادب الاندلسي : ٢٣٤ ، هيكل .

له ديوان مطبوع وهو اقدم شاعر اندلسي له ديوان ولا يمثل شعره جميعاً لان علماء الدين هم الذين قاموا بجمع قصائده المدحية، و هو يمثل الجانب المذهبي من شعره عندما هاجر الى شمال افريقيا، وهو شاعر فحل له لون خاص متميز استسقى دربته وصنعته من فحول شعراء العباسيين وتطبّع بشخصيته الحادة الشديدة ومذهبه السياسي الفاطمي، وكان معجباً بالمتنبي لذلك سميّ بمتنبي الاندلسي وكان مثله يفرط في المغالاة، ويتغزل بالبدويات الحسان غزلاً ضعيف العاطفة، قوي العاطفة الدينية، الفاظه قوية فيها الجلبة والقعقعة واجاد في وصف السفن وتأثير وقع نيرانها على العدو، وهو شاعر المديح الاول في ذلك القرن ومعظم قصائده في الخليفة الفاطمي معز لدين الله، وفيها حدة ومبالغة غير مقبولة[١]:

هـو علـة الـدنيا ومـن خلقـت لـه ولعلـــةٍ مـــا كـــانت الأشـــياء

وافكاره مستنبطة من فكرة الامامية عند الاسماعيلية والتي هي ركن من اركان الدين عندهم والامام عنده اكمل مخلوقات العالم جسداً وروحاً وهو جامـع للفضائل والخيرات ومنبعها، فجسده برئ من كل عيب، وروحه سالم من كل نقصان[٢].

فـــرغ الإلـــه لـــه بكـــل فضـــيلة أيـــامَ أيـــاتِ الكـــتاب تُفصَّـــلُ

وفي سلطانه واعتقاده بالحلولية في جعل الخليفة إلها: - [٣]

مـــا شـــئت لا مـــا شـــاءتْ الاقـــدار فـــاحكمُ فانـــت الواحـــد القهـــار

سمات شـــعره:

أ ــ قصائده المدحية:

١- حاد في صوره الشعرية وفي الفاظه وعباراته يؤثر ها فخمة جزلة ذات جرس عال ورنين واضح مما يدفعه الى الصخب والقعقعة والاتيان بالغريب[١] لذلك

---

[١] ديوان :٥

[٢] ديوانه : ٢٨٤ ، دار صادر ، بيروت .

[٣] نفسه : ١٤٦ .

شبهه ابو العلاء المعري: " برحى تطحن قرونا من اجل القعقعة"، فاكثر من ترديد الفاظ السيف والرماح والقوة .

كما في مطلع قصيدته [٢].

اصاخت فقالت: وقعُ أجردَ شيظم وشامتْ فقالت: لمعُ البيضَ مخذمِ

وما ذُعرتْ إلا لجرس حُليِّها ولا لمحتْ إلا برُى مِن مُخذَّمِ

٢- طويل النفس الشعري: وقليل منها لا تزيد على السبعين، ومن ذلك قصيدة له في المعز لدين الله قوله: [٣].

لكمُ دولة الصدقِ التي لم يَقُم بها نُتَيْلةٌ، والأيام هوجٌ، ركائك

إماميةٌ لم يُخزِ هارونَ سعَيها ولا اشرَكتْ بالله، فيها البرامك

تُرَدُّ الى الفردوس، منكم ارومةٌ يصلي عليكم ربُّها والملائك

ولو عَلِقَتْهُ من اميةَ أحْبُلُ لَجُبَّ سنامٌ من بني الشعر تامك

بني هاشم قد انجز الله وعدَهُ واطلَعَ فيكم شمسَهُ، وهي دالك

٣- عاطفة دينية قوية: يتضاءل عمل العقل معها في اعتقاده بالحلولية الالهية في الخليفة الفاطمي.

٤- لم يكن له حظ كبير من الاختراع والتوليد إلا قليلا، وانما يعتمد على معاني القدامى وصورهم، وهذا يثبت كثرة المامه بالشعر القديم.

٥- اوزانه طوال ذات التفاعيل الكثيرة، واكثرها من الطويل والبسيط والكامل، وقوافيه فخمة التي تملأ الفم وتزحم السمع، وهي موسيقى تتناسب حالة الصراع الذي كان قائماً آنذاك.

---

[١] وفيات الاعيان : ٢ : ٥ .

[٢] ديوانه : ٣١٣ ، اصاخت : اصغت ، الشيظم من الخيل : الطويل الجسم ، شامت : تطلعتْ ، المخذم : السيف القاطع ، بُرى : حلقة سوار وقرط او خلخال .

[٣] ديوانه : ٢٤١-٢٤٨ .

ب – الوصـف: -

وصف ابن هاني جيوش الدولة واساطيلها وخيولها ومعاركها والابطال الذين قادوا تلك المعارك [١]وسار على نهج القدامى في الاستهلال بالغزل ووصف الرحلة ومن ثم الانتقال الى الممدوح ووصف خصاله وقرائن تفوقه، كما وصف ما كان يلفت انتباهه، ويحرك خياله وشاعريته فوصف الازهار والورود وفي الورد يقول: [٢].

الـورد فـي رامشـنةٍ مـن نـرجسٍ والياسمـين وكلهـن غريـب

فـاحمر ذا واصـفر ذا وابـيض ذا فبـدت دلائـل وامـرهن عجيـب

فكـأن هـذا عاشـق وكـأن ذا ك مُعَشَّـق وكـأن ذا رقيـب

وصف الخمر ومجالسها وحاناتها فمن قوله: [٣].

ويغـرسُ اللؤلـؤ فـي العقيـق كـأنّ دُرَّ ثَغـره الانيـق

أُلـف مـن حَبابهـا الفريـقِ او زلّ عـن فيـه الـى الابريـق

مازلـت أُسـقي غيـر مسـتفيق حتـى رايـت النجـم كـالغريق

وله قصائد في وصف الخيول والابل[٤] والنجوم والقمر[٥] وكان واقعياً في التقاط صوره وما يقع تحت نظره وبلغت انتباهه، فوصف لنا رجلا اكولا [٦].

ج – الغزل:

ابن هاني انسان له مشاعر وعواطف، ولم يفلت من عقال المرأة وفسح لهن طرفا من شعره، ومن ذلك وصفه لجانب من مغامراته العاطفية[١].

---

[١] ديوانه : ٣٣١ .
[٢] ديوانه : ٥٨ .
[٣] ديوانه :٢٣٨ .
[٤] ديوانه : ١٥ ، ١٩ ، ٣٥٣ .
[٥] نفسه : ٢٧٠ .
[٦] نفسه : ٣٧٦ -٣٧٧ .

عبـــراتٌ تحثهـــا زفـــــراتُ هـــنّ عنـــــه بألســـــن ناطقـــات

أضُـــم عليهـــا أضـــلُعي وكـــأنها مـــن الـــذُّعر نشَـــوى او تطرّقهـــا لمـــمْ[٢]

و هو يصف محاسن حبيبته، قدودها الجملية وانامله وما يفتر في نفسه من العواطف[٣]وله قصيدة في الفخر تصور نفسيته الأبية قائلاً[٤].

ومّمـــا أعـــانَ علـــيّ الزمـــانّ عفـــافُ يـــدي وعُلُـــوُّ الهِمَـــمِ

فـــلا بـــالعَجوُل ولا بـــالمَلولِ ولا بالسَّـــــؤول ولا المغُتَـــــنم

وإنـــي وإنْ تَرنـــي قابضـــاً جناحـــي إلـــيّ كظيمـــاً وَجِـــم

أقلـــل مِـــنْ هفـــوات المـــزار وأُبـــدي الغنـــاءَ وأُخفـــي العَـــدَم

فـــأني مـــن العـــربِ الأكـــرمين وفـــي اول الـــدهرِ ضـــاع الكـــرم

ويمكن القول أنه كان شاعراً فحلاً، لم ينصفه النقاد القدامى، وقع بين رحى الصراع المذهبي الموظف لأهل السلطة، ولو عمرّ أكثر لكان شاعراً من الطبقة الأولى الشاعر: ابن دراج القسطلي (٣٤٧- ٤٢١هـ)

هو أبو عمر احمد بن محمد بن العاصي بن دراج ويلقب بالقسطلي، وقسطلة بلدة تابعة لجيان، وتنتمي قبيلته الى صنهاجة البربرية، ولد سنة ٣٤٨ للهجرة وعاش صباه وطفولته في عهد الحكم المستنصر المولع بالكتب والمدارس، فادرك نصيبه من العلم والمعرفة ولم يصلنا من قصائده الاولى، واقدم قصيدة وصلت الينا في مدح المنصور بن أبي عامر سنة ٣٨٢ للهجرة ومطلعها: [٥]

أضـــاء لهـــا فجـــر النهـــى فنهـــاها عـــن الـــدنف المضـــنى بِحـــرِّ هواهـــا

---

[١] نفسه : ٦٠ .و ٨ : نفسه : لمم : الجنون .

[٢] نفسه : ٣٤٥ ، لمم : جنون .

[٣] ديوانه : ٣٤٥ .

[٤] نفسه : ٣٣٤ .

[٥] ديوان ق : ٣ ، الدنف : الغروب ، المرض .

و هي قصيدة طويلة تجاوزت خمسين بيتاً، والقصيدة تبدا بمقدمة غزلية، ثم يتحدث عن اثار تلك الرحلة في اسرته وشدة تعلقهم به لينتهي الى مدح المنصور في عشرة ابيات الذي قضى شطر حياته الاولى في مدحه ومدح ابنيه عبد الملك وعبد الرحمن، ويترك قرطبة في عهد الفتنة ويتنقل بين مدن مختلفة مثل سرقسطة الذي امضى عشر سنوات في مدح المنذر بن يحيى وابنه يحيى، ومدينة دانية، بلاط مجاهد العامري الذي امضى سني حياته الاخيرة فيها ويتوفى سنة ٤٢١ للهجرة.

ديوانــه: له ديوان حققه د. محمود علي مكي[١] حوى ستة الالف بيت في مائة وتسع وستين قصيدة ودرسه عدد من الباحثين في رسائل جامعية.

اغراضه الشعرية: المديح: شاعر مداح، كان يتكسب بشعره فمدح الامراء والحكام والوزراء والقضاة... وقصائده تسير على سنة القصيدة العربية القديمة متكاملة العناصر، تمثل الممدوح في صوره المثالية المتمثلة بالشخصية الاسلامية مثل حماة الدين، وحامل راية الجهاد، واحتساب الاجر ونشر العدل.. وتميزت قصائده المدحية بالاتي: -

١- كانت منسجمة مع ظروف العصر، فجسد القيم الخُلقية وملامح الشخصية الاسلامية، وديوانه مرآة صادقة لاحداث عصره، وقد تفاعل الشاعر مع تلك الاحداث ووصف غزوات المنصور بن ابي عامر والمنذر التجيبي وابنه يحيى والاحداث السياسية والدبلوماسية.

٢- وصف الرحلة الى الممدوح وما يقتضيه من المشقة ووصف مواقف الوداع و فراق الاهل، و هو وصف مشوب بمعاني الغربة والقلق والضياع، مصوراً فراق اسرته وشدة تعلقهم به، و هو ما يمكن تسميته بـ (التعلق الاسرى) و هو موضوع فيه جدية وريادة، ومن ذلك قوله: [٢].

---

[١] طبع في المكتب الاسلامي ، دمشق : ١٩٦١ .

[٢] ديوانه : ق : ٧٨ ، وهي بالاصل قصيدة معارضة لقصيدة ابي نواس التي مطلعها

اجارة بيتينا ابوك غيور وميسور ما يرجى لديك عسير

ولمـــا تـــدانت للـــوداع وقـــد هـــفا بصـــــبري منهـــا آنـــةٌ وزفيـــر

تناشـــدني عهـــد المـــودة والهـــوى وفـــي المهـــد مبغـــوم النـــداء صـــغيرُ

عيّـــي بمرجـــوع الخطـــاب ولفظـــهُ بموقـــــع اهـــواء النفـــوس خبيـــرُ

تبـــوأ ممنـــوع القلـــوب ومـــهّدت لـــــه اذرع محفـــــوفةٌ ونحـــــورُ

وقوله في قصيدة في مدح المنصور بن ابي عامر[١].

ولله عزمـــي يـــومَ ودعـــت نحـــوه نفوســـاً شـــجاني بينهـــا وشـــجاها

وربـــة خـــدرٍ كالجمـــان دموعهـــا عزيـــزٌ عـــلى قلبـــي شـــطوط نواهـــا

وبنـــت ثمـــانٍ مـــا يـــزال يروعنـــي علـــى النـــأي تـــذكارى خفـــوق حشـــاها

٣- وصـف الاسفار في البر والبحر، فهو يصف رحلة البحر في قصيدته النونية التي يخاطب فيها خيران العامري[٢].

اليـــكَ شـــحنّا الفلـــك تهـــوي كأنهـــا وقـــد ذعـــرتْ عـــن مغـــرب الشـــمس –

٤- وصف المعارك البرية والبحرية: وقد تناولها في قصائد كثيرة، ضمن قصائده المدحية و سيطرت الصور الحربية على شعره لتعويض عدم مشاركته في الحروب، حيث يستمد اخباره من الجنود العائدين، و في ذلك و صف واقعة خاضها المنصور بن أبي عامر على ثورة زيري بن عطية فوله: [٣]

تحمـــلُ البحـــرُ بحـــراً مـــن الـــقنا يـــروعُ بهـــا امـــــواجه ويهـــولُ

بكـــل معـــالاة الشـــراع كأنـــها وقـــد حملـــت أُســـد الحقـــائق غيـــلُ

اذا ســـابقت شـــأو الريـــاح تخليـــتْ خيـــولا مـــدى فرســـانهن خيـــولُ

---

[١] ديوانه ق : ٣ .
[٢] نفسه : ٣٣ .
[٣] ديوانه : ق : ٣٣ .

اراقــمٌ تُقــري نــاقع الســم مالهــا بمــا حَمــلتْ دون الغــواة مقيــلُ

٥- وصف الطبيعة والرثاء: فهي لا تتجاوز عشرين قصيدة، فالوصف ضمن قصائد المديح في وصف الرحلة الى الممدوح وما مر بالبراري والبحار، والرثاء يتداخل مع المديح في رثاء احد افراد العائلة الحاكمة اضافة الى قصائد مستقلة معدودة.

٦-ميله الى المعارضة لذلك اتهم بالتقليد: وقال عنه احمد ضيف إنه مقلد بارع وتبعه احمد امين..... [١]

٧- تعلقه بالصورة الواحدة مسافة طويلة والحاحه على جوانبها الى حد الملل مثل القصائد الطويلة عند ابن الرومي (٢٨٣هـ).

٨- استخدامه اساليب البديع من طباق وجناس وميله الى المطابقات في الفاظه وإكثاره من الاشارات التاريخية فكان يميل الى المقايسة والتعقيد.

٩- الجزالة والفخامة والقوة في الصياغة اللغوية وتوظيف ثقافته الاسلامية من القرآن الكريم والحديث النبوي واثر الصحابة في شعره.

١٠- من متقدمي شعراء عصره فقد عُدّ من شعراء الطبقة الاولى، وقد اشاد به النقاد القدامى وافتخر به اهل الاندلس من الادباء، ابن شهيد وابن حزم وابن شرف القيرواني[٢].

ثـانياً:-

شعر السجن: كان الشاعر يتعرض احيانا للسجن من جراء التنافس على السطة او من نقد الحكم القائم او اخفاق عسكري او جريمة ارتكبها، او سلاطة لسان او هجاء مُر... ومن الشعراء الذين تعرضوا للسجن احمد بن محمد فرج الجياني صاحب كتاب الحدائق لكلمة عامية نطق بها نقلت عنه واقام في السجن سبعة اعوام،

---

[١] بلاغة العرب : ١٠٠ ، ظهر الاسلام ٢ : ١٢٤ .

[٢] للتفاصيل ينظر : مقدمة ديوانه والادب الاندلسي : ١٥١ ، مذجد و المكان في شعر ابن دراج القسطلي ، رسالة دكتوراه ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٥ .

وكانت له اشعار ورسائل في محبسه الى الحَكم المستنصر لم تكن تصل اليه، ولما توفي الحكم اطلق من سجنه، ومن الشعراء الأخرين الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي الذي اذله المنصور بن ابي عامر لمنافسة بينهما على الحجابة وقد استشفع كثيراً دون الفائدة وكان يتقلب بين اليأس والامل ومن قوله: [1]

صبرتُ على الأيام لما تولّت ... والزمتُ نفسي صَبْرَها فاستمرّت

فوا عجباً للقلب كيف اصطبارُه ... وللنفسِ بعد العز كيف استُذلت

وما النفسُ إلا حيث يجعلها الفتى ... فان طمعتْ تاقتْ وإلا تسَلّت

وكانتْ على الأيام نفسي عزيزةً ... فلما رأتْ صبري على الذلّ ذلّت

فقلتُ لها يا نفسُ موتي كريمةً ... فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وللشاعر الكاتب عبد الملك بن ادريس الجزيري قصيدة تعليمية في الاداب والسنة كتبها الى ابنه من السجن ولاقت إقبالاً كبيراً من الاندلسيين مطلعه: [2]

الوي بعزمِ تجلّدي وتصبّري ... نأي الاحبةِ واعتيادُ تَذكري

ويفصح عن حاله في فقدان صبره وذهاب سروره وتشوقه الى ابنه الاصغر متذكراً ساعة فراقه:

عجباً لقلبي يومُ راعتنا النوى ... ودنا وداعُك كيف لا يتفطّر

ويحث ابنه على طلب العلم:

واعلم بانّ العلمَ ارفعُ رتبةٍ ... وأجلّ مكتسب واسنى مفخَرِ

فاسلك سبيل المقنين له تَسُدْ ... إنّ السيادة تُقتنى بالدفترِ

---

[1] التفاصيل ما تعرض له وقصائده ينظر بيان المغرب ٢ : ٣٩٩ ، الحلة السيراء : ١٢٣ .

[2] الجذوة : ٢٦١ ، يتيمة الدهر ١ : ٤٣٧ ، التكملة : ٢٣١ ، فهرسة ابن خير : ٤١٠ .

وينصح ابنه بالسكوت والاحتراس والحلم.

واخـزن لسـانك واحتـرس مـن نطقـهِ واحـــذر بـــــوادر غيـــهِ ثـــم احـــذر

واصـفح عـن العـوراء إنْ قيلـتْ وَعُـدْ بـــالحلم منـــك علـــى الســـفيه المـــعوِر

و من الشعراء الاخرين يو سف بن هارون المعروف بالرُمادي الذي سجنه الحكم المستنصر فبعـث قصيدة من سجنه يصف فيه حاله بعاطفة جياشة فيما و صل اليه قائلاً [1] .

علـى كبَـري تَهمـي السـحابُ وتَـذرِفُ وعَـنْ جَزَعـي تَبكـي الحَمـامُ وتهتـفُ

كـــأن الســـحاب الواكـــفات غواســـلي وتـــلك علـــى فقـــدي نـــوائح هُتّـــفُ

و يروى انه الف في السجن كتابا سماه " كتاب الطير " و صف فيه الطيور المعروفة شعراً وذكر خواصه وذيّل كل قطعة بمدح ولي العهد الطفل هشام بن الحكم ليشفع فيه عند أبيه [2] والشاعر محمد بن مسعود البجاني الذي قال عنه الحميدي " أنه كان مليح الغزل طيب الهزل " [3].

وتميز شعرهم بالحزن العميق والتشوق الى الحرية والبكاء على الحياة بقلق وحيرة فيه نغمة زهدية حكمية او فلسفية مستمدة من تجربتهم الحياتية، ومواساة انفسهم بالصبر والعزيمة وعدم الجزع من الموت، واستشفاع مذل في قصائد التوسل وهي صور قلقة باكية مكررة في شعرهم لان السجن في أي عصر كان عبارة عن مقبرة الاحياء.

الشاعر الطليق المرواني.

---

[1] المطمح : ٧٣ .
[2] نفسه والصفحة .
[3] الذخيرة ٢/١ : ٧٩ ، الجذوة : ٨٦ ، المغرب ٢ : ١٩١ ، المسالك ١١ : ٤٠٠ .

هو ابو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، وكان يعشق جارية رباها ابوه معه، فنشأ يصبو اليها وتصبو اليه، وذكر لابيه، ولم يحترم رغبته

واستأثر بها فداخلته غيرة شديدة عندما فاجأ اباه في احدى خلواته معها، فقضى عليه[١] وكان عمره ستة عشر عاماً، فأخذ بجرمه وسجن، لمدة ستة عشر عاماً، وتحول السجن بالنسبة اليه الى مدرسة، تعلم فيه الادب والشعر، وعمقت في نفسه الرغبة في الاقبال على التعلم ودربته على الصبر وتحمل الألم، وكان في السجن عدد من الادباء، منهم الشاعر محمد بن مسعود البجاني، الذي اصبح شيخه، فأخذ منهم، وتعلم نظم الشعر واخذ ينظم في السجن قصائد تصل الى اسماع الناس ويرددونها، وكان يشعر بعظم ذنبه تلقاء ابيه[٢].

وكان سنوات سجنه خصبة بالنتاج الشعري الذي لم تصلنا إلا النزر اليسير، ومن ذلك ما قاله في تصوير سجـــنه ، ذلك المكان المظلم ازاء مدينة الزهراء التي تتلألأ انوارها [٣].

فـي مـــنزلٍ كالليـلِ اسـودَ فـاحم داجـي النواحـــي مظلـم الاثبـاج

يسـود والـــزهراء تشـرق حولـه كالحبـــر أُودع فـــي دواة العـــاج

وكان يشعر بالحزن والفناء في لحظات الضيق ويسلي نفسه بان الدنيا زائلة يفني ويُفنى [٤].

ألا إنّ دهـراً هادمـاً كـلّ مـا نبنـي سيـبلى كمـا يُبلـى ويُفنـى كمـا يفنـي

ومـا الفـوز فـي الـدنيا هـو الفـوز إنّمـا يفـوز الفتـى بالربـح مـع الغـبنِ

---

[١] الجذوة : ٣٢٢ ، النفح ٢ : ٣٩٩ ، الحلة ١ : ٢٢٠ .
[٢] الجذوة : ٨٦ .
[٣] النفح ٢ : ٢٦٤ ، الحلة ١ : ٢٢١ .
[٤] النفح ٢ : ٣٩٩ ، المعجب : ٢٨٥ .

يجـازي ببـؤسٍ عـن لـــذيذ نعيمهـا ويجنـي الـردى ممـا غـدت كفـه تجنـي

وفي اطلاقه من السجن روايات مختلفة [1] فعاد الى حياة اللهو بعد ان فطمه السجن لسنوات عدة، ونظم قصائد في الخمر والغزل ووصف الطبيعة والفخر، واشتهر بشدة ميله الى التصوير وشغفه بالتشبيه ومزج صوره بموسيقى عذبة، راقصة النغم، مصوراً الحياة البهيجة من حياة الحب والطبيعة والخمر على عكس قصائده في السجن ومن قوله في وصف ما تحدثه الخمرة على الوجنة: [2].

اصبـــحتْ شمســاً وفـوهُ مَغربـاً ويـــدُ الســـــاقي المحيـــي مشـــرقاً

فـــاذا مـــا غـــربت فـــي وجهـــهِ تركـــتْ فـــي الـــخدِ منـــه شـــفقاً

وله قصيدة مشهورة عند القدامى، واقتبسوا منها شواهد على قدرته الشعرية، وهي قصيدة طويلة بقيّ مما اختير منها ثمانية وثلاثون بيتاً، فهو يصف الساقي والخمر وما يتصل بها ثم يصف الطبيعة في وصف يوم عاصف ماطر ومن ثم حلول الصحو ومنظر الازهار مختتماً القصيدة في الفخر بنفسه وبقومه وفيها يعبر عن مشاعره الصادقة وصياغته الشعرية رصينة مع العناية بالاخيلة والصور ومطلع القصيدة: [3] .

غصْـنٌ يهتـزُّ فـي دعـص نقـا يَجتَنـي منـه فـوادي حُرَقـا

اطلـعَ الحسـنُ لنـا مـن وجهـه قمـراً ليـس يُـرى مُمَّحقـا

ورنـا عَـن طـرفِ ريـم أحـورٍ لحظُـهُ سَهْـمٌ لقلبـي فوِّقـا

باسـمٌ عـن عِقـدِ دُرٍّ خِـلْتُه سلبْتُـهُ لثنـاه العُنقـا

سـالَ لامُ الصُـدغ فـي صـفحتهِ سَـيلان التِّبـر وافـى الوَرِقـا

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٩٩ هيكل ، الدول والامارات : ٢٨٠ .
[2] النفح ٢ : ٣٩٩ ، المعجب : ٢٨٥ .
[3] الحلة ١ : ٢٢٠ ، النفح ٣ : ٥٨٦ ، دعص : كثيب ، نقا : رملة ، ريم : ظبي ، فوِّق : سُدد ، الصدغ : الشعر المنسدل بين الاذن والعين ، الورق : الفضة

ويلاحظ كثرة تشبيهاته التي لا تخلو من عذوبة ونسق صوتي يلذ الاسماع، فشبه قامة المرأة بالغصن النابت في كثيب رملة، وشبهها بالقمر وبظبي احورَ وهي تسدد السهام الى قلوب المفتونين وتشبيه اسنانها بعقود در وصدغ شعرها باللام والاشقر منه بسيلان الذهب على الفضة، مع صياغة لغوية فيها صفاء وسلاسة وعذوبة.

ب – **الاتجاه الحديث:** ان تجمع الاموال وارتفاع المستوى المعاشي من العوامل المساعدة في البحث عن الجديد في المسكن والملبس وطريقة الحياة واشباع الغرائز... والاستمتاع بنعيم الدنيا ومباهجها، وكان المجتمع الاندلسي يتميز بالتحرر، فالمرأة كانت مبتذلة لكثرة الجواري وانتشار دور النخاسة والقيان ومدارس الرقص والغناء فيما كان يطلق عليها " دور المدنيات " وانتشار الحانات، وان الخمر كانت شائعة في الاندلس، فالحكم المستنصر لم يتمكن من منعها على الرغم من أوامره باراقتها وتحطيم دنانها وكان المجتمع خليطاً بين المسلمين والنصارى واليهود ومن اعراق مختلفة، وحالات الزواج بينهم شائعة، وهي العوامل الرئيسة في التفكك الاسرى وضعف تمسك

البيوتات العريقة بعاداتها وتقاليدها، وان معظم امهات الامراء والخلفاء كنَّ من الاسبانيات، كما كانت هنالك طبقة من الغجر تمارس الرقص والغناء والفجور وان المنصور بن أبي عامر طردهم من الاندلس ثم سمح لهم بالعودة، اضافة الى الطبقة الشعبية من سكان المدن الذين لم ينالوا من المدنية إلا قشورها، فالغزل بنوعيه المجون والشاذ كانت غير محرجة ومألوفة في مقدمة بعض القصائد المدحية، وان قصائد أبي نواس وبشار بن برد وصريع الغواني.... كانت تسمع وتترد في مجالس الأنس، لذلك بقيّ الاتجاه الحديث نامياً ومزدهراً في اوساط المحبين لبقاء دواعي نموه، وكان هذا الاتجاه يتجلى في الخمريات والغزل المبتذل والغزل الشاذ، ويسير بمحاذاة الاتجاه المحافظ وقد يلعب الغرض الشعري مسلكه في تحديد اتجاهه الشعري

اضافة الى بواعث القول والمكان وشخصية الشاعر، ويمثل الشاعر الرمادي كلا الاتجاهين.

الشاعر الرمادي، يوسف بن هارون (ت ٤٠٣هـ).

هو أبو عمر يوسف بن هارون الملقب بالرُمادي، وهي صورة عربية لكلمة رومانثي، وجاء في الصلة " كان يلقب بابي جنيش " وجنيس: كلمة اسبانية بمعنى الرماد[١] واسرته تتصل بقبيلة كندة، نسباً او ولاءً، ولد في بداية القرن وعاش معظم

ايامه في قرطبة وتتلمذ فيها على يد ابي علي القالي وروى عنه كتاب النوادر الملحق بالامالي[٢] واكتسب صناعة الادب من شيخه الشاعر المعروف الكفيف أبي بكر بن هذيل (ت٣٨٩ هـ)، ومارس التدريس فترة من الزمن، وعاصر من حكام الاندلس عبد الرحمن الناصر وحكم المستنصر والحاجب منصور بن ابي عامر وولديه، وارتفع شأنه في ايام الحكم واصبح مقدماً على بقية الشعراء، ثم تقلبت به الاحوال مع مجموعة من الشعراء بشعرٍ ظهر في ذم الحكم المستنصر قوله: [٣]

يُولي ويعزلُ مِن يومهِ فلا هذا يُتُمُ ولاذا يَتِم

فسجن ولم يخرج منه إلا بعد وفاة الحكم، وفي سجنه الف مجموعته المفقودة " كتاب الطير " الذي اشرنا اليها في قصائد السجن.

وعاصر المنصور بن أبي عامر الذي اطلق سراحه وتردد عليه، ولم تصلنامدائحه فيه، وغضب عليه المنصور لمصاحبته الحاجب المصحفي المذكوب، وامر بتغريبه فترة من الزمن ان لا يكلمه احد، وكانت له رحلات خارج قرطبة، اقترنت بنشاط شعري الى سرقسطة وشنترين وطال به العمر وادراك الفتنة ومات سنة ٤٠٣ للهجرة فقيراً معدماً[٤].

---

[١] الادب الاندلسي : احمد هيكل : ٢٨٣ .
[٢] عصر الدول والامارات ، شوقي ضيف : ٢٧٨ .
[٣] جذوة المقتبس : ٣٤٩ .
[٤] لتفاصيل عن سيرته وعلاقته مع المنصور ، ينظر : الحلة : ١٢٩ ، الجذوة : ٣٤٧ ، الادب الاندلسي : ٢٠٥ احسان عباس ، الادب الاندلسي : ٢٨٦ هيكل ، الامارات والدول : ٢٧٧ .

شـــعره:

خلف شعراً كثيراً ولم يصلنا ما يدل على إنه كان له ديوان، متعدد الفنون و عد من شيوخ الادب في وقته حتى قيل " فتح الشعر بكندة و ختم بكندة " يعنون به امرأ القيس والمتنبي والرمادي[1] واذا أعجبه قطعة شعرية لشيخه ابن هذيل، عارضه او ناقضه ويروي أنه[2] لقيّ ابن هذيل، فسأله عمّا جدّ له من الشعر، فقال له: ليس عندي كبير، ولكن ما عندك، فاخرج ابن هذيل قصيدة منها.

ومُرِنّـــةٍ والـــدَّجنُ ينســـجُ فوقهـــا بُـــرْدينِ مـــن حلـــك ونـــوءٍ بـــاكي

مالـــتْ عـــلى طـــيّ الجنـــاح وإنمـــا جـــعلَتْ اريكَتَهـــا قضـــيبَ أراكِ

وترنمَـــتْ لَحنَـــين قـــد حلتهُـــما كغنـــاء مســـمعة وأنـــةِ شـــاكى

ففقـــدتُ مـــن نفســـي لفـــرطِ صـــبابتي نفـــسَ الحيـــاة وقلـــتُ مـــن ابكـــاكِ

فاعجب به الرمادي، فقال له ابن هذيل: انصرف الى المكتب و تأدب حتى تحسن مثل هذا، قال الرمادي: فحركني كلامه، ثم بكرت اليه وانشده:

أحمامـــةٌ فـــوق الأراكـــة بيّنـــي بحـــياةِ مَـــنْ ابكـــاك مـــا ابكـــاك

أمـــا أنـــا فبكيـــتُ مِـــنْ حُـــرَق الهـــوى وفـــراقِ مـــن أهـــوى، أأنـــت كـــذاك

أغراضه الشعرية:

١- الخمريات:

لما أمر الحكم المستنصر باراقة الخمر واجتثاث الكروم، أبدى الرمادي اسفه وتوجع لشاربها، وذكر الحكم في قصيدة طويلة بقصة أبي حنيفة النعمان الذي شفع في جار سكير له، كان كل ليلة يشرب متغنياً بقول العرجي:

---

[1] الجذوة : ٣٤٦ .

[2] نثار الازهار : ٨٢ ، اليتيمة : ٣٦٧ ، المطرب : ٦ .

أضـــاعوني واي فتـــى أضـــاعوا ليـــوم كريهـــةٍ وســـداد ثغـــر

ويقول الرمادي:

بخطـب الشـاربين يضـيقُ صـدري وتُرمضـــني بليّـــتُهم لَعَمـــرْي

وهـل هـم غيـر عشـاقٍ أُصيـبوا بفقـــدِ حبائـــبِ ومَنـــوا بهجـــر

ثم يحكى قصة أبي حنيفة وجاره السكير، وتغلب النثرية والاستطراد الشديد والاحتجاج حيث يتفرغ الى الكلام عن مكانة أبي حنيفة وخُلقه وهو خروج عن الموضوع الاصلي في الخمر والدفاع عنه[1].

وله قصيدة أخرى[2] في السرد عن سفينة نوح وفوز ابليس بثلثي كرومها ونوح بثلثها، وفيها مجاهرة في شربها واستهتار ومجون عابث وسخرية بتشبيه الخمر بمقدسات المسلمين.

اشـرب الكـأسَ يـا نصـير وهـات إن هـــذا النهـــار مـــن حســـناتي

بـابي، مُـزّةَ تـرى الشـخص فيهـا فـــي صـــفاء اصـــفى مـــن المـــرآة

تســرع النــاس نحــوها بازدحــام كازدحـــام الحجـــيج فـــي عرفـــات

هاتهـا يـا نصـير اذا اجتمـعنا بقلـــوب فـــي الـــدين مختلفـــات

فـاذا انقضـى دنـان علـى اللهـو اعتمـــدنا مواقـــع الصـــلوات

لـو مضـى الـدهر دون راح وقصـف لعـــددنا هـــذا مـــن الســـيئات

فاستهتاره واضح في جعل إسراع السكارى الى الخمر كازدحام الحجيج حول عرفات، وكان في إمكانه تشبيه ذلك بشيء آخر، إضافة استهتاره بالصلاة فانه يشرب ويلهو مع أصحابه ثم يصلون، فصلاتهم مسبوقة بالسكر واللهو.

---

[1] القصيدة كاملة في ، الجذوة : ١٤ ، المعجب : ١٤ .

[2] دفاتر اندلسية : ٣٥١ ، المطمح : ٨١ .

٢- الغزل بالغلمان:

اندفق كثيراً من طاقته في التغزل بالغلمان حتى ان السجن لم يشغله عنه، كقوله[١].

وأنـي لاغضـي الطـرف عنـك جلالـة وخوفـاً علـى خـديكَ مـن لحظـاتي

ولـو أننـي اهملـت عيـني بـان تـرى سـناك لحـالتْ دونهـا عبراتـي

زعمـتَ بـأني حـلتُ عنـك ولـم اكـن اعنيـك فـي بـثي وفـي حسـراتي

وهـل أنـا إلا طـالب لـمنيتي اذا حُلـت عَمـن فـي يديـه وفـاتي

فهو يخاف على خدى محبوبه خوفاً من النظرات، وربما قصد الحياء او الخجل.

الدراسة الفنية: - قصائده فيها الغث والسمين، قسم قليل الجودة يصل الى السطحية والنثرية وربما يعود الى مرحلة الشباب مثل قصائده في الخمر والمجون وقصائد فيها الجودة كقصيدته في مدح عبد العزيز بن المنذر شقيق الحكم المستنصر، استهلها بمقدمة في وصف الازهار[٢] مطلعها:

تأمـل بـأثر الغـيمِ مِـنْ زهـرةِ الثـرى حيـاةَ عيـونٍ مـتنَ قبـل التـنعم

وقصيدته المدحية في محمد بن عبد الرحمن التجيبي كي يستعينه على ذيل حبيبته " خلوة " والقصة اوردهاالحميدي في الجذوة [٣] وقصائده المكتملة النضج تتسم بالمبالغة في المعنى والتهويل في الصورة كقوله في منع سفر حبيبته: [٤].

ويـا دمـعَ عينـي سـدَّ الطريـق وافـرغ علـيهم نجيـع المـآقي

---

[١] تيمية الدهر ٢ : ١٠١ .
[٢] البديع في وصف الربيع : ١٢ .
[٣] الجذوة : ٣٤٧-٣٤٨ .
[٤] اليتيمة : ٢ : ١٠١ .

والعاطفة الحارة ولاسيما في الموضوعات الجادة كالعذريات والشكوى كقصائده في السجن وله قصيدة يشخص فيها عناصر الطبيعة[1].

كأن الربيع الطلق اقبل مهديا بطلعة معشوق الى عين مغرم

تعجبتُ من غوص الحيا في حشا فافشى الذي فيه ولم يتكلم

كأن الذي يسقي الثرى صرفُ قهوة تنم عليه بالحديث والكلم

اما الصياغة فقد اهتم بالمضمون على حساب اللغة والاسلوب بعيد عن التصنع فغلب السرد والروح القصصية على كثير من قصائده [2].

شواعر عصر الاموي

أ – شاعرات القيان:

كانت قصائدهم ذات نغمة حزينة اسية فيها الشكوى والمرارة من واقع الحال، وكن في الغالب يجدن الغناء والرقص، وهي من مستلزمات حياتهن كجواري السريريات، ومعظمهن يجلبن اسرى و هن صغيرات أو يافعات اثناء الحروب او يخطفن من قبل القراصنة او تجار الرقيق الابيض، و من ثم يتحولن الى جواري الخدمة أو يتم بيعهن في اسواق النخاسة كالبهائم.

١- الجارية العجماء:

وهي اول شاعرة اندلسية، وكانت من الجواري الوافدات من الشرق ضعيفة البنية، هزيلة ودميمة الشكل، وكانت لرجل فقير مولى يسكن معها في بيت صغير قليل الاثات، وكانت تتقن قول الشعر والغناء و هي مثل شواعر القيان كانت تخلق

---

[1] الحلة ١ : ١٠٩ .

[2] للمزيد عنه يرجى مراجعة : الجذوة : ٣٤٦ ، الصلة : ٦٣٧ ، ١٤٩١ ، المطرب : ٣ ، بغية الملتمس : ١٤٥١ ، وفيات الاعيان ٢ : ٥٤٢ ، مطمح الانفس : ٧٨ ، يتيمة الدهر ١ : ١٠٠ ، او ر قم ٨١٩ ، المغرب ١ : ٣٩٢ ، النفح ٢: ٢٢٦ ، مسالك الابصار : ١١ : ١٧٥ ، الادب الاندلسي ، هيكل : ٢٨٣ ، تاريخ الادب الاندلسي ، احسان عباس : ٢٠٥ ، الدول والامارات : ٢٧٧ .

جواً من الحزن الوجداني والكآبة النفسية في نطاق الحب المقرون بالحرمان والغزل المقترن بالشكوى، وقال احدهم جئنا بيت سيدها، اطلعت علينا وكانت ملابسها رثة قديمة، فقلت ما هذه فقالت: اسكت، فتناولت عوداً فغنت: -

بيد الذي شغف الفؤاد بكم تفريج ما ألقى من الهم

فاستيقني أن قد كلفتُ بكم ثم افعلي ما شئت عن علم

قد كان صرمُ في الممات لنا فعجلتْ قبل الموت بالصرم[1]

وهي صورة معبرة، اوردت كلمة صرم مرتين كجناس تام في الحديث عن ملابسها، الكلمة الاولى بمعنى " الجلد" وتقصد الكفن والثانية بمعنى التقطيع والتمزيق وكانت تعتقد أن ملابسها آخر ما ترتديها وتبقى الى مماتها وتدفن بها ولكنها عجلت بالتمزق ولها أبيات مماثلة أوردها المقري في النفح. [2]

٢- قمر:

وكانت جارية، جلبت من بغداد لحاكم اشبيلية ابراهيم بن الحجاج الذي تمرد على الامير عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاوسط في نهاية القرن الثالث للهجرة وكانت جميلة، وجمعت ادباً وظرفا ورواية وحفظاً مع فهم بارع ومعرفة بصوغ الالحان والغناء، وتقول الشعر، من ذلك ما قالته وهي تتشوق الى بغداد: [3]

آها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في احداقِها

ومجالها عند الفراتِ بأوجه تبدو أهلَّتُها على اطواقها

متبخترات في النعيم كأنما خلق الهوى العذري من اخلاقِها

نفسي الفداء لها فأي محاسن في الدهر تُشرقُ من سَنا إشراقِها

---

[1] النفح ٤ : ٤٤٩ .
[2] النفح : ٤ : ٤٤٩ .
[3] النفح ٤ : ١٣٧ .

فاستندت على الحزن والآهات في تصوير صورة بهيجة، وكانت هنالك شاعرات أخريات مثل فضل المدنية، جلبت من بغداد و سبيت و هي صغيرة من الروم[1] ومُتعة جارية زرياب ومصابيح ذات الصوت الرقيق[2] وأسماؤهن تدل على أنهن كنَّ جاريات، في اسماء مستعارة.

ب – شواعر الحرائر.

١- حسانة التميمية، بنت الشاعر ابو المخشي، وقد سبق الحديث عنها.

٢- حفصة بنت حمدون الحجارية، من وادي الحجارة في الاندلس، و هي اول اندلسية تقول الغزل، وكانت من بيت غنى وثراء وذات مال وعبيد، و هي شاعرة رقيقة محسنة في نسج شعرها، منطلقة في افكارها، و من طريف شعرها قولها في حبيب لها الكبرياء ودلال [3].

لـــي حبيـــبٌ لا ينثنـــي بعتـــابٍ واذا مـــــا تركتـــــــه زاد تيهـــــا

قـال لـي: هـل رايـتِ لـي مـن شـبيهٍ قُلـتُ أيْضـاً وهـل تـرى لـي شـبيها

٣- عائشة بنت احمد القرطبية (ت ٤٠٠هـ) يقول المقري: لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعدلها علماً وفهماً وادباً وشعراً وفصاحة[4] وكانت قديرة وعفيفة حسنة الخط تكتب المصاحف، ترتجل الشعر، ماتت عذراء لم تتزوج، وكانت على الرغم من أنوثتها ذات إباء وهـــمة وترفع، خطبها احد الشعراء، فلم تر منه كفء، وألح فكتبت اليه[5]:

أنـــا لَبَـــوةٌ لكننـــي لا ارتضـــي نفســي مناخــاً طــولَ دهــري مِــنْ أحَــدْ

---

[1] للتفاصيل عنهن ينظر : النفح ٤ : ١٣٦ .
[2] نفسه ٤ : ١٢٨ .
[3] المغرب ٢ : ٣٨ ، النفح ٦ : ٢٢ .
[4] النفح : ٦ : ٢٦ .
[5] المصدر نفسه.

ولــو أننــي أختــارُ ذلــك لــم أُجــبْ كلبــاً، وكــم غلقــتُ ســمعي عــن أسَــدْ

ب – عصر الفتنة (٣٩٩- ٤٢٢هـ).

توفي الحكم المستنصر سنة ٣٦٦ للهجرة بعد فترة من الازدهار العلمي والحضاري وأوصى بالحكم لابنه الحدث هشام الملقب بالمؤيد فاستأثر حاجبه المنصور بن أبي عامر بالحكم وأمر ان يذكر اسمه على المنابر والسكة والطرز وبني مدينة الزاهرة، ونظم الجيش على اسس جديدة، واستقدم البربر بصفة محاربين محترفين، وحكم سبع وعشرين سنة وتوفي سنة ٣٩٢ للهجرة وخلفهُ في الحكم ابنه عبد الملك المظفر الذي لم يختلف عن ابيه في السياسة والحزم والعلم، وتوفي سنة ٣٩٩ للهجرة في ظروف غامضة وتولى بعده اخوه عبد الرحمن الملقب بشنجول[١]، وافتتح امره " بالخلاعة والمجانة مجاهراً بالفتك وشرب الخمر " [٢] وحمل الخليفة على توليه ولاية العهد وخرج على سيرة والده واخيه في حملة عسكرية في ظروف غير ملائمة، فأجتمع الساخطون على حكمه ووثبوا على صاحب الشرطة وقتلوه وخلعوا هشام المؤيد سنة ٣٩٩ للهجرة، وكانت بداية للفتنة التي استمرت ثلاثاً وعشرين سنة وعندما وصلت الاخبار اليه تفرق عنه الجند وقتل في الطريق، وفي هذه الفتنة انكشفت الاحقاد الدفينة وقلبت المقاييس وخربت الدور وعمت الفوضى وانهارت اركان الدولة، واستولى الافرنج على الثغور المهمة ووصف المقري عن ابن الرقيق وفي" يوم واحد " فتحت قرطبة وهدمت الزهراء وخلع الخليفة المؤيد وولى الخليفة المهدى... واقيمت جيوش من العامة ونكب خلق من الوزراء اخرون وكان كله على يد عشرة فحامين وجزارين وزبالين وهو جند المهدي، وكان قيامه شؤماً على الدين والدنيا، وضرب الزهراء واخذ أموالها ثم حرقها وهدمها، وأجج الفرقة بين المسلمين باضطهاد البربر، واستعان بالافرنج لضرب خصومه البربر

---

[١] للمزيد ينظر : صورة المجتمع الاندلسي : ١٥-٣٩ .
[٢] النفح ١ : ٤٢٣ .

الذين تجمعوا خارج قرطبة ووحدوا قواهم واختاروا سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين خليفة للمسلمين، واصبحت قرطبة ميدان قتال، وكان المستعين "يجوس خلال الاندلس ورجاله ومن معه من البربر ينهبون ويقتلون ويقفرون المدائن والقرى بالسيف وينهبون كل ما يجدونه من أموال " [1] وفي تلك الفتنة قتل حشد كبير منهم الاديب ابن الفرضي الذي " بقي في داره ثلاثة ايام ودفن متغيراً من غير غسل ولا كفن ولا صلاة "[2] وخرج عنه العلماء والأدباء وتفرقوا في الارض، واصبحت للافرنج اليد الطولى في تولية الحكام، وبلغ عددهم ثلاثة عشر حاكماً، ولم يكن لهم السلطة الا على مساحات قليلة بعد سيطرة اصحاب السيوف والخارجين عن القانون على المدائن، وتوزعت البلاد الى مناطق نفوذ وسيطرة في حروب طاحنة من غير توقف تمهيداً لتقسيم البلاد وبدء عهد ملوك الطوائف ولاسيما بعد اعلان الخليفة هشام بن عبد الملك المرواني الملقب بالمعتد بالله التنازل عن الخلافة الى مجلس من اعيان المدينة برئاسة ابن جهور وظهر في تلك الفترة غرض شعري هو رثاء المدن التي خربت وازيلت معالمها الحضارية[3].

* * * *

رثاء المدن والحواضر التي خربت اثناء الفتنة:

لأبي طالب عبد الجبار أرجوزة طويلة في تاريخ الاندلس ورد في ملحق كتاب الذخيرة لابن بسام[4] وصف فيها تلك الفترة، ويقول عن بداية الفتنة: -

لما أنقضتْ دولة بني عامر قام المهدي من آل الناصر

فوقعت بينهم حروب لاح من بينها الهروب

فأظلمت في عصر الآفاق وعمها الشقاق والنفاق

---

[1] النفح ١ : ٤٢٦-٤٢٧ .
[2] الحلة السيراء ٢ : ٥-٨ ، اعمال الاعلام : ١٢٨-١١٣ .
[3] النفح ٢ : ١٣٠ .
[4] الذخيرة ٢/١ : ٩٤١ .

ويمثل ديوان ابن دراج القسطلي وقصائده المدحية صورة للواقع السياسي الذي مرّ به البلاد في تلك الحقبة، مع الاشارة الى ان ابن دراج كان شاعراً مداحاً، مدح معظم الحكام والامراء اصحاب السلطة، وفي المهدي الذي خرب قرطبة قصيدة مدحية[١] وكان لبعض الخلفاء مقطعات شعرية مصورة الحالة التي كانت عليها، كمقطعة للمستعين بالله الذي سيطر على قرطبة مرتين سنة ٤٠٠ للهجرة و٤٠٣ للهجرة وحكم ست سنين وعشرة اشهر[٢] منها: -

حلفتُ بمن صلى وصام وكبرا لأغمدها فيمن طغى وتجبرا

وابصر دين الله تحيا رسومه فبدل ما قد لاح منها وغيّرا

والغريب ان الشعراء قد مدحوا هؤلاء الخلفاء الذين لم تكن فيه سمة واحدة للخلافة فالمستعين بالله كان مستبداً شديداً وقال ابن بسام " أنه سبق المعتضد بن عباد الى اتخاذ الحديقة المطلعة لرؤوس اعدائه، وفي تلك الحديقة قصيدة لصاعد بن الحديد يسميها جلاء للعين اولها: [٣]

جلاء العين مبهجة النفوس حدائق اطلعت ثمر الرؤوس

هناك الله مهدي المساعي جنى الهامات من تلك الغروس

فلم أرقبها وحشاً جميلاً كريه روائه أنس الأنيس

فما يملأ الاسماع منها اذا ملئت من انباء الطروس

وقد وصف ابن حزم خراب مدينة الزهراء قوله " اخبرني بعض الوارد.. أنه رأى دورنا ببلاط مغيث في الجانب الغربي منها، وقد امحتْ رسومها، وطمست اعلامها وخفيت معاهدها، وغيرها البلى، وصارت صحارى مجدبة بعد العمران وفيافي موحشة بعد الانيس، وخرائب منقطعة بعد الحسن، وشعاباً مفرعة بعد الأمن

---

[١] ديوان ابن دراج ٤٣-٤٥ .
[٢] النفح ١ : ٤٢٩ .
[٣] الحلة السيراء ٢ : ٤ .

و مأوى للذئاب، ومعارف للغيلان، وملا عب للجان، ومكامن للو حوش، بعد ر جال كالليوث وخرائد كالدمى تفيض لديهم النعم الغاشية تبدد شملهم فصاروا في البلاد ايادي سبأ " [1] وفي ذلك يقول: [2]

سـلام علـى دار رحلنـا وغـودرت خـلاء مـن الأهلـين موحشـة قفـرا

تراهـا كـأن لـم تغـن بـالأمس بلقعـا ولا عمـرت مـن أهلهـا قبلنـا دهـرا

فيـا دار لـم يقفـرك منـا اختـيارنا ولـو اننـا نختـار كنـت لنـا قبـرا

واكثر الشعراء البكاء على المدينة بعواطف جياشة صادقة كلها ألم وحسرة و من ذلك قول ابن شهيد[3] يقارن ما كان عليه قرطبة من البهجة والعمران و ما وصلت اليها من الخراب والدمار:-

ياجنـة عصـفت بهـا وبأهلهـا ريـح النـوى فتـدمرت وتـدمروا

ايـام كانـت عـين كـل كـرامة مـن كـل ناحـية اليهـا تنظـر

أيـام كانـت كـفٌ علـى سـلامة تسـمو اليهـا بالسـلام وتبـدر

حزنـي علـى سـرواتها ورواتهـا وثقاتهـا وحماتهـا يتكـرر

نفسـي علـى ألائهـا وصـفائها وبهائهـا وسنائهـا تتحسـر

كبـدي علـى علمائهـا، حلمائهـا ادبائهـا، وظرفائهـا، تتفطـر

وقوله: [4]

فلمثـل قرطبـة يقـل بكـاء مـن يبكـي بعيـن دمعُهـا متضـجر

---

[1] طوق الحماسة : ١٨٢ .
[2] اعمال الاعلام : ١٠٧ .
[3] ديوان ابن شهيد : ٦٩ .
[4] ديوان ابن شهيد : ١٠٩ .

وقوله في هجرة العلماء والادباء مراكز المدن وتركها الى المحاربين واصحاب السيوف الغرباء [1].

ادور فلا اعتام غير محارب واسعى فلا القى امرءاً لي يسالم

كما بكاها ابن فرج الالبيري، السميسر[2].

وقفت بالزهراء مستعبراً معتبراً أندب اشتاتاً

فقلت: يازهرا ألا فارجعي قالت: وهل يرجع من ماتا

فلم ازل أبكى وأبكى بها هيهات الدمع هيهاتا

كأنما اثار ما قد مضى نوادب يندبن امواتا

ونقل لنا محيي الدين بن عربي ابياتاً قال أنه قرأها على بعض جدران الزهراء بعد خرابها[3].

ديارٌ باكناف الملاعب تَلمعُ وما إنْ بها مِنْ ساكن وهي بلقعُ

ينوح عليها الطير من كل جانب فيصمت أحياناً، وحينا يرجع

فخاطبت منها طائراً متغرداً له شجن في القلب وهو مروّع

فقلت على ماذا تنوح وتشتكي فقال: على دهر مضى ليس يرجع

ولم تقتصر احداث الفتنة على عاصمة الخلافة وتجاوزتها الى معظم المدن الاندلسية التي اصبحت مراكز لاصحاب السيوف والنفوذ، وارخ ابو اسحاق الالبيري (ت٤٦٠هـ) لاحداث خراب مدينة البيرة سنة ٤٠٠هـ في عشرين بيتاً [4].

يضيع مفروض ويغفلُ واجبٌ وأني على أهل الزمان لعاتب

---

[1] النفح ١ : ٥٢٧ .
[2] النفح : ٢: ٦٨ .
[3] دولة الاسلام في الاندلس : ٤٠٠ ، محمد عبد الله عنان ،مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٩.
[4] ديوان ابي اسحاق الالبيري : ٧٣-٧٥ .

اتنـــدب أطـــلال البـــــلاد ولا يـــرى لألبيـــرة مـــنهم علـــى الارض نـــادبُ

وايـــن بحـــار العلـــم والحـــلم والنـــدى وايـــن الأكـــف الهاميـــات الســـواكب

شـــققنا علـــى مـــن مـــات مـــنهم جيوبنـــا وكـــــان قلـــيلاً أن تشـــق الترائـــب

اشهر الشعراء الذين تأثروا بالفتنة.

١- ابن شُهيد ابو عامر

ابو عامر ابن شُهيد (٣٨٢-٤٢٦ هـ) هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن شُهيد، ورث المكانة عن ابائه، فقد كان جده الاعلى وزيراً وجده الادنى وزيراً للخليفة وابوه عاملاً على المنطقة الشرقية على الاندلس ثم وزيراً ونديماً للمنصور بن أبي عـامر، ولـد بقرطبـة سـنة ٣٨٢ فـي احضـان النعمـة والتـرف واللهـو، وكـان يحضـر مجالسه مع أبيه وعندما اندلعت الفتنة كان عمره (١٨) سنة فتفاعل مع احداث عصره واقترب من الحكام وتفاعل معهم، وسجن في عهد الـقاسم بن حمود سنة ٤٠٧ هـ، وصور لنا الفتنة وتوفي مبكراً سنة ٤٢٦هـ بعد ان اصيب بمـرض الفالج[١] تفوق من ميادين الشعر والنثر والنقد، له كتاب " حانوت عطار " ورسائل متفرقة اهمها رسالة التوابع والزوابع.

ديوانـه: لم يجمع ديوانه، ولم ترد الاشارة الى جمعه، وقام د. شارل بيلات يجمع ما تيسر له وبلغ عدد الابيات ٨٥٣ بيتاً [٢] وبعد ذلك يعقوب زكي[٣] ودرس شعره حازم عبد الله بعنوان " ابن شهيد الاندلسي " حياته وادبه[٤] وتطرق كثيرون الى رسالته " التوابع والزوابع: كما يتبين عند دراستنا للنثر في العصر الاموي.

---

[١] للمزيد عنه ينظر : الادب الاندلسي ٢٧٠-٣٠٢ ، احسان عباس

[٢] دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٦٣ .

[٣] دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د. ت .

[٤] دار الوطنية للتوزيع والاعلان ، بغداد ، ١٩٨٤ .

شعره: اتصف ابن شُهيد بصفات خُلقية وخلقية مختلفة اثرت على نتاجه الشعري، فكان ثقيل السمع، فكثر عنده الحوار كقوله:

قلتُ: هب لي يا حبيبي قبلةً تَشّفُ من غمكَ تبريح الصدى

فانثنى يهتز من منكبهِ قائلاً: لا ثم اعطاني اليدا

وكان يميل الى اللهو والبطالة وقال الحجاري عنه (كان الزم للكأس من الاطيار بالاغصان، واولع من خيال الواصل بالهجران) [1] فكثر عنده شعر المجون والخمر ضمن قصائد طويلة مثل قصيدته الهمزية التي مطلعها.

خليليّ عوجا بارك اللهُ فيكما بدارتها الاولى نُحَيِّ فِناءها

وهي قصيدة في سبعة واربعين بيتاً[2]، وكان يتميز باسرافه في الكرم حتى رويت عنه الاساطير [3] وكان عزيز النفس، كثير الفخر بنسبه الاشجعي، شديد الاعجاب بنفسه وكان ذلك سبباً في تأليفه رسالة التوابع والزوابع ومعارضته للشعراء

الجاهليين والعباسيين وكثرة شعره في رثاء النفس وكان يميل الى الفكاهة والهزل وحرارة في الاجوبة والالفاظ المقذعة في رسائله، واثرت فيه نظرته النقدية لانها جعلته في وعي بما يصفه في الشعر وما اصاب الشعر من تطور لذلك لم يسرف في البديع ولم يقصر في المدح والخمريات والمجون والاخوانيات والهجاء وتفوق في شعر الرثاء لاسيما رثاء النفس وشعر تصوير الفتنة كما له مقطعات شعرية في الوصف، كوصف النحلة والبرغوث وطبق الباقلاء والغمام والحراشف... وله شغف بالجناس وخياله واسع وموسيقاه يتملكه أحياناً الحدة نتيجة لطبعه الحاد وشعوره بغبن الزمن عليه ومن اغراض شعره: -

---

[1] المغرب ١ : ٨٥ .

[2] القصيدة كاملة في تاريخ الاندلس ، احسان عباس ٤١٢-٤١٤ .

[3] المطرب : ١٤٧-١٤٨ .

١- وصف الفتنة:

او ما يمكن تسميته بالشعر السياسي ويختلط كثيراً بقصائد المديح والفخر، وله قصيدة ميمية طويلة يتعرض فيها للفتنة وكيف انها نشرت ظلماتها بيد الظالم وتحول فيها الأذناب المغمورين الى قادة ورؤساء، وسادت الفوضى وضاعت الحقوق كأن الناس فقدوا ابصارهم يساقون ولا يدرون الى اين؟.

من فتنة قد أسبلتْ ظلماتها بيد المظالم
عمهت لها أحلامنا وكأنها أضغاث حالم
وتضاءلت أجرامنا فيها بموبقة الجرائم
وتحولتْ فينا الذنا بي الرأس وابن المجد راغم
وادار كل صغير قد ر المنتهى ارحى العظائم[١]

٢- الرثاء:

له شعر وافر في الرثاء، فقد رثى كثيراً من معارفه، منهم الوزراء وأصدقاؤه وفي رثاء الوزير ابي عبيدة حسان بن مالك قصيدة طويلة[٢] يبين فيها فداحة الخطب واثره في نفسه بعد ان هوى قمر مضيء مشرق، فساد الظلام واخذ يتخبط كالاعشى في الليل، كما له قصيدة في رثاء القاضي ابن ذكوان[٣] والوزير ابي

جعفر اللمائي[٤] فيذكر عظم المصاب والسقم المنشور على جسده بساعة الرحيل في الانتقال بين المرثى ورثاء النفس.

فقلت والسقم منشور على جسدي يحدو الردى ورداء العيش مطوي

---

[١] الذخيرة ١/١ : ٢٠٢ .
[٢] جذوة المقتبس : ١٨٣ ، معجم الادباء : ٧ : ٢٢١ .
[٣] النفح ٢ : ٢٤٣ ، المغرب ٢١٥/١-٢١٦ .
[٤] الذخيرة /١ : ٣٣٠-٣٣١ .

يقول ابن بسام " ولما طال بابي عامر ألمه وتزايد سقمه وغلب عليه الفالج هم بقتل نفسه " [١].

انـــــوح علـــــى نـــــفسي نبلهـــــا اذا انـــا فـــي الضـــراء ازمعـــتُ قتلهـــا

رضـــيتْ قضـــاء الله فـــي كـــل حالـــة علـــيّ واحكامـــــها تيقنـــت عـــدلها

اظـــل قعيـــد الـــدار تجنـــبني العصـــا علـى ضـعف سـاق اوهـن السـقم رجلهـا

ورثى نفسه وجعلته يتفجع عليها مصوراً حاله بصور شتى ومعان مختلفة، فهو يتذكر ما قضى من ايام اللهو والملاذ التي ذهبت من غير رجعة ولم يبق إلا الشعور بالخسران وضياع العمر.

تأملـتً مـا افنيـتُ مـن طـول مـدتي فـــــلم اره إلا كلمحـــــة نـــــاظر

وحصـلت مـا ادركـت مـن طـول لـذتي فلـــم الفـــه إلا كصفقـــة خاســـر[٢]

وقاده خياله ان يتمنى ان يسكن مكانا من جبل عالٍ بعد ان ادرك ان الموت لاحقه وكل يوم يرسل اليه نذيرا[٣].

ولمـــا رأيـــت العـــيش ولـــى برأســـه وايقنـــت ان المـــوت لا شـــك لاحقـــي

تمنيـــت أنـــي ســـاكن فـــي غيـــابة بـــاعلى مهـــب الـــريح فـــي رأس شـــاهق

وكان يتذكر اصحابه وايامه معهم ويبعث اليهم بتحياته[٤].

اقر السلام على الاصحاب اجمعهم وخـــص عمـــراً وبـــأزكى نـــور تســـليم

وعندما ايقن أنه مودع وصى ان يكتب على قبره في لوح رخام الاتي[٥].

بسم الله الرحمن الرحيم

---

[١] نفسه ١/١ : ٣٢٨ .
[٢] الذخيرة ١/١ : ٣٣٢ .
[٣] نفسه ١/١ : ٣٢٩ .
[٤] نفسه ١/١ : ٣٣١ .
[٥] نفسه ١/١ : ٣٣٤ .

".. قل هو ذبأ عظيم أنتم عنه معرضون " هذا قبر احمد بن عبد الملك ابن شُهيد المذنب مات و هو يشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله، وان الجنة حق وان النار حق وان البعث حق وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور.

يـــا صـــاحبي قـــم فقـــد أطلنـــا انحـــن طـــول المـــدى هجـــودُ
فقـــال لـــي لـــن نقـــوم منهـــا مـــا دام مـــن فـــوقنا الصـــعيد
تـــذكركم ليلـــة لـــهونا فـــي ظلـــها والزمـــان عيـــد
وكـــم ســـرور همـــى علينـــا سحـــابة ثـــرة تجـــود
كـــل كـــأن لـــم يكـــن تقضـــى وشؤمـــه حاضـــر عتيـــد
حصـــله كاتـــب حـــفيظ وضمـــه صـــادق شـــديد

وتوفي رحمه الله وعمره لم يتجاوز اربعة وأربعين سنة[1].

ابن حزم الاندلسي (٤٥٦هـ):

هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم، لقب بالقرطبي وبالظاهري نسبة الى مولده ومذهبه، فقيه الاندلس وعالمها، صاحب التصانيف في الادب والجدل والفقه والاحكام، ومجدد مذهب داود الظاهري.

ولد من اسرة عريقة في الاسلام سنة ٣٨٤هـ، وكان ابوه وزيراً للمنصور بن ابي عامر، وهو من اصل ايبري اندلسي او فارسي على رواية اخرى، وشارك في الاستماع للمواعظ واحاديث العلماء في مجالس ابيه و هو صغير في الخامسة عشرة من عمره، وقد عهد الى النساء لتربيته وتحفيظه القرآن وروى الشعر على ايديهن، لذلك غلبت رقة في شبابه وحياء وخجل في مجالس الرجال وسوء ظن بالنساء لانه

[1] للتفاصيل عن حياته وشعره ينظر : مقدمة ابن شهيد الاندلسي / حياته وأدبه، د. حازم عبد الله وتاريخ الادب الاندلسي ، احسان عباس : ٢٧٠ – ٣٠٢ .

شاهد من اسرار النساء ما لايكاد يعلمه غيره، وتجاوز الامر الى علاقات عاطفية مبكرة.

كان للفتنة اثر في نفسه وفي حياته حتى انتهت به الى السجن الذي كان نقطة تحول في حياته، وتصرف بعدها الى التأليف والتصنيف ومناظرة العلماء وزعماء الاديان والملل مما ادى الى ان يتكالب عليه الاعداء فلم يستقر به المقام، فأخذ ينتقل من مدينة الى اخرى حتى استقر في مدينة صغيرة " لبله " موطنه الذي ولد فيه فأدركته المنية سنة ٤٥٦هـ رحمه الله[١].

ثقافته: رجل موسوعي، فهو فقيه ومحدث ومؤرخ ولغوي، ويقال بلغت تصانيفه ما يقارب اربعمائة مصنف ورسالة، وهو مجدد المذهب الظاهري وامامها، وواضع علم مقارنة الاديان، وفي الجانب الادبي فهو شاعر وكان له ديوان جمعه ابو عبد الله الحميدي صاحب جذوة المقتبس على حروف المعجم وقال عنه [٢] " كان له في الاداب والشعر، نفس واسع وباع طويل وما رأيت من يقول الشعر على البديهة اسرع منه " وهذه الشهادة دليل على عدم اكتراثه بالشعر بحيث يأتي دون روية واناة لذلك جاء الشعر عنده ثانوياً

كما كانت له اراؤه النقدية المبينة على الرؤية الدينية الخُلقية لذلك حرّم بعض الاغراض الشعرية او كرهها.

أبرز موضوعـــاته:

١- شعر الغزل والنسيب:

وهو اكثر موضوعاته الشعرية، واشعاره تعود الى مرحلة الشباب وهو متميز بعمق الشعوري مع عفة ترتفع عن الفحش والمجون، وفي كتابه " طوق الحمامة "

---

[١] الادب الاندلسي :٣٠٣ ، احسان عباس ، الادب الاندلسي : ١٥٨ ، د. منجد .
[٢] جذوة المقتبس : ٢٩٠ .

مقطعات كثيرة تعبر عن تجاربه وتجارب غيره واطول ابواب كتابه " فضل التعفف وقبح المعصية " ومن ابياته[1].

وددتُ بـــان القـــلب شُـــق بمديـــةٍ وأُدخلـتِ فيـه ثـم اطبـق فـي صـدري

فاصـــبحتِ فيـــه لا تحـــلين غيـــره الـــى مقتضـــى يـــوم القيامـــة والحشـــر

تعيشـين فيـه مـا حييـتُ فـأنْ أمُـت سـكنتِ شـغاف القلـب فـي ظلـم القبـرِ

وكتاباته تعكس مزجاً فريداً بين فقيه يفكر بقلبه ويكتب بعقله، بمنظور اسلامي.

٢- الفخر والرد على المنافسين:

وهو يمثله في مرحلة متقدمة من عمره بعد ان اشتدت خصومه واخذ يدافع عن ارائه، ومن ابياته يقول مخاطباً المعتضد بن عباد الذي أمر بحرق كتبه[2].

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي تضـمنه القرطـاس بـل هـو فـي صـدري

يسـير معـي حيـث استقـــلت ركـائبي ويـــنزل ان انـــزل ويـــدفن فـــي قبـــري

وله مقطعة يفتخر بنفسه فيقول:

أنـا الشمـــسُ فـي جـو العلـوم منيـرةٌ ولكـــــن عيبـــي أن مطلعـــي الغـــربُ

ولـو أننـي مـن جـــانب الشـرق طـالع لجـدّ علـى مـا ضـاع مـن ذكـرى النهـبُ

فـان ينـزل الرحـــمن رَحلـي بيـنهم فحينـــئذ يـــبدو التأســـف والكـــربُ

هـــنالك يـــدري أن للـــبعد قصـــةٌ وان كـــساد الـــعلم آفتـــه القـــربُ

٣- الشعر الاسلامي والفلسفي:

له قصيدتان ميميتان تنمان عن عاطفة دينية عنيفة وعن قيم خلقية، نشرهما د.احسان عباس في ملحق كتابه تاريخ الادب الاندلسي [3] مع قصائد أخرى فالقصيدة

---

[1] طوق الحمامة : ٩٣ .

[2] الذخيرة ١/١ : ١٧١ .

[3] تاريخ الادب الاندلس ،احسان عباس ، الملحق ٣٧٠-٤٠٢

الاولى في ثمانين بيتاً، يبدأ بالحمد والثناء لرب العالمين، وكيفية خلقه وينتقل الى الحديث عن نبوة محمد (ص) ومعجزاته، ومن ثم الوعظ واخذ العبرة من الأمم الغابرة، وتغلب على اسلوب القصيدة المباشرة والوعظ والارشاد حتى تقترب من الشعر التعليمي، وتدنو لغتها من لغة التخاطب.

ومطلع القصيدة

لــك الحـــمد يـــارب والشـــكر ثـــم لـــك الحمـــد مـــا بـــاح بالشـــكر فَـمْ

والقصيدة الاخرى في مئة وستة وثلاثين بيتاً في الرد على كاتب مرتد نال من الاسلام كما له اشعارٌ في الحكمة والزهد والتصوف وفي الرثاء والتفجع .

الدراسة الفنية:

١- غلبت على لغته واسلوبه السهولة لقوله الشعر على البداهة والارتجال.
٢- تأثر بعلوم عصره لاسيما المذهب الظاهري.
٣- يغلب على شعره الجانب التعليمي واسلوب المباشرة والمخاطبة عدا قصائده في الغزل ففيها العاطفة وبراعة النظم.
٤- فهو كاتب وفقيه قبل ان يكون شاعراً (**)

* للمزيد عنه يرجى مراجعة دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة د. الطاهر احمد مكي ، مكتبة وهبة ١٩٧٧ ، الجذوة : ٢٩٠ ، طبقات الأمم : ٨٦ ، المعجب : ٣٠ ، المغرب ١: ٣٥٤ ، الـذخيرة ١/١ : ١٤٠ ، الـنفح ١: ٣٦٤ ، البغيـة رقـم : ١٢٠٤ ، شـذرات الـذهب : ٣ : ٢٩٩.... ، وله تمثال حجر في مدينة قرطبة الاسبانية افتتح عند احتفالهم بذكراه المئوية التاسعة سنة ١٩٦٣ .

النـثر في عهد الامـوي

استمرت ضروب النثر على تقسيماتها المعروفة في عهد الولاية من الخطابة والرسائل والوصايا وبرز ضروب اخرى مثل المناظرات والمنافرات والمحاورات والمواعظ والوصف التي توجبها مظاهر الحياة الجديدة ـ ويمكن حصر أهم مميزات النثر في عهد الامارة والخلافة والفتنة بما يأتي: -

١- مهنة الكتابة:

كثر الكتاب واصبحت مهنة لها اصولها ولوازمها، وكانت تطلق لفظة الكاتب على كتاب الرسائل، وهو منصب رفيع لصيق بالحاكم، ورسائلهم تسمى بالرسائل الديوانية، وهي المراسلات بين الحكام وقادتهم من توجيهات ادارية وأوامر سياسية وعسكرية وكتب المبايعة وكتب التولية وعقود الامان وكتب الصلح وكتب التوبيخ او الاستفسار وغيرها، وقد وصف المقري كاتب الرسائل بقوله " فله حظ في القلوب والعيون عند اهل الاندلس واشرف اسمائه الكاتب، وبهذه السمة يخصه من يعظمه في رسالة، واهل الاندلس كثيرو الانتقاد على صاحب هذه السمة، لا يكادون يغظون عن عثراته لحظة، فان كان ناقصاً عن درجات الكمال لم ينفعه جاهه ولا مكانه من سلطانه من تسلط الألسن في المحافل والطعن عليه وعلى صاحبه " [١] وجودة الخط ومعرفة انواع الرق والمداد والقلم من مستلزماتها اضافة اتصافه بصفات شخصية لائقة لبلاطات الحكام من الهندام واللباقة والدبلوماسية وكانت هنالك مهنة أخرى تسمى اصحابها بكتاب الزمام وهم مسؤولون عن شؤون الخراج[٢] ودخلت المرأة في ميدان الكتابة الرسمية، وقد اورد ابن عذاري اسماء كثيرة وقد برعوا في هذا الميدان،

---

[١] النفح ١ : ٢٠٢ .
[٢] الحلة السيراء : ١٩٢ .

منهم مُزنة كاتبة الخليفة الناصر[1] ولبنى كاتبة الخليفة المستنصر[2] وكتاباتهم تختلف عن الرسائل الاخوية او الشخصية التي تجري بين الادباء في المناسبات المختلفة.

وتميزت الكتابة الرسمية بتفضيل الايجاز والقصد في التعبير والقول وايثار المعنى والايماء والحدة في الخطاب، عدا الرسائل او الكتب التي كانت تستوجب التفصيل مثل كتب العهود والمواثيق والتولية، ومن امثلة الرسائل في فترة الخلافة: ما كتبه الحكم المستنصر على لسان ابيه الخليفة عبد الرحمن الناصر الى الفقيه ابي ابراهيم حين تخلف عن حضور الاعذار الذي صنعه الناصر لاولاده وقد جاء فيه " بسم الله الرحمن الرحيم –حفظك الله وتولاك وسددك ورعاك – لما امتحن أمير المؤمنين، مولاي وسيدي – ابقاه الله – الاولياء الذين يستعد بهم وجدك متقدماً في الولاية متأخراً عن الصلة، على أنه قد انذرك، أبقاه الله، خصوصاً للمشاركة في السرور الذي كان عنده، لا اعدمه الله توالى المسرة، ثم أنذرك من قبل ابلاغاً في التكرمة، فكان منك على ذلك كله من التخلف ما ضاقت عليك المعذرة واستبلغ امير المؤمنين في انكاره ومعاتبتك عليه فاعيت عليك عنك الحجة، فعرِّفني أكرمك الله ما العذر الذي اوجب توقفك... " [3] فرد الفقيه " قرأت ابقى الله الامير سيدي هذا الكتاب وفهمته ولم يكن توقفي لنفسي، انما كان لامير المؤمنين سيدنا – ابقى الله سلطانه – لعلمي بمذهبه وسكوني الى تقواه واقتفائه لاثر اسلافه ورضوان الله عليهم – فانهم يستبقون من هذه الطبقة بقية لا يمتهنونها بما يشينها ولا بما يغض منها ويطرق من قصادهم، فلهذا تخلفت ولعلمي بمذهبه إن شاء الله تعالى " ومن أمثلة على الايجاز ما كتبه امية بن زيد كاتب عبد الرحمن الى بعض عماله يستقصره فيما فرط من عمله " اما بعد فإن يكن التقصير لك مقدماً فعند الاكتفاء يكون لك مؤخراً، وقد علمت بما قدمت، فاعتمد على أيهما احببت " [4](*).

---

[1] البيان المغرب : ٢ : ١٦٩ ، ترجمتها في الصلة : ١٥٣٠ ، وبغية الملتمس : ١٦٩٠ .
[2] الصلة : ١٥٢٩ ، البغية : ١٥٨٩ .
[3] النفح ١ : ١٧٧ .
[4] البيان المغرب ٢ : ٨٦ .

٢- **الخطابة:**

استقرت الخطابة في ذلك العصر على ما تعهد عليه في البدء باسمه تعالى والحمد له والثناء على نبيه الكريم ثم الدخول في الموضوع، وكانت المقدمة تطول وتقصر تبعاً لما يقتضيه الحال، ومن الخطب التي اشارت اليها الكتب خطبة البلوطي، تلك الخطبة التي القاها الفقيه منذر بن سعيد البلوطي في حفل الاستقبال الذي اقامه عبد الرحمن الناصر لسفير امبراطور الروم البيزنطية، حيث وقف ابو علي

القالي ليخطب بين الناس، فافتتح بحمد الله والثناء على الرسول، واستغلق عليه الامر ولم يتمكن، فقام من مكانه وكمل الخطبة، و هي خطبة مشهودة أوردها ابن عذارى في البيان المغرب [١] .

٣- **المحاورات:**

التي كانت تجري في بلاط الامراء، ومن المحاورات الطريفة التي دارت بين عبد الناصر والفقيه منذر بن سعيد، وكان الاول قد اسرف في تزيين قبة بالذهب والفضة، وسأل حاشيته وجلساءه، فاكبروا صنعه وأشادوا بها إلا الفقيه اعلاه قال: " يا أمير المؤمنين، ما ظننت إن الشيطان – لعنه الله – يبلغ منك هذا المبلغ، ولا ان تمكنه من نفسك هذا التمكين – مع ما اتاك الله من فضله ونعمته، وفضلك به على العالمين – حتى ينزلك منازل الكافرين " فانفعل الناصر وقال له: "أنظر ما تقول، وكيف انزلتني منزلتهم " ؟

فقال له المنذر: نعم أليس الله تعالى يقول "ولو لا ان يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون "

فوجم الخليفة: واطرق مليا ثم قال: -

---

* على الطلبة تحليل النصين اعلاه .

[١] البيان المغرب ٢ : ٢٩٧ .

" جازاك الله يا قاضي عنا و عن نفسك خيراً، و عن الدين والمسلمين أجل جزائه وكثر من امثالك، فالذي قلت هو الحق "[1] وللفقيه محاورة اخرى معه بعد انشغاله ببناء قصر الزهراء وعدم حضوره صلاة الجمعة لثلاثة اسابيع[2].

٤- ظهور حركة النقد، والدعوة الى التفصيل والابتعاد عن الايجاز المبهم:

و من ذلك ما قاله ابن حزم الاب " إني لأعجب ممّن يلحن في مخاطبة او يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة لانه ينبغي له اذا شك في شيء ان يتركه ويطلب غيره فالكلام اوسع من هذا " ويبلغ هذا النقد ذروته عند ابن شهيد ضد المؤدبين الذين يعجزون عن تعليم البيان[3].

٥- تنوع أساليب النثر وتميز أصولها وطرائقها وأساليبها:

نتيجة لظهور حركة النقد وفهم تنوع اساليب النثر و عدم الاعتماد على تقليد المشارقة حصراً، وانتقالهم من طريقة الجاحظ وسهل بن هارون الى طريقة بديع الزمان الهمذاني، يقول ابن شهيد " ألا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الاول في هذا الفن الى طريقة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من اهل البيان... ثم دار الزمان دورانا فكانت احالة اخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابني وهب... ثم دار الزمان فاعترى اهله باللطائف صلف وبرقة الكلام كلف، فكانت إحالة الى طريقة البديع وشمس المعالي واصحابهما "[4].

---

[1] النفح ١ : ٢٦٨ .
[2] النفح ١ : ٦٦ ، ٣٦٧ .
[3] الادب الاندلسي : ٣٣٠ ، احسان عباس .
[4] الذخيرة ١/١ : ٢٠٧ .

٦- **ظهور حركة التأليف الأدبي: -**

أ – النثر الفني:

وهو التأليف الذي يعتمد على الصنعة ويلعب الخيال دوراً في صياغتها وكان الاندلسيون يحتفون بالاثار الكتابية، واشتهر بعض الرسائل شهرة واسعة عندهم، فقد ورد في الجذوة ان رسائل ابن دراج كان الناس يتناقلونها ويعجبون بها وهي مستقلة عن الكتابة الديوانية، ويتخذ موضوعات من الحياة في ترتيب[١] افكاره وصوره، وهو يمثل نقلة نوعية في النثر الفني الانشائي، كرسائل ابن شهيد مثل رسالة التوابع والزوابع، ورسائل ابن برد الاصغر في المفاضلة بين السيف والقلم والرسائل التي جمعها الحميري في كتاب البديع في وصف الربيع في التفاضل بين الازهار المختلفة، وفي عصر الطوائف رسائل ابن زيدون فيما يسمى بالرسالة الهزلية والرسالة الجدية ورسائل ابن خفاجة النثرية في وصف الطبيعة، وكانت تلك القطع النثرية تتميز بأساليب كتابها، فابن زيدون كان مكثراً للاقتباسات والتلميحات والاشارات وابن حيان كانت كتاباته انعكاس لشخصيته في الحدة والعنف وكثرة المتعاطفات والاغراب في الاشتقاقات وابن حزم كان يعتمد على البساطة في التعبير دون الالتفات الى المزينة اللفظية والسجع لغلبة المضمون على كتاباته، بينما كانت رسائل ابن شهيد في التوابع والزوابع قريبة من اسلوب المقامات ولاسيما رسائله في صفة البرد والنار والحطب ورسالته في الحلواء كما تتبين لاحقاً في حديثنا عن تلك الرسالة الخيالية.

---

[١] الجذوة : ١٠٤ .

ب- كتب تاريخ الادب والتراجم:

أُلفت معظم هذه الكتب معارضة لكتب مشرقية، و هي مزيجة بين التاريخ والادب والاخبار والمختارات والتراجم ومن هذه الكتب " طبقات الشعراء بالاندلس " لعثمان بن ربيعة القرطبي " معارضة لكتاب"طبقات الشعراء" لابن سلاّم، واخبار الشعراء بالاندلس لمحمد بن هشام المرواني وشعر الخلفاء من بني امية " لابن مغيث على وفق ما عمله الصولي في الاوراق عن خلفاء العباسيين وكتاب الحدائق لابن فرج الجياني عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الاصبهاني وتاريخ شعراء الاندلس وكتاب " المؤتلف والمختلف " لابن الفرضي[1] وغيرها من الكتب التي لم تصلنا إلا القليل.

ج- المؤلفات الادبية:

ونعني بها الكتب الادبية التي يكون فيها التهذيب والتأديب ككتب التي ظهرت في الشرق مثل كتب الجاحظ والمبرد وابي الفرج الاصفهاني وقد جمعت هذه الكتب بين طياتها مختارات من الشعر والنثر التاريخ والطرائف وبين اللغة والرواية والبلاغة والنقد، وهي كتب ثقافية وغذاء للروح ومن هذه الكتب العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي وطوق الحمامة لابن حزم الاندلسي، وكتاب الحدائق لابن فرج الجيابي، وكتاب " الفصوص " لصاعد البغدادي وكتاب الامالي للقالي وغيرها وقد اخترنا ثلاثة كتب يعود كل واحد منها الى حقبة زمنية مختلفة وهي: -

١- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي، وأُلف في عهد الامارة في ظل عبد الرحمن الناصر.

٢- رسالة التوابع والزوابع، لابن شهيد والفت في حقبة الفتنة.

٣- طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم، الف في عصر ملوك الطوائف

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٥٤ ، هيكل .

كتاب العِقد الفريد

وهو كتاب اخبار وادب ونوادر ومن امهات الكتب العربية، ألفه ابن عبد ربه الاندلسي (٢٤٦-٣٢٨ هـ) [١] وانتهى من تأليفه قبيل وفاته بستة اعوام ويمثل قمة نضوجه الفكري والثقافي، طبع لمرات عدة، منها طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت في سبعة مجلدات، نظم الكاتب كتابه على شكل عِقد وقسمه الى عدة فنون، جعل ابواب كتابه خمسة وعشرين باباً، فكل باب باسم جوهرة، واختار اثنتي عشرة جوهرة لابواب الكتاب وقابلها باثنتي عشرة اخرى ثم جعل الواسطة الخامسة والعشرين كما جعل لكل حجارة كريمة في العقد مثيلتها في النصف الآخر، وجعل كل كتاب منها جزئين فاجتمع منها خمسون جزءاً بدأها بكتاب اللؤلؤة في السلطان ثم كتاب الفريدة في الحروب ثم كتاب الزبرجدة في الاجواد الى رقم (١٢) كتاب المجذبة في الاجوبة، و(١٣) كتاب الواسطة في الخطب ثم قابله باثنتي عشرة جوهرة أخرى.

وفي كتاب اللؤلؤة الاولى في السلطان (٢١-٨٩) تناول الموضوعات الآتية:

التعريف بالسلطان، نصيحة السلطان ولزوم طاعته، ما يصحب به السلطان، اختيار السلطان لاهل عمله، حسن السياسة واقامة المملكة، بسط المعدلة ورد المظالم، صلاح الرعية بصلاح إمام، قولهم في الملك وجلسائه ووزرائه، صفة الامام

---

[١] هو احمد بن محمد يكنى بابي عمر ، نشأ في قرطبة ،واتصل بعلماء عصره ، كما اتصل بأمراء الدولة الاموية ، محمد بن عبد الله الاوسط وابنيه المنذر وعبد الله وقال فيهم مدائح كثيرة ، كما له أرجوزة في غزوات عبد الرحمن الناصر ٤٤١ بيتاً وأرجوزة في العروض (١٩٢) بيتاً ، وشعره مجموع بعنوان " شعر ابن عبد ربه " من قبل محمد بن تاويت ، المغرب الرباط ، ١٩٧٨ ، ورسالة ماجستير " شعر ابن عبد ربه جمعاً وتحقيقاً ودراسة " د. موسى رزق ريحان ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ ، وجمع آخر بعنوان " ديوان ابن عبد ربه " ، محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩ (سلسلة دراسات اندلسية) ، وله قصائد ومقطعات كثيرة في الغزل ، وجاءت معظمها في باب الشواهد الشعرية ، لذلك جاءت باهتة وله قصائد كثيرة في الاداب الاسلامية ، نظم معظمها في سياق الامثال في عقده وهو شاعر التقليد والمعارضة ، كما تتبين لاحقاً في موضوع المعارضات الشعرية ، توفي سنة ٣٢٨ هـ بعد ان اصيب بالفالج ، الجذوة : ١٧٢ ، المطمح : ٢٧٠ ، وفيات الاعيان : رقم ٤٥ ، رايات المبرزين رقم ٦٤ ، معجم الادباء ٤ : ٢٢٢ ، مقدمة كتاب العقد .

العادل، هيبة الامام في تواضعه، حسن السيرة والرفق بالرعية، ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم، التعرض للسلطان والرد عليه، تحلم السلطان، المشورة، حفظ الاسرار، الاذن، الحجاب، باب الوفاء والغدر، الولاية والعزل ومن احكام القضاة.

منهجهُ: يختار الاخبار الجديرة بالجمع ثم ينسقها على وفق الموضوعات المتشابهة في ابواب محددة، وحذف الاسانيد والرواة على سبيل الايجاز.

مصادرهُ: الثقافة العربية الاسلامية التي سبقته مثل عيون الاخبار لابن قتيبة والبيان والتبيين والبخلاء والحيوان للجاحظ والكامل للمبرد وطبقات الشعراء لابن سلام والسيرة لابن هشام ودواوين الشعراء.

صدى الكتاب: اقترن الكتاب بمقولة للصاحب بن العباد، انفرد ياقوت الحموي بذكرها فقال "... هذه بضاعتنا ردت الينا، ظننت إن هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلاد هم واذما مشتمل على اخبار بلادنا لا حاجة لنا فيه فردّه "[1] وبسبب المهاجاة التي كانت بينه وبين معاصره محمد بن يحيى القلفاط (٣٢٢ هـ)الف كتابا سماه" حبل الثوم "[2] مما يدل على الصراع الادبي أو المعركة الثقافية التي كانت بين المشارقة والاندلسيين او بين الاندلسيين فيما بينهم.

---

[1] معجم الادباء ٤ : ٢١٤ .
[2] النفح ٢ : ٢٩٤ .

هدف تأليف الكتاب.

١- تعريف اهل الاندلس بالمشرق ونقل الاخبار والمعلومات من مصادرهم لان الاندلسيين مغرمون بكل ما هو مشرقي.
٢- تعريف اهل المشرق بأهل الاندلس وعرض جانب كبير من اخبارهم.
٣- تقوية ثقة اهل الاندلس بأنفسهم، وانهم قادرون على منافسة المشرق.

اهمية الكتاب.

١- حوى اخبارا وطرائف مصاغة باسلوب ادبي رائع.
٢- اشعار المؤلف التي انتظمت بين اجزاء الكتاب وهي تقارب الف بيت.
٣- الاشعار التي اوردها لشعراء الاندلس مثل يحيى الغزال وعباس بن فرناس ومؤمن بن سعيد وغيرهم.
٤- النصوص النثرية والمقدمات التي صيغت بعناية ادبية كبيرة ووصفه احمد هيكل بقوله " والكتاب عظيم القيمة من النواحي التاريخية والادبية والعلمية، وهو ذخيرة ادبية حافلة بالنصوص القيمة شعراً ونثراً في شتى الفنون والاغراض والمواقف، وهو موسوعة ثقافية عربية عامة فيها اللغة والنقد والعروض، بل فيها الموسيقى، وهو الى ذلك مصدر لمعرفة كثير من تاريخ واخبار حكامها وعادات اهلها... ونثره خال من التكلف أقرب الى الوضوح والسلاسة مع ميل شديد الى الاقتباس والاستشهاد وايراد مأثور القول مع رغبة في التزيين والسجع في بعض الاحايين " [١] وهذا يتوافق مع قول ابن عبد نفسه في مقدمة الكتاب قوله:

" وقد نظرت في بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متصرفة في فنون الاخبار ولا جامعة لجل الآثار، فجعلت هذا الكتاب جامعاً لاكثر المعاني التي تجري

[١] الادب الاندلسي : ٢٥٨-٢٦٠ ، هيكل .

على افواه العامة والخاصة، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة، وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الاخبار في معانيها وتوافقها في مذاهبها، وقرنت بها غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا إن لمغربنا على قاصية، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور " وكتب دراسات كثيرة عن هذا الكتاب[1].

طوق الحمامة في الألفة والآلاف: والمشهور بـ طوق الحمامة: للفقيه والنسابة والمؤرخ والمتكلم المتفلسف والشاعر وحامل لواء الثقافة الاندلسية في عصره علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (ت٤٥٦هـ)، وهو رواية ذاتية في فلسفة الحب، يتناول العاطفة الانسانية معتمداً على التجربة والملاحظة والتحليل النفسي واستخلاص النتائج لقصص واقعية صريحة في غير تكلف او سجع عن الحب العذري العفيف وتجاربه فيه وتجارب معاصريه وما له سلطان على النفوس وما يثير من ألام وشكوى وضحايا وتحديد لمعالم المحبيين وشخصياتهم المستقبلية، وان الحب بين النفوس لا بين الاجسام وصنف كتابه على هيئة رسالة جعل من مقدمتها سبباً لتأليف الرسالة وهي رد على سائل بعث اليه صديق له يسأله عن صفة الحب ومعانيه واسبابه واعراضه، وهو تسويغ لتسطير كتابه لانه رجل فقيه وعالم في الكلام وليس في الحب.

أسباب تأليف الكتاب.

١- **تربيته المبكرة على يد النساء ومعرفته لاسرارهن:** " لقد شاهدت النساء وعلمت من اسرارهن ما لايكاد يعلمه غيري لأني رُبّيت في حجورهن ونشأت بين ايديهن، ولم اعرف غيرهن، ولا جالست الرجال إلا وانا في حد الشباب، وهن علمنني القرآن ورويننني كثيراً من الاشعار ودربْذني في

---

[1] منها : رسالة د. جبرائيل جبور بعنوان " ابن عبد ربه وعقده " سنة ١٩٣٣ ، ووقف د. محمد رضوان الداية على الجانب النقدي منه في كتابه " تاريخ النقد الادبي في الاندلس ٢٨٠-٢٨٣ ، بينما وازن د. حازم عبد الله خضر في بحث له الكتاب بين المشرق والمغرب بعنوان " العقد الفريد بين المشرق والاندلس ، مجلة اداب الرافدين ، الموصل ، ١٩٧٦ ودراسات اخرى كثيرة .

الخط " [1] لذلك غلب عليه الخجل والحياء، وهو سبب رئيس في عدم بلورة بعض تجارب الحب عند كثير من ذوي الخلق الرفيع.

٢- حبه من جانب واحد لجارية في بيته، كلف بها طول حياته، وفي ذلك يقول " وأني لاخبرك عني أني ألفتُ في أيام صباي أُلفة المحبة جاريةً نشأت في دارنا وكانت قي ذلك الوقت بنت ستة عشر عاماً، وكانت غاية في حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها وخفر ها دماثتها، عديمة الهزل، منيعة البذل، فقيدة الذَّام [2] قليلة الكلام، غضيضة البصر، شديدة الحذر نقيةً من العيوب، دائمة القطوب، حلوة الاعراض، مطبوعة الانقباض... كانت تحسن العود إحساناً جيداً، فجنحت اليها وأحببتها حباً مفرطاً شديداً، فسعيت عامين او نحوها أن تجبني بكلمة، واسمع من فمها لفظة، غير ما يقع في الحديث الظاهر الى كل سامع... ويستمر حديثه عنها الى يـوم كانت عندهم وليمة وتجمع النساء " كانت في دارنا مشرفة على بستان الدار ويُطّلع منها قرطبة وفحوصها[3]، مفتحة الابواب، فصرن ينظرن من خلال الشراجيب[4] وانا بينهن، واني لاذكر أني كنت اقصد نحو الباب الذي هي فيه، أُنساً بقربها، مُتعرِّضاً للدنو منها، فما هي إلا ان تراني في جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره مع لطف الحركة... ثم نزلن البستان، فرغب عجائزنا وكرائمنا الى سيداتها في سماع غنائها، فأمِرَتْها فأخذت العود وسوّته بخفرٍ وخجلٍ لا عهد بمثله... ولعمري لكأن المضراب كان يقع على قلبي، وما نسيت ذلك اليوم، ولا انساه الى يـوم مفارقتي الدنيا[5] ثم تحدث الفتنة ويفارق قرطبة ويراها بعد بضع سنوات في جنازة لبعض

---

[1] طوق الحمامة : ٤٨ .
[2] الذام : العيب .
[3] الفحوص : الضواحي .
[4] الشراجيب : الشبابيك او القوائم .
[5] طوق الحمامة : ٢٠٥ .

اهلـه باكيـة نادبـة، فأثـارت فيـه وجـداُ دفينـا وحركـت سـاكنا وزاد الشـجا وتوقدت اللوعة ورآها مرة اخرى بعد خمسة اعوام فقد غاض الحسن وذهبت نضارتها لفقدها الصيانة التي كانت لها في قصر ابيه وايام عزه، ويقول أنه مع ذلك لو انالته أقل وصل واذست له بعض الانس لُجنّ طرباً او لمـات فرحـاً.. [1] ويلاحـظ ان ابـن حـزم لـم يصـف مظاهرهـا الجسـمية والشكلية، واكد على ظاهرة الحياء والعفة والطهارة وهي من مظاهر الحب العفيف.

٣- وفاة زوجته وكانت جارية في غاية الحسن خَلقاً وخُلقاً، ولم يلبث القدر ان فجعه فيها وهو دون العشرين فالتاع لوعة شديدة حتى يقول انه اقام بعدها سبعة اشهر لا يتجرد عن ثيابه وانه لم يطب له عيش بعدها[٢].

٤- شعوره بالغربة، وتعرضه للسجن والهجرة والفاقه، وكتابه حديث اديب مهاجر غريب، احب ان ينفس عن نفسه بذكر ماض قلبه وما يعرف عن قلوب الاخرين علماً أنه ألف كتابه سنة ٤١٨ او ٤١٩ للهجـرة وهو في منتصف العقد الثالث من عمره [٣].

أبواب الكتاب.

جاء في مقدمة كتابه " وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً، منها في اصول الحب عشرة، فاولها باب في ماهية الحب ثم باب في علامات الحب ثم باب في ذكر من احبّ في النوم، ثم ذكر باب فيه ذكر من احب بالوصف ثم باب فيه ذكر من لا تضع محبته إلا مع المطالعة ثم باب التعريض بالقول ثم باب الاشارة بالعين ثم باب المراسلة ثم باب السفر، وفي اغراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر

---

[1] المصدر نفسه.
[2] طوق الحمامة : ١٧٩ .
[3] نفسه : المقدمة .

باباً ومن ثم الافات الداخلة على الحب ستة أبواب، وبابان ختما بهما الرسالة هما باب الكلام في قبح المعصية وباب فضل التعفف.

أهمية الكتاب.

١- عامل دين يكتب عن الحب، وقد سوّغ عمله بقوله " ان الحب ليس بمذكر في الاديان ولا بمحظور في الشريعة، اذ القلوب بيد الله عز وجل " كما حاول تهوين التحرج بأثار رواها " اجمعوا النفوس بشيء من الباطل عونا لها على الحق " " اريحوا النفوس، فأنها تصدأ كما يصدأ الحديد "

٢- نهاية الكتاب " باب قبح المعصية وباب فضل التعفف " تتضح عفة ابن حزم وتجذره الديني الاصيل وسعة بابه في فن الحديث، رواية ودراية كما تبين عمق نظرته الاخلاقية الواقعية.

٣- دراسة نفسية تحليلية لما مضى في حياته وما كان يعانيه من خلق وضيق نفسي والاشمئزاز من المصير " فانت تعلم ان ذهني متقلب وبالي متهضم بما نحن فيه من نبوّ الديار والجلاء عن الاوطان وتغير الزمان ونكبات السلطان وتغير الاخوان وفساد الاحوال وذهاب الوفر " وفي الكتاب تحليل نفسي ذاتي لحياته وللشخصيات التي تقوم ببطولة الحكايات التي سيقت في اطار تاريخي كاشف طبيعة مشاعرهم واذواقهم بما في ذلك انحرافات وضلالات بعض الرجال الذين ينتمون الى قرون بعيدة.

٤- تصوير واقعي لقصص كثيرة تكشف كثيراً من الحياة الاندلسية واسرار حكامها وما في البيوت والقصور من الاسرار.

٥- تضمن الكتاب ابياتاً شعرية كثيرة تراوحت بين الجودة والتوسط، كما احتوى نصوصاً نثرية بعيدة عن الصنعة والتكلف فهو يؤثر البساطة والدقة.

٦- ثقافته الواسعة، العقلية والدينية التي انعكست على اسلوبه فيورد المصطلحات الفلسفية والمنطقية ويهتم بالعلل والمقدمات والنتائج.

٧- ترجم الكتاب الى لغات عدة، وكتبت عنه دراسات كثيرة[١].

نموذج من مقطع له

باب فضل التعفف.

"... وان من هام قلبهُ، وشُغَل باله، واشتد شوقُه، وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله وشهوته وان يقهر دينه، ثم أقام العدل لنفسه حصنا وعلم أذها النفس الامارة بالسوء، وذكرّها بعقاب الله تعالى، وفكر في اجترائه على خالقه و هو يراه، وحذرها من يوم الميعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز، الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج الى بينة، ونظر بعين ضميره، الى انفراده من كل مدافع بحضرة علاّم الغيوب " يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم... " ثم يأتي بحوادث وقصص تيسر لهما الرذيلة وأغواهما الشيطان إلا ان صاحبه ابي وخاف الله انقياد لقوله (صلى الله عليه وسلم) " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله... رجلُ دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال: أني اخاف الله... " يخاف الله ويخاف تبعاتها في الدنيا والآخرة.

** * *

رسالة التوابع والزوابع (شجرة الفكاهة): [٢]

رسالة خيالية قصصية نقدية لم تصلنا كاملة، اورد ابن بسام فصولا منها في ذخيرته، كتبها الشاعر والاديب ابو عامر ابن شهيد بين سنتي ٤١٤-٤١٥ باسلوب المقامات متصوراً نفسه في رحلة مع جني اسمه " زهير بن نُمير " الى ارض الجن، ويلتقي هناك بتوابع الشعراء والكتاب، ويُجري معهم محاورات ومناظرات ادبية شعراً ونثراً، فينتزع اعجابهم وتقديرهم.

---

[١] ينظر مقدمة : محقق الكتاب ،تحقيق د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، مصر ، و هامش كتاب الدول والامارات ، شوقي ضيف ، ٤٩٤ .

[٢] التوابع : جمع تابع : الجني (او الجنية) الذي يتبع الانسان حيثما ذهب وان لكل انسان تابع.

الزوابـع: جمـع زوبعـة، اسـم شـيطان الـذي يكنـى الاعصـار الـذي يرتفـع فـي السماء، واللفظان من الاوابد.

بواعث تأليف الرسالة:

١- شعوره بان الادباء والنقاد لم يعطوا حقه من التكريم والمنزلة الادبية، وكانوا يكنون له الحقد والكيد.
٢- السخرية من مناوئية لاسيما الاديب الكاتب ابو القاسم الافليلي.
٣- استحصال الاجازة والتقدير والاعجاب من فحول الشعراء والكتاب.

فصـول الرسالة:

المقدمة: جعل ابن شهيد صدر رسالته مدخلاً ليعلل به رحلته الى عالم الجن فقداورد على لسان ابي بكر بن حزم صديقه اعجابه ببراعته الشعرية على صغر سنه " كيف اوتي الحكم صبيا وهزّ بجزع الكلام فاسقط عليه رُطباً جنيا " قائلاً وان كان قليل الاطلاع، ذو موهبة طبيعية حيث عزاها الى تابعة تنجذه وزابعة تؤيده لأن تلك الشاعرية ليست في قدرة الانسان على رايه، ويقوده خياله الخصب، انه في مطلع شبابه، مات من يهواه، فجزع عليع جزعاً شديداً وقصد رثاءه، فاستغلق عليه ونظم ابياتاً قليلة، لم يستطع ان يكمل حتى اسعفه فارس يمتطي فرساً ادهماً ويصيح: أعجزاً يافتى الانس ثم يجيز أبياته، ويسأله عن شخصيته فيخبره بانه زهير بن نُمير من اشجع الجن، وتتفق الصحبة بينهما، وهو اشجعيّ مثله أي ان قبيلة من الانس يقابله قبيلة عند الجن، وأنهم جميعاً ليسوا قباح الصور وانهم مخلوقون حسب الصور التي يمثلونها من بني الانس لذلك كان فيهم على شكل الحمار والبغل والاوزة لان الانس في طبائعهم هذه الاشكال نفسها على راى ابن شهيد، فيرحل معه على متن جواده، فينزل ارضاً متفرعة الشجر كثيرة الزهر، ليست كارضنا وجّونا، مع ذلك أنه لا يميزها بشئ خاص، وهنالك اراد ان يلتقي تابعي الاموات وبعض الاحياء.

الفصل الأول: يتعرف على توابع الشعراء، صاحب امرئ القيس وطرفة بن العبد وقيس بن الخطيم، وفي صاحب امرئ القيس يقول: " فظهر على فرس شقراء كأنها تلتهب " وفي طرفة يقول: وركضنا حتى انتهينا الى غيضة شجرها شجران: سام يفوح بهاراً وشجر يعبق هنديا وغاراً، فرأينا عينا معينة تسيل ويدور ماؤ ها فلكيا ولا يحول... فبدا الينا راكب جميل الوجه قد توشح السيف واشتمل عليه كساء خز وبيده خطي وهو شيطان طـرفة واسمه عنتر بن العجلات، فيرحب بهما ويستنشد ابن شهيد شيئاً من شعره، فيجيبه في ادب جم: الزعيم اولى بالانشاد، فينشد الشيطان قصيد طرفة.

لسُعْدي بـجزّان الشُّـريف طُـلولُ

فينشده ابو عامر ابن شهيد قصيدته:

أمـن رسـم دار بالعقيق مُحيلُ

وما أن ينتهي من الانشاد حتى يصيح الشيطان: لله أنتَ، اذ هب فانك مجاز، ثم يغيب عنهما، ثم يقابل توابع المحدثين الذين تربطهم به رابطة محاكاة او معارضة، أبي تمام والبحتري وابي نواس والمتنبي من العباسيين وبصورهم وبيئتهم على الهيئة التي يتصورها عنهم مثلاً:

عندما يسأل عن صاحب ابي نواس يقول له زهير " أنه بدير حنة منذ اشهر، قد غلبت عليه الخمر "

الفصل الثاني: يلتقي بتوابع الكتاب، فيلتقي في مجلس واحد بتابعي الجاحظ وعبد الحميد الكاتب ثم يقرأ عليهما رسالته في صفه " البَرْد والنار والحطب " فاستحسناه ثم يورد رسالته في وصف الحلواء على مختلف انواعها فيقول في الزلابية: ويلٌ لامها الزانية، أبِأَ حشائي نسجت، أم مِن صفاق[1] قلبي، أُلِّفتْ.؟ فاني اجد مكانها من نفسي مكينا، وحبل هواها على كبدي متيناً... " ثم انتقل الى معاصريه من اعدائه، فصور اشدهم عليه ابا القاسم بن الافليلي بصورة كاريكاتيرية مضحكة،

[1] صفاق : غشاء

وحوار فيه سخرية، ثم يلتقي بصاحب بديع الزمان الهمذاني فيقترح عليه ان يصف جارية فيصفها، ويطلب ابن شهيد ان يسمعه وصف للماء فيقول بديع: ذاك من العقم فيثور ابن شهيد، ويولد للماء وصفا جديداً، فيعتاظ صاحب بديع ويضرب برجله الارض وينزل الى باطن الارض.

الفصل الثالث: فصل نقدي: ينتقل مع تابعه الى مجلس من مجالس الجن، يتذاكر معهم ما تعاورته الشعراء من المعاني، من زاد فاحسن، ومن قصر في الاخذ، فيورد امثلة ونصوصاً لشعراء: الافوه الاودي والنابغة الذبياني وابي نواس وصريع الغواني وابي تمام والمتنبي وغيرهم لكي يظهر براعته في تتبع المعاني.

الفصل الرابع: المشهد الاول: يلتقي بقطيع من حُمر الجن وبغالهم ويحتكم في قصيدتين لبغل وحمار، ويوظف المشهد للسخرية بخصومه.

المشهد الثاني: يقف على بركة ماء يتحدث مع اوزة جميلة فصيحة ناقدة نحوية لغوية اسمها العاقلة وكنيتها أم خفيف، وتدخل مع أبي عامر في مناظرات لغوية وهو يهرب منها لانه أي ابن شهيد يحسن الشعر والخطابة اكثر من احسانه النحو، ويصف تلك الاوزة وهي ساكنة ومتحركة، قوله " وكانت بالقرب منا اوزة شهلاء، في مثل جثمان النعامة، كأنما ذرّ عليها الكافور، او لبست غلالة من دمقس الحرير، لم ار أخف من رأسها حركة.... "

الرسالة بين التجديد والمحاكاة:-

١- كان العرب لهم اعتقاد راسخ بوجود الجن، وقد اقر القرآن الكريم وجودهم وفصل الجاحظ في عاداتهم وتقاليدهم، ولكن ابن شهيد وضعهم في عالم آخر غير عالمنا .

٢- ايمان شعراءالجاهلية بالشياطين التي تعينهم على قول الشعر، كقول أبي النجم العجيلي: -

أنـــي وكـــل شـــاعر مـــن البشـــر شيطـــانه أنثـــى وشـــيطاني ذكـــر

وللبحتري قوله في وصف ديوان كسرى:

لـــيسَ يـــدري أصـــنع انـــسٍ لجـــنٍ سكنـــــوه أم صـــــنع جـــن لانـــس

٣- **الانتقال الى العوالم الاخرى:** الايمان باليوم الاخر من ثوابت الاديان السماوية، وفي التاريخ الاسلامي امثلة على الانتقال الى العوالم الاخرى، فالآدم (ع) انتقل من الجنة الى الارض، والنبي ادريس صعد السماء، وحديث الاسراء والمعراج للرسول الكريم، وفي الادب اليوناني والروماني، أمثلة كثيرة على الانتقال الى العالم السفلي، وفي الياذة هوميروس التي كتبت شعراً سنة (٩٠٠ق م) وردت فيها احاديث كثيرة عن الحياة الثانية وعالم الموتى، وفيها وصف لظلمات الجحيم وانهار جهنم ونعيم الجنة وذكر الشفاعة وميزان القضاء العظيم وفي ملحمته الثانية " اوديسة الجزء الثاني عشر يرحل الاوذيس الى منازل الموتى ويقابل ارواح رفاقه، وفي القرن الرابع (ق. م) عرض الشاعر الكوميدي ارستوفان (٤٤٨-٣٣٨ ق. م) مسرحية عظيمة باسم الضفادع ينتقل الى عالم الموتى ويتناول معهم المشكلات الادبية والنقدية، اضافة الى موضوعات متشابهة في الادب البهلوي في انتقال المصلح (اردا ويراف) الى البرزخ الاعلى ورجوعه الى الارض لوعظ الناس، وما ورد في اساطير الاولين عند قدماء المصريين في اسطورة ايزيس وازوريس في الصراع بين اله الخير واله الشر وعند البابليين في صعود اله مردوك الى السماء [١].

٤- تشابه رسالة التوابع والزوابع مع رسالة الغفران لابي العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) اذ انتقل الاول الى عالم الجن والثاني الى عالم الآخرة ومحاوراتهما للادباء والشعراء فيعرض للمشكلات الادبية باسلوب قصصي، وتغليف رسالتيهما بما يناسب شخصيتهما، وقد بذل الكتاب جهوداً كبيرة في

---

[١] للمزيد عن هذا الموضوع : ينظر بحثنا الموسوم (العوالم الاخرى في تصورات الادباء " مجلة زانكو ، الدراسات الانسانية عدد / ٦ لسنة ٢٠٠١ ، السليمانية .

بيان تأثر احدهما بالآخر ومن عدمه[1] متغافلين عن المؤثر الرئيس الذي هو المقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذاني (ت٣٩٨هـ) .

٥- المقامة الابليسية: ان قصة ابن شهيدفيها تشابه كبير من حيث الفكرة مع المقامة الابليسية لبديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ هـ) ويروي إن بطله فقد إبله فخرج في البحث عنه فوجد نفسه في وادٍ فيه اشجار باسقة واثمار يانعة وازهار منورة، والتقى بشيخ جالس، فأنس معه وسأله عما يروي عن اشعار العرب، فانشد شعراً لامرئ القيس وعبيد بن الابرص ولبيد العامري وطرفة بن العبد، فلم يطرب الشيخ، وأنشد قصيدة مطلعها:

بــانَ الخــيطُ ولــو طوّعــت مــا بانــا وقطّعــوا مــن حبــال الوصْــلِ أقرانــا

ويكتشف ان القصيدة للشاعر الاموي جرير، فيتهرب الشيخ، ويطلب ان ينشده قصيدة لابي نواس، فينشده البطل سينية أبي نواس: -

لا أنــدبُ الــدهرَ ربْعــا غيــر مــانوس ولســت أصــبو الــى الحــادين بــالعيسِ

وهي قصيدة فيها الكثير من المجون، فطرب الشيخ وشهق وزعق، فقال له " قبحك الله من شيخ لا أدري أ بانتحالك شعر جرير أنت اسخف أم بطربك من شعر أبي نواس.. " فيرد عليه الشيخ رداً طويلاً شبيه بما كتبه ابن شهيد ويكتشف ان الشيخ شيطان جرير وهو الذي اوحى اليه نونيته ويغيب الشيطان ويختفي.. ومن هذا تبين ان ابن شهيد اخذ الفكرة من المقامة وتوسع بها بما يلائم شخصيته وغرضه من كتابة الرسالة، اضافة الى ذلك أن للبديع مقامة باسم الحمدانية، فيها وصف للفرس يشبه وصف الاوزة عند ابن شهيد كما له المقامة الجاحظية فيه وصف لبلاغة الجاحظ وابن المقفع الذي يتشابه مع وصفه لبلاغة الجاحظ وعبد الحميد الكاتب، وتأثير

[1] ينظر رسالة الغفران ، بنت الشاطئ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣ ، والبحث الموسوم رسالة التوابع والزوابع وعلاقته برسالة الغفران ، عبد السلام الهراسي ،مجلة المناهل المغربية العدد / ٣٥ لسنة ١٩٨٢ .

المقامة المضيريه كبير في وصف الاطعمة ولاسيما الحلواء، كما تأثر بالمناظرات التي وردت في ديوان رسائل الهمذاني التي جرت بينه وبين الخوارزمي ولاسيما الاسلوب والفكرة، ورسالة ابن شهيد تسير منحى المقامات في الاهتمام بالسجع والغريب من الالفاظ، والجمع بين النثر والشعر والاستطراد في الوصف[1].

* * * *

[1] للتفاصيل ينظر : نصوص مقامات بديع الزمان الهمذاني ، تحقيق : محمد عبدة ، بيروت .

الفصل الثاني

الأدب في عصري ملوك الطوائف والمرابطين

٤٢٢ -٤٨٤، ٤٨٤ -٥٤٠هـ

الفصل الثاني

عصر ملوك دويلات الطوائف

٤٢٢ -٤٨٤ للهجرة

ان ضعف السلطة المركزية وفساد إدارتها وانحلال أجهزتها التنفيذية من الجيش والمالية وتفاقم الصراع على السلطة في عهد الفتنة دفع الامراء واصحاب السيوف من العرب والبربر والصقالبة على الاستقلال بمناطق نفوذهم، ونشبت بينهم حروب دامية ولاذوا بالجزية لدول النصارى وترفعوا عن المثل السامية وسيطر الاندلسيون على الاجزاء الوسطى مثل قرطبة واشبيلية وبلنسية ومرسية ومرية.. وسيطر البربر على الجزء الجنوبي مثل غرناطة وقرمونة والصقالبة على شرق الاندلس والجزائر الشرقية[1].

أما أهم الدول: هي

١- دولة بني جهور في قرطبة (٤٢٢-٤٦٧هـ).

٢- دولة بني عباد في اشبيلية (٤٢٢-٤٨٤هـ).

٣- مملكة سرقسطة (٤٨٢-٥٠٤) وهي اكبر الدويلات القائمة في عهد ملوك الطوائف واقدمها وكانت تحد ثلاث ممالك نصرانية هي قطلونية ونافار وقشتالة، وعاصمتها سرقسطة، وكانت سداً منيعاً امامهم إلا ان استولى المرابطون عليها سنة ٥٠٤ للهجرة، ولم يتمكنوا الدفاع عنها فسقطت بيد النصارى سنة ٥١٢ للهجرة وملكوا الثغر الاعلى والاقاليم التابعة لها بشكل نهائي.

٤- مملكة طليطلة (٤٢٢-٤٧٨) للهجرة، عاصمة القوط القديمة وهي اول مدينة أندلسية تسقط بيد النصارى ولن تسترد.

---

[1] صورة المجتمع : ٣٩ .

٥- مملكة بلنسية: (٤١٧-٤٨٧ هـ) و سقطت بيد السيد القمبيطور سنة ٤٨٧ ليحررها المرابطون سنة ٤٩٥للهجرة.
٦- مملكة غرناطة ٤٢٢-٤٨٣ وهي المملكة الاولى التي سقطت بيد المرابطين.
٧- مملكة بني الافطس (٤٢٢-٤٨٨هـ) عاصمتها بطليوس وسقطت بيد المرابطين في نهاية مفجعة لبني الافطس.
٨- دولة بني صمادح (٤٢٢-٤٨٣هـ) وعاصمتها المرية.

اضافة الى دويلات اخرى كانت تتبع احدى الدويلات الاخرى ولم يتركوا تأثيراً على الساحة الادبية والسياسية[١].

الحالة الثقافية:

امتازت هذه الحقبة بتقدم فكري وحضاري في مختلف العلوم واصبحت عواصم دول الطوائف تنافس عواصم المشرق الاسلامي عن قدرة وجدارة، لاسيما في مجال الشعر، وان الكتب التي الفت في ذلك القرن كثيرة قياساً بفترات سابقة ولاحقة بما يوازي التقدم الحضاري الذي يرجع الى جهود علماء الاندلس وحكامها في العصور السابقة وبالاخص القرن الرابع للهجرة وبالتحديد ثلاثة حكام هم عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) والحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ) والمنصور بن أبي عامر (٣٦٦-٣٩٢هـ) اضافة الى طبيعة الاندلسيين المحبين للعلم والمعرفة وتشجيع ملوك الطوائف في استقطاب الشعراء والعلماء لرفع مكانة دولهم سياسياً وثقافياً أمام نظرائهم من الملوك الآخرين وقال ابن بسام في حديثه عن اشبيلية عاصمة بني عباد "وصارت مجمعاً لصوب العقول وذوب العلوم وميداناً لفرسان المنثور لاسيما في اول المائة الخامسة من الهجرة حين فرح كل حزب بما لديه "[٢]، وكان الشعر يأتي

---

[١] للتفاصيل عن دويلات ملوك الطوائف ، سياسياً ينظر : كتابنا " صورة المجتمع الاندلس٣٩-٨٨ وكتاب دول ملوك الطوائف : محمد عبد الله عنان .
[٢] الذخيرة ١/٢ : ١١ .

في مقدمة اهتمامات الاندلسيين وروى ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة شلب " سمعت مما لا احصي أنه قال: قلّ أن ترى من اهلها من لا يقول شعراً ولا يعاني الادب ولو مررت بالفلاح خلف فدانه وسألته عن الشعر، قرض من ساعته ما اعترض عليه وأي معنى طلبت منه فيما شئت من المعاني " [1] وكان لمجالس الانس التي تعقد في بلاطات الملوك وقصور الاغنياء والمنتزهات التي تتخللها مناظرات ادبية اثر في دفع الحركة الشعرية والنقدية، وكانت العامة يشاركونهم الاهتمام بالشعر حتى الذين لا يعرفون القراءة والكتابة، وبرز بينهم من المكفوفين اعلام كبار كالاعمى التطيلي والحصري القيرواني...، وكان الشعر وسيلة للارتزاق والحياة والمال وكان بعضهم لا يمدح بأقل من مئة دينار ذهب[2] وبرز في عهد ملوك الطوائف من الشعراء ابن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ) الذي سميّ بمتنبي الاندلس وابن شهيد ابو عامر (ت٤٢٦هـ) صاحب رسالة التوابع والزوابع وابن زيدون (ت٤٦٣ هـ) صاحب الشاعرة ولادة بنت المستكفي وابن عمار (ت٤٧٧ هـ) الذي ادى به طموحه الى شق رأسه الى قسمين وابو عبد الله بن الحداد (ت ٤٨٠ هـ) الذي سطر ابياتاً شعرية عن فتاة مسيحية اسمها نويرة وابن وهبون المرسي (٤٨٤ هـ) الذي مدحه المعتمد بن عباد الف مثقال من ذهب لقاء بيتين من الشعر والشاعر الملك المعتمد بن عباد (٤٨٨هـ) الذي سجل احسن القصائد في السجن عن المجد الزائل وابن اللبانة الداني (٥٠٧هـ) شاعر الوفاء في دولة بني عباد وابن عبدون التجيبي(٥٢٠هـ) صاحب المرثاة المشهورة في مملكة بني الافطس وابن حمديس الصقلي (٥٢٧ هـ) اشهر شعراء الاندلس وصقلية والشاعر الحكيم ابو الصلت الداني (٥٢٩ هـ) اضافة الى شاعر الطبيعية الاول ابن خفاجة (٥٣٣هـ) وبرزوا في عهد ملوك الطوائف وامد الله اعمارهم الى عهد المرابطين، ولم يقتصر الحركة الثقافية على الشعر وامتدت لتشمل العلوم الدينية لاسيما علم القراءات والتفسير والفقه واصول الفقه وعلم

---

[1] معجم البلدان ٣ : ٢٥٧.
[2] المغرب ١ : ٤٠٠ .

الحديث... والعلوم اللسانية وما يتصل بها من الادب والتاريخ اضافة الى العلوم التطبيقية من الطب والفلاحة والحساب والهندسة والجبر[1].

أهم الأغراض الشعرية وأعلامها.

١- **الغزل:**

الغزل أهم موضوع شغل الشعراء في جميع عصورهم لاسيما في الاندلس لما فيها من طبيعة فاتنة وحياة حضرية ناعمة وعمران وحدائق ورياض ومجالس انس ورخاء وخمر وغناء والجواري اضافة الى الحرية التي كانت تتميز بها المرأة الاندلسية، وما تتصف من جمال واناقة ولباقة وحسن الكلام، ويمكن تصنيف المعنى الاصطلاحي للغزل الى: -

- **الغزل:** هو الاستهتار بمودات النساء وتتبعهن والحديث إليهن برقيق الكلام لإثارة عواطفهن وأحاسيسهن.
- **التشبيب:** ذكر المرأة في مطالع القصائد المدحية وما يضاف اليها من ذكر الرسوم والإطلال وايام اللهو والشباب فيما يمكن تسميته بالاسلوب البدوي.
- **النسيب:** اثر الحب وتبريح الصبابة وما يبثه الشاعر من الشكوى وما يعانيه من الهوى والعذاب وخفقان القلب.

اضافة الى الغزل بالغلمان وما يسمى بالغزل الشاذ وغزل النساء من قبل الشواعر ويمكن تصنيف الغزل في الاندلس إلى: -

أ- الغزل العفيف:

وهو تيار وجد عند الطبقة المحافظة لاسيما في النساء اللائي كانت لهن مكانة سامية في المجتمع او من قبل شعراء كانوا يتصفون بالخلق الرفيع، وقد افرد ابن داود الاصفهاني في كتابه " الزهرة " الباب الثامن لهذا النوع من الغزل تحت عنوان

---

[1] لمعرفة تطور هذه العلوم واعلامها في هذا القرن يرجى مراجعة صورة المجتمع الاندلسي ، ٢٣٩-٢٥٦ .

" من كان ظريفاً فليكن عفيفاً " [1]والف الفقيه ابن حزم الظاهري كتاب " طوق الحمامة في الألفة والألاف " في هذا النوع وافرد له الفصل الاخير من كتابه، ومن ابرز من نظموا فيه ابن حزم وابو جعفر بن الأبار وابن شهيد وجعفر المصحفي واحمد بن فرج الجياني الذي زج به المستنصر في السجن لما رفع أنه هجاه ولم يشفع له تأليفه كتاب " الحدائق " ومن شعره: -

وطائعة الوصال عَففتُ عنها وما الشيطانُ فيها بالمطاع

بَدتْ في الليل سافرةً فباتَتْ دياجي الليل سافرةَ القناع

وما مِن لحظةٍ إلا وفيها الى فتنِ القلوب بها دواعِ

فملكْت النُّهى جمحات شوقي لأجري في العفافِ على طباعى[2]

يصف جمال صاحبته الخلاب، وانها كانت طوع وصاله وامضى معها ليلة سافرة معتصماً بالعفاف المفطور عليه على الرغم من عنف جمحات عواطفه وغرائزه وفتنة صاحبته، وفي المعنى نفسه يقول ابن الأبار[3].

واطعت سلطان العفاف تكرماً والمرء مجبول على عاداته

وانتقل هذا النوع من الغزل الى اوربا ويتضح ذلك في قصة دون كيشوت لسير فانتس (١٥٤٧ – ١٦١٦م) والقصص الشعرية التي كان شعراء الترابادور يتغنون بها في فرنسا واصبحت من سمات الفارس النبيل الذي يسمى بالانكليزية بجنتلمان ويتداخل هذا الغزل مع الغزل العذري الذي شاع في العصر الاموي في عذاب الحب وحرقة القلب والخشوع امام المحبوبة والطاعة لها، وأحياناً خداع المحبوبة وذكر الرقباء والوشاة وقيود العادات والتقاليد.

---

[1] الزهرة : ١ : ١١٧-١٢٥ .

[2] القلائد: ٧٩، بغية الملتمس: ١٤٠، المقرب ٢: ٥٦ ، المطرب:٤ ، معجم الادباء ٤ :٢٣٦ .

[3] الذخيرة ١/٢ : ١٤٣

ب- الغزل التقليدي:

فقد اعتمدوا على الاوصاف المادية التقليدية في ذكر احبتهم وكانت الطبيعة الوعاء الذي استمد منه الشعراء تشبيهاتهم، يقول المقري: " أنهم اذا تغزلوا صاغوا من الورود خدوداً ومن النرجس عيوناً ومن الآس اصداغا ومن السفرجل نهوداً ومن قصب السكر قدوداً، ومن قلوب اللوز وشزر التفاح مباسم ومن ابنة العنب رضابا [1]. يقول الشاعر محمد بن البين البطليوس في وصف سرب من النساء[2].

غصبوا الصبح، فقسموه خدوداً واستنهبوا قضب الاراك قدودا

ورأوا حصا الياقوت دون نحورهم فاستبدلوا منه النجوم عقودا

واستودعوا حدق المها أجفانهم فاستبدلوا بهنّ ضراغماً وأسودا

لم يكفهم حمل الأسنة والظبا حتى استعاروا أعيناً ونهودا

وتضافروا بضفائر أبدوا لنا ضوء النهار بليلها معقودا

صاغوا الثغور من الأقاحي بينها ماء الحياة لو اغتدى مورودا

وجاءت معظم ابياتهم الغزلية في مقدمات قصائدهم المدحية التي جرى عليها المشارقة فاهتموا بالاستهلال وحسن التخلص وخلطوا بين الغزل والنسيب والمديح وذكروا اماكن في الجزيرة العربية، وتوزع غزلهم بين وصف محاسن محبوبتهم وبين وصال ولقاء ووداع وفراق، تارة هانئ بحبه وتارة شقي بغيابها ويمثل ابن زيدون خير مثال على هذا النوع من الشعر.

---

[1] النفح ١: ٣٢٣ .
[2] دفاتر اندلسية : ٢٨٦

جـ غزل المجون (اللاهي):

ووتوسعت خريطة هذا النوع من الغزل في حقبة ملوك الطوائف لان عصرهم كان عصر الغناء واللهو والطرب ومجالس الانس، فتحدثوا عن حبهم ومجالسهم وخلواتهم وزياراتهم الليلية بفحش وتهتك، ولم تكن تلك القصائد جميعها صادقة بل كان اكثرها تأتي في باب البراعة الفنية والتباهي والتنوع، واصبحت رياضة ومهارة عقلية وبراعةً في الخيال و هذا ما يؤيده الشاعر ابن حصن الاشبيلي بعد قصيدة فاحشة[1].

لـــم انـــلْ مِـــن كـــل مـــا فهـــتُ بـــه غيـــر التمنـــي

انمـــا الشعـــر فكاهـــا ت وحســـبي حســـن ظنـــي

وكان لانتشار الجواري وتحررهن وما يحملن من سمات جمالية وكثرة الراقصات المشهورات بالصنعة والجمال واللعب ومشاركتهم للرجال في الحانات كساقيات للخمور سبباً في انتشار هذا النوع من الغزل، ويقول ابن خفاجة في وصف أحداهن[2].

واهيـــف قـــام يـــسقي والســـكر يعطـــف قـــدّه

وقـــد ترنـــح غـــصناً واحـــمرت الكـــأس ورده

والهـــب الســـكر خـــدّا اورى بـــه الوجـــدُ زنـــده

فكـــاد يشـــرب نـــفسي وكـــدتُ اشـــربُ خـــده

كما وجد عندهم غلاميات في وصف فتيات في زي الذكور اللاتي انتشرن في تلك الاماكن كقول ابن شهيد[3].

ظبيـــةٌ دون الظِّبـــا قـــدْ قصِّصـــت فاتَـــتْ غيـــداء فـــي شـــكل صـــبي

---

[1] الذخيرة ١/٢ : ١٦٢ .

[2] ديوان ابن خفاجة : ٣٥٤ .

[3] ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، بطرس البستاني ٣ : ١٧٢ .

د- غزل بالنصرانيات:

وكان من جراء اختلاطهم بالنصارى، ظهور نوع جديد من الغزل هو الغزل بالمسيحيات وذكر الكنائس والقساوسة كما يظهر في قصائد ومقطعات الشاعر أبي عبد الله بن الحداد (٤٨٤ هـ) الذي اكثر النظم في فتاة اسمها جميلة سماها نويرة، وأورد ابن بسام سبعين بيتاً له في تلك الفتاة والكنيسة التي كانت

تعمل فيها كراهبة وقد احبها في صباه وكان حبه من جانب واحد[1] ومن شعره

فـــانّ بـــي للـــروم روميـــة تكـــنس مـــا بـــين الكنيســـات

اهيـــم فيهـــا والهـــوى ضـــلة بـــين صواميـــع وبيعـــات

افصـــح وحـــدى يـــوم فصـــح لهـــم بـــين الاريطـــي والـــدويحات

بموقـــف بـــين يـــدي اســـقف ممســـك مصبـــاح ومنســـاة

وقـــد تلـــوا صـــحف اناجلـــيهم بحســـن الحـــان واصـــوات

ه-الغزل بالغلمان:

وهي ظاهرة شاذة وجدت في المجتمعات القديمة في المدن، يرجع بعضها الى الحرمان الجنسي في المجتمعات الفقيرة الشعبية أما في الاندلس فانها تعود الى ميل اصحابها الى البحث عن الجديد في اللذة نظراً لابتذال المرأة وكثرة الجواري وكان الانحلال الاخلاقي عاملاً رئيساً في تفشي هذه الظاهرة اضافة الى عدم تطبيق الردع والقصاص عليهم وفق الشريعة الاسلامية، فوصفوا حركاتهم وسكناتهم وقوامهم وعذارهم كالنساء، وكان بعضهم يلبسون زي الفتيات ويتجملون بحليهن وتصرفاتهن وعطرهن، والغريب ان هذه القصائد وردت على لسان بعض الشعراء ممن اتسموا بالوقار مثل ابن خفاجة وقد يكون من باب الخيال في اظهار البراعة الفنية بينما ترفع

[1] الذخيرة ٢/١ : ٧٠٥ .

كثيرون عن هذا الغزل ويعد ابن عمار (٤٧٧ هـ) من اكثر الشعراء تناولاً لهذا الموضوع كقوله:

وهويتـــهُ يســقي المـــدامً كأنـــه قمـرٌ يـــدور بكوكـب فـي مجلـس

متـــناوح الحركـات ينـدَى عطفـه كالغصـــن هزتـــه الصَّـــبا بتـــنفس

يســقي بكـأس فـي انامـلَ سوسـن ويـدٌ اخـرى مـن محـاجرَ نـرجس[١]

ويعد الشاعر الرمادي (٤٠٣ هـ) من اكثر الشعراء الذين ارسوا قواعد هذا النوع من الغزل في عهد الامارة وامتد الى العصور الاخرى ومن قوله في غلام نصراني:

قبلتـــــه قـــــدّام قسيســـــه شـــــربت كاســـــات بتقديســـــه

يقـــرع قلبـــي عنـــد ذكـــري لـــه مـــن فـــرط شـــوقي قـــرع ناقوســـهِ[٢]

و- غزل النساء:

وكان في هذا العصر كثيرات من النساء الحرائر والجواري يحسن نظم الشعر وكـان الاباء يعنـون بتثقيف فتيـاتهم بنمـاذج جيـدة مـن الشـعر مـن خـلال مـؤدبيهم، وشـاركهن الرجـال فـي ميـادين النشـاط الاجتمـاعي والثقـافي وتـرجم لهـن اصـحاب التراجم، ونال بعضهن حظاً وافراً من التعليم والغناء والموسيقى، وبرزت بينهن نساء كان لهن دور في حياة الامراء والملوك كاعتماد الرميكية زوجة المعتمد بن عباد، وولادة بن المستكفي، ابنة الخليفة المستكفي بالله، محبوبة ابن زيدون، ويقال انها كتب على احد عاتقي ثوبها[٣].

انـــا والله اصـــلح للمعـــالي وامشـــي مشـــيتي واتيـــه تيهـــا

وكتب عن الآخر:

---

[١] النفح ٣ : ٣٢٧ ، القصيدة كاملة .
[٢] نفسه ٤ : ٤٠ .
[٣] الذخيرة ١/١ : ٤٢٩ ،النفح ٤ : ٢١١ .

وامكـن عاشـقي مـن صـحن خـدي واعطـــي قبلتـــي مـــن يشـــتهيها

واشتهرت من دانية " العبادية " [١] و " غاية المنى " [٢] جارية المعتصم بن صمادح و أم الكرم بثينة بنت المعتصم بن صمادح امير المرية الذي اعتنى بتأديبها لما رأى من ذكائها وكانت تنظم الشعر والموشحات وأحبت شاباً وانشدت له [٣]:

الا ليـتَ شـعري هـل سـبيل لخلـوةٍ ينـــزَّهُ عنهـــا سَـــمعُ كـــلِّ مراقـــبِ

ويـا عجبـا اشـتاق خلـوة مـن غـدا ومثـواه مـا بـين الحشـا والترائـب[٤]

ابن زيدون (٣٩٤ -٤٦٣هـ)

هو احمد بن عبد الله بن احمد بن غالب بن زيدون المخزومي، ولد عام ٣٩٤ للهجرة بضاحية الرصافة المشهورة بحدائقها الغناء وبساتينها الفيحاء في قرطبة، وقضى فيها طفولته وصباه، وكان لها اثر كبير في نمو احساسه المميز في ادراك جمال الطبيعة والتغني بالاوقات السعيدة التي امضاها بين رياضها وبساتينها وبالقرب من جداولها وعلى مسمع زقزقة طيورها وحفيف اشجارها، وقد اصيب وهو في الحادية عشرة من عمره بوفاة والده فكفله جده لامه بتربيته وكان متولياً لاحكام الشرطة والاحتساب، وقضى حياته بين قرطبة واشبيلية وانغمس في الاحداث السياسية، ومدح امراءها بقصائد طويلة، واقترب من مؤسس دويلة ابن جهور في قرطبة وكان يطمح الى منصب كبير، ولم يسعفه الحظ فاتهم بالتأمر على تلك الدولة وزج في السجن سنة ٤٣١ للهجرة وأرسل من هنالك قصائد ورسائل يستعطف ابن جهور، ولما لم يظفر بنيل عفوه هرب من السجن بعد ان مكث فيه خمسمائة يوم او اكثر بقليل، واخذ يتنقل بين قرطبة واشبيلية بعد العفو عنه، واستقر عند المعتضد بن

---

[١] النفح ٤ : ٢٨٣ .
[٢] الذيل والتكملة ٢/٨ : ٤٨٨ .
[٣] المغرب ٢ : ٢٠٢ .
[٤] للمزيد عن شاعرات القرن الخامس للهجرة ينظر : الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه د. مصطفى الشكعة : ١٤١-٢١٥ .

عباد في اشبيلية ومنحه لقب ذي الوزراتين، وقد لقي نجاحاً كبيراً في عمله في سفاراته لاسيما انه كان محباً للهو والمتعة والخمر واللعب، وبعد وفاة المعتضد سنة ٤٦١للهجرة اتصل بابنه المعتمد وكان منذ صغره صديقاً حميماً له، ونظم قصائد كثيرة في مدحه، وتوفي سنة ٤٦٣ للهجرة في طريقه لاخماد فتنة في اشبيلية ودفن باحتفال مهيب.

ومن أهم احداث حياته: حبه لولادة بن المستكفي الذي اوحى اليه بكثير من القصائد الغزلية، وما جرى بينه وبين الوزير ابن عبدوس من هجاء ومنافسة لاشتراكهما في حب ولادة.

أثاره:

له ديوان شعر نشره في مصر كامل الكيلاني وعبد الرحمن خليفة ومن ثم نشر بتحقيق على عبد العظيم وهو يضم بين دفتيه قصائد مدح ورثاء وعتاب وغزل ووصف وله أيضاً مجموعة من الرسائل، اشهرها رسالته الاستعطافية الى ابن جهور عندما كان في السجن وسميت بالرسالة الجدية ورسالته التي يسخرمن ابن عبدوس التي سميت بالرسالة الهزلية اضافة الى مجموعة من الرسائل الاخرى[1].

أهم أغراضه الشعرية.

الغزل: يمثل ثلث ديوانه الشعري، وموزع بين مقدمات القصائد المدحية وقصائد غزلية مقصودة لذاتها، ويتميز بعاطفة قوية تسيل في ابياتها الرقة والموسيقى وحسن النظم ودقة الانسجام لذا سميّ ببحتري الاندلس، وقصائده تصور مراحل حبه من النعيم والشقاء والبعد والغدر والاستنفار والشكوى، وغزله حسي مادي ينظر الى المرأة نظرة حسية عدا قصائد قليلة في الغزل العذري والنسيب في تذكر الأيام الماضية في ربوع الطبيعة الجميلة وتعد نونيته من اروع قصائده وقد باهى

[1] مقدمة ديوانه ، تحقيق : علي عبد العظيم .

الشقندي(٦٢٩للهجرة) بها فقال: " لم يقل مع طولها في النسيب ارق منها " [١] واثيرت حولها الاساطير حتى قيل:" ما حفظها احد إلا مات غريباً " وقيل " إن اذساناً لا يتم له الظفر ما لم يحفظها ولذلك شغف الشعراء بحفظها [٢]وتخميسها وتسديهسا، وتبلغ عدد ابياتها اثنين وخمسين بيتاً ومنها: -

اضحى التنائي بديلاً من تدانينا ونأب عن طيب لقيانا تجافينا

إن الزمان الذي ما زال يضحكنا أُنساً بقربكم قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا بان نغص، فقال الدهر: آمينا

وقد نكون وما يخشى تفرقنا فاليوم نحن وما يرجى تلاقينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الاسى لولا تأسينا[٣]

القصيدة بالاصل معارضة لقصيدة للبحتري، وتفوق على القصيدة الاصلية، وعد من عيون الشعر العربي، وقد عارضه احمد شوقي في العصر الحديث عندما كان منفياً في اسبانيا بقصيدة مطلعها:

يا نائح الطلح اشباه عوادينا نشجي لواديك أم نأس لوادينا

ولحن مع من قبل المغنين لما تتميز من موسيقى هادئة لحسن استخدام حروف المد وانسجامها مع القافية، وما له وقع منسجم مع ما يتصف به الانسان من آهات وحسرات، اضافة الى حسن استخدام التضادات ولغة الحوار وانتقال الزمان بين الحاضر والماضي والمستقبل.

ومعظم قصائده تختلط بوصف الطبيعة كما في قصيدته[٤].

أني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والافق طلق ووجه الارض قد راقا

---

[١] نفح الطيب : ٢ : ١٩٤ .
[٢] مقدمة ديوانه .
[٣] القصيدة كاملة في ديوانه : ١٤١ .
[٤] ديوانه : ١٢٩ .

وللنسيم اعتلال – في اصائله -بدأ كأنه رق لي، فاعتل إشفاقا

٢- المدح:

بدأ شعراء المديح بالظهور منذ تأسيس الامارة الاموية في عهد عبد الرحمن الداخل لاسيما في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠ هـ) الذي اعلن نفسه خليفة سنة ٣١٦للهجرة وكانت قرطبة في عهده عاصمة الحضارة والثقافة وجامعة و مركزا للعلوم والاداب وبلاطه منابر للخطباء والشعراء، أما في عصر امراء الطوائف فان عواصمهم تحولت الى ساحات كبرى للمديح وتحولت قصورهم الى ندوات واحتفالات لانشاد الشعراء مع ما يتخلل ذلك من مجال الانس والطرب والغناء حتى بلغ الامر ببعضهم ألا يمدح أحداً منهم إلا بمئة دينار، لذلك اقترن الابداع بالعطاء، ويروى ان المعتمد بن عباد عندما أُنشد امامه بيتان من الشعر للشاعر ابن وهبون:

قلّ الوفاء فما تلقاه من أحد ولا يمر لمخلوق على بال

وصار عندهم عنقاء مغربة او مثل ما حدثوا عن الف مثقال

يرسل له الف مثقال ذهب[١] ولم تكن قصائد المديح كافة تكسبية، وهنالك قائمة طويلة من الشعراء قد اخلصوا لممدوحيهم وكانوا يمدحونهم عن صدق وفي الشاعر ابن اللبانة يقول ابن بسام " كان مائلا لبني عباد بطبعه، فوفد على المعتمد بعد نفيه وفاده وفاء لا وفادة استجداء " [٢] وهذا يصدق على ابن حمديس وابن عبد الصمد وابن عبدون وغيرهم من الشعراء الذين رثوا امراء دول الطوائف بقصائد مؤثرة رائعة بعد زوالهم ممالكهم وهنالك شعراء ترفعوا عن التجوال والتكسب مثل ابي اسحاق الالبيري وابن العسال وابن خفاجة.، ومعاني قصائدهم المدحية دارت حول الخصال المعروفة من العقل والعفة والعدل والشجاعة[٣] والكرم وأضاف قسم منهم الصفات الخلقية وهيبة المذبر وعظمة المملكة والالقاب الاسلامية المتعلقة

---

[١] النفح ٣ : ١٩٤ .
[٢] الذخيرة ١/٢ : ٦١-٦٢ .
[٣] النفح ٣ : ٦١٦ .

بحماية الدين والمسلمين، وكان لبعض الامراء دواوين باسماء الشعراء تجري عليهم الأعطيات السنوية والشهرية، ويقومون بانتقائهم وتمحيصهم مثل ما حصل لابن حمديس الصقلي الذي امتحنه المعتمد قبل ان يسجله ضمن شعرائه، فقال: "... ودخلت عليه فاجلسني على مرتبة وقال لي: افتح الطاق الذي يليك، ففتحته فاذا بكوة زجاج على بعد والنار تلوح من بابيه وواقده يفتحها تارة ويسدها اخرى ثم دام سد احدهما وفتح الاخرى، فحين تأملتها قال اجز:

أنظرهما في الظلام قد نـــجما

فقلت: كما رنا في الدُّجنة الأسد

فقال: يفتح عينيه ثم يطبقهـما

فقلت: فعل امرئ في جفونه رمد

فقال: فابتزه الدهر نورَ واحدة

فقلت: وهل نجا من صروفه احد

فاستحسن ذلك وأمر لي بجائزة سنية والزمني خدمته [١].

وسارت القصيدة المدحية على سنة العرب في الافتتاح بمطالع وقد فصل ابن الاثير (٦٣٧ هـ) فيه ".. فاذا كان مديحا صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل... أما اذا كان القصيد في حادثة من الحوادث لفتح معقل او هزيمة جيش او غير ذلك، فأنه لا ينبغي البدء بغزل فان الاسماع تكون متطلعة الى ما يقال في تلك الحوادث " [٢] وجرت العادة بذكر المفاوز والمصاعب واهوال الليل والسير والرحيل ليوجب القصد ويستحق التكريم واضاف الاندلسيون مواقف الوداع وفراق الاهل وما يتصل من تعلق الاسرة بابيهم كما عند ابن دراج القسطلي الذي تكرر في عشرين موضع من ديوانه كما اضاف وصف الاسفار بحراً، ولانـــتعاش الطبيعة في نفوسهم فان كثيراً منهم افتتحوا قصائدهم بوصف الطبيعة

---

[١] العمدة ١ : ٨٠ .

[٢] المثل السائر : ٣ : ٩٦ .

حتـــى في الظروف الحالكة ومزج بعضهم بين الطبيعة والخمر في توظيف مطالع قصائد المديح لاخفاء البهجة والانشراح كما وجدت عندهم مطالع اخرى في وصف الزيارات الليلية بعيداً عن عيون الرقباء متخطياً الاعراف والقوانين متبعاً فيها اسلوب الحكاية في سرد الواقعة و نعتقد ان معظمها كانت من نسج الخيال او الاضفاء التنوع كما في قصيدة طريفة للشاعر محمد بن مسعود في مدح المستعين بالله في عهد الفتنة اذ زعم في مطلعها انه تعرض للسرقة في طريقه الى الممدوح ووصف حكايته مع اللص و مع زوجته التي تطالبه بالطعام والفواكه وموضوعها قريب من موضوع المقامات المبنية على الاحتيال[1] ولحب الحياة وكثرة تفكير الشاعر بالمشيب في حالة ظهوره فان بعضهم ابتدأ قصيدته بالشكوى من الشيب كالشاعر حسان بن المصيصي في قصيدة مدحية في المعتمد ومطلعها[2].

روض الشـــباب تناوبـــت ازهـــاره ولـــــى بنفســـــه وجـــاء بهـــاره

ولغرض تسليط الضوء على هذا الغرض نتناول بالتفصل الشاعر ابن عمار الذي يعد مع ابن دراج وعبد الله بن الحداد وابن حمديس وابن زيدون من أبرز شعراء المديح في القرن الخامس للهجرة.

ابن عمـار: هو ابو بكر بن عمار من قرية قرب مدينة شلب ومن عائلة فقيرة وتعلم فيها العربية والادب ثم اكمل تأدبه في قرطبة وبرزت ملكته الشعرية واخذ يتنقل في بلاد الاندلس للمديح والاستجداء الى ان وفد على المعتضد امير اشبيلية ومدحه بقصيدة واستحسنها وسجله في ديوان الشعراء، وتعرف على ابنه المعتمد وتوثقت عرى المودة بينهم لاشتراكهما في العكوف على الخمر والغناء، وبعد وفاة المعتضد سنة ٤٦١للهجرة اتخذه المعتمد وزيراً له وطمعه الى الاستيلاء على مدينة مرسيه وارسله بجيش واخرج اميرها ابن طاهر سنة ٤٧١ للهجرة واعلن نفسه اميراً عليها متمرداً على المعتمد، وجلس في مجلس التهنئة واستقبل الشعراء واقبل

[1] القصيدة في الذخيرة ١/١ : ٥٥٨-٥٦٠ .
[2] نفسه ١/٢ : ٤٧٨ .

على اللهو والخمر والمتاع، وحاول المعتمد ان يرده عن غيّه عبثاً، ولهما مراجعات شعرية، وتمادى في ذلك وهجا زوجته الرميكية بقصيدة مطلعها:

فيـــا عـــامر الخيـــل يازيـــدها منعـــــتَ القِـــرى وابحـــت العيـــالا

وهي قصيدة فيها الفحش والتهجم، وبينما كان منهمكاً في لهوه وخمره قام قائد جيشه الذي ارسله المعتمد معه بتبديل العبيد والجند من اتباعه وعندما خرج لرؤية حصن من حصونه، اغلق عليه باب المدينة ولم يتمكن الدخول اليها فهرب الى سرقسطة واميرها المؤمن بن المقتدر بن هود، واخذ يرسل قصائد استرحام وطلب عفو الى المعتمد دون فائدة، وارغب المؤمن في الاستيلاء على حصن شقورة شمالي مرسيه من يد اميرها عتاد الدولة عبد الله بن سهل فوقع في شر اعماله وسجنه عتاد الدولة وعرض رأسه للبيع، فارسل المعتمد ابنه بمال وخيل وتسلمه من عتاد الدولة سنة ٤٧٧ للهجرة واودعه في غياهب السجن الى ان استثارته عليه زوجته عندما كان في حالة السكر فضرب رأسه بطبرزينة ورجع وقال لزوجته جعلته كالهدهد[١].

وهو شاعر فحل لايبارى في روعة التصوير والاخيلة و الاداء، وقال عنه ابن بسام " شعره غرّب وشرّق، وأشأم في نغم الحُداة على ألسنة الرواة واعرق... وهو يضرب في انواع الابداع بأعلى السهام ويأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الاقسام " [٢] وقيل انه لو تغزل ولاسيما في المعذرين اسمع سحراً لا يعرفه البيان[٣] واشتهر في المديح والغزل بالغلمان كقوله في غلام [٤].

طـــلّ علـــى خـــدّه الـــعِذار فافتضـــــــح الآس والبهـــــــارُ

---

[١] لتفاصيل حياته : الذخيرة ١/٢ : ٣٦٨ ، والقلائد : ٨٣ ،والحلة ٢ : ١٣١ ، والمغرب : ٣٨٩/١ ، والمطرب : ١٦٩ ، واعمال الاعلام : ١٦٠ ، والخريدة ٢ : ٧١ ، وبغية الملتمس : ٢٢٧ ، وعصر الدول والامارات : ١٩٤ ،ودراسة د. صلاح خالص ، محمد بن عمار ، مطبعة الهدى ، بغداد ، ١٩٥٧ .

[٢] الذخيرة ١/٢ : ٣٦٨ .

[٣] دفاتر اندلسية : ٤٧٦ .

[٤] الذخيرة ١/٢ : ١٠٠ .

وابـــيض هـــذا واســـود هـــذا فاجتمـــــع الليـــــل والنهـــــارُ

وقـــد جـــرى للـــــنعيم فيـــه مـــاءٌ باحـــشاى منـــه نـــارُ

وهي قصيدة طويلة في وصف غلام نبت العذار على جانب خدّه فاجتمع فيه الليل والنهار لشدة بياض بشرته وشدة سواد لحيته.....

كما له قصيدة مدحية في المعتضد تعد من عيون القصائد العربية، وقال عبد الملك المراكشي " انه لم يسمع لمتقدم ولا متأخر بمثله[١] وفيها تأكيد على معنى العطاء والنوال ومن أبياتها التي تبلغ خمسة وأربعين بيتاً: [٢].

ادر الزجاجـــة فالنســـيم قـــد انبـــرى والـنجم قـد صـرف العنـان عـن السـرى

والصـــبح قـــد أهـــدى لنـــا كـــافوره لمـــا اســـتردّ اللـــيل منـــا العنبـــرا

وعلمـــت حقـــا أن روضـــي مخصـــب لمـــا ســـألت بـــه الغمـــام الممطـــرا

ياســـائلي مـــا حـــمص إلا خـــاتم ابصـــرت اسمـــاعيل فيـــه خنصـــرا

مـــن لا توازنـــه الجبـــال إذا احتبـــى مـــن لا تســـابقه الريـــاح إذا جـــرى

لاشـــيء اقـــرأ مِـــن شـــفار حُســـامه إن كـــنت شـــبهت الكـــتائب اســـطرا

وجهلـتُ معنـى الجـود حتـى زرتـه فقـــراته فـــي راحتيـــه مـــفسرا

٣- الرثاء:

من اصدق موضوعات الشعر، سئل البحتري عن سبب تفوق رثائه على مديحه قال: " من تمام الوفاء أن يعلو على المدح الرثاء "[٣] وقد غلب التأبين والندب والعزاء على محاور الرثاء في الاندلس[٤] ويرى ابن رشيق بعدم وجود فرق بين

---

[١] النفح ٢ : ١٩٤ .

[٢] محمد بن عمار الاندلس رقم (١) ، ص١٨٩ .

[٣] الاغاني ٤١/٢١ ، ط ، دار الكتب المصرية .

[٤] التأبين : الثناء على الميت ، الندب : النواح والبكاء على الميت ، العزاء : الصبر والمواساة.

المديح والرثاء سوى الاول في حي والثاني في ميت، و هذا غير صائب في العزاء والندب، ولا في موسيقى قصائد الرثاء التي تتميز بالانسيابية والترددات الافقية اضافة الى الالفاظ الدالة على الحزن والآهات والقتامة والاسوداد والحديث عن فلسفة الحياة والموت مقرونة بالحكم والمواعظ وذكر الأمم الغابرة على عكس المديح الذي يتصف بالفرح والغبطة والموسيقى العمودية والاصوات الجهورية، وقد اقحم الاندلسيون على سنة المعري موضوعات فلسفية عامة مثل عناصر الحياة " الجسم والنفس والروح " او " البقاء والعدم " او الماء والهواء والتراب "... كقول ابن وهبون (٤٨٤هـ) في استاذه الاعلم الشنتمرى: [١].

سبق الفناء فما يدوم بقاء تفنى النجوم وتسقط العلياءُ

نفسي وجسمي إن وضعتهما معا آلٌ يذوب وصخرةٌ خلقاءُ

وقوله: [٢]

ما النفسُ إلا شعلةٌ سقطت الى حيث استقل بها الثرى والماء

كذبت حياة المرء عند وجودها وجد الحِمام وكان منه الداء

ويمكن تصنيف الرثاء في الاندلس الى المحاور الآتية: -

[١] الذخيرة ١/٢ : ٤٧٨ .

[٢] الذخيرة ١/٢ : ٤٧٨ .

١- رثاء الأولاد والآباء والأقرباء:

و هو اصدق انواع الرثاء، ويغلب عليه الندب واظهار الحرقة التي يعانون منها، والنواح والبكاء بعبارات مشجية والفاظ محزنة التي تصدع القلوب و تذيب العيون الجامدة، ويأتي رثاء الابناء في مقدمة هذا النوع من الرثاء حرارة وحزناً، ولابن عبد ربه قصائد في ابنين له مات اولهما صبيا لم يبرح زمن الطفولة والثاني مات يافعاً قائلاً فيه: [١] .

بَلِيَــتْ عظامُــك والأسَــى يتجــدَّد والصــبرُ ينفَــذُ والبكــا لا يَنفَــذُ

يــا غائبــاً لا يُرتــجى لأ يابــه ولقائــهِ دون القيامــة موعــدُ

مــا كــان احســنَ ملــحداً ضُــمنْتَهُ لــو كــان ضَــمّ ابــاك ثــمّ الملحَــدُ

باليــأس أســلُو عنــك لا بتجلُــدي هيهــاتَ أيــنَ مــن الحــزينِ تجلُّــدُ

وللشاعر الكفيف الحصري القيرواني (٤٧٥ هـ) ديوان سماه " اقتراح القريح " في حوالي الفين وستمائة بيت على حروف الهجاء في ابن له اسمه عبد الغني كان ابن تسع سنين يقوده ويلازمه وكان نبغاً في قراءة القرآن وحسن ترتيله ويفرق بين القراءات والروايات، ومن ديوانه على روى الهمزة[٢]:

حاشــاك مــن نــار علــى الاحــشاء يــــزداد ضِعفــــا حرّهــــا بالمــــاء

عزيتنــي فــي مــا تــرى، وعــزوتني للصــــابرين ولاتَ حــــين عــــزاء

مــن لــي بــاجر الصــابرين وأعظمــي موهونــــةٌ مــــن اعظــــم الارزاء

اودى الــذي فــي وجهــه ويميــنه مــاءان، مــاء حــياء، ومــاء حيــاء

---

[١] يتيمة الدهر : ٧٦/٢ .

[٢] الحسن الحصري : ٢٧٣ .

لــو كــان كــل ابــنٍ نجـــيبا مثلــه منـــع الأبـــاء بكـــا علـــى الابنـــاء
تسـعى الرجـال فـلا تنـال بحرصـها مـا نـال – فـي تسـع – مـن العليـاء
ســالتْ حشاشـــة نفســه مـــن انفـــهِ فشـــهدت منـــه مصـــرع الشـــهداء[1]

ولابي الوليد الباجي قصائد مؤثرة في ابنين له ماتا في الغربة، فندبهما ندباً حاراً.

رعـــى الله قَـــبرين اســـتكانا ببلـــدةٍ همـا اسكـــناها فـي السّـواد مـن القلـبِ
يـــــقرُ بعينـــــي أنْ ازورَ ثـــــراهما وأُلـــصقَ مكنـون الترائـبِ فـي التـربِ
وابكـــى – وابكـــى – ســـاكنيها لعلّنـــي سأنجَدُ مِن صَحبٍ واسعَدُ من سُحبِ[2]

و يدعو الله تعالى ان يرعى قبري ابنيه اللذين يسكنان في سواد قلبه، ويتمنى ان يزور قبريهما ويحضن ثراهما، وانه يبكي آملا من ينجده ويساعده في بكائه.

ولابن حمديس قصيدة في ابيه ولابن خفاجة قصيدة مماثلة في ابن اخت له توفي في عنفوان شبابه.

٢- رثاء الزوجات:

وما يسمى بالبكاء على زوال الرقة والجمال[3] وهو يتصل غالباً ببكاء الزوجة فارقها بسبب الوفاة او الطلاق، وهذا النوع من القصائد لم تبرز في العصر الجاهلي والاسلامي لاسباب اجتماعية مرتبطة بالعادات والتقاليد التي كانت سائدة، ويعد جرير (١١٤هـ) اول مـن تناول هذا الموضوع بقصيدته المعروفة: -

لـــولا الحيـــاءُ لعـــادني اسِـــتعبارُ ولُـــزرت قبـــرَكِ والحبيـــب يُـــزارُ

---

[1] ولابن رومي (٢٨٣هـ) قصائد مؤثرة في رثاء ابنائه الذين كانوا يتوفون في عمر مبكر ، وقد ابدع في قصيدة له في رثاء ابنه الاوسط حيث يصف كيفية الاحتضار وتسليم الروح وما يعقب ذلك من اثر عليهم.

[2] ينظر سيرته : المغرب ١ : ٤٠٥ ، الذخيرة ٩٤/٢ ، معجم الادباء ١١ :٢٤٦ ، ابن خلكان ٣ : ٤٠٨ ، القلائد : ١٨٨ ، الصلة : ١٩٧ ، الامارات والدول : ٣٢٥ .

[3] الادب الاندلسي ، عصر الطوائف ، احسان عباس : ٣١٩ .

ولهـــتِ قلبـــي إذ علتنـــي كبـــرةُ وذوو التـــائم مـــن بنيـــك صـــغار

وهذه القصائد ذو لون ذاتي او ترجمة ذاتيه يتحدث الشعراء فيها عن الجمال وحلاوة العشرة وعن بنيها وحزنه وسهره والفقد الذي يحس به والمأوى الذي كان يأوى اليه في شدائده والصعوبات التي كانت يلاقيه في حياته والفراغ الذي تركته في حياته وسكنه، وهذا يرجع الى قيمة المرأة في المجتمع الاندلسي والوفاء الذي كانوا يتصفون بها لاسيما عقد الطبقة المحافظة و هو انعكاس للرقي الحضاري الذي تميز به المجتمع الاندلسي ومن هؤلاء الشعراء، الشاعر ابو اسحاق الالبيري الذي عرف بمنحاه الزهدي وكان يبكي على زوجته قائلاً [1]: -

عُـج بـالمطيِّ علـى اليبـاب الغـامر واربَـعْ علـى قبـرٍ تضَّـمن نـاظري

واقرالســلامَ عليــه مِــنْ ذي لوعــةٍ صـدعَتْه صدعـاً مـا لـه مـن جـابر

ولـــو أننـــي انصـــفتُه فـــي وُدِّه لقضـيتُ يـوم قضـى ولـم اسـتأخرِ

وشـققتُ فـي خِلـب الفـؤاد ضـريحَه وسقيتُـــه ربـــداً بمـــاء محـــاجري

وهو ينادي صاحبه ان يقف الركب على قبرها ويقرأ عليها السلام من رجل ملتاع صدعت بفراقها وكان من الانصاف أن يلحد معها في قبر واحد وان لم يمت شققت لها في الفؤاد ضريحا سقيته ابداً بدموع منهمرة.

وللاعمى التطيلي (ت٥٤٢ هـ) مرثية في زوجته آمنة تكاد فيها نفسه تذوب من الحزن والحسرات[2].

ونبئـت ذاك الـوجه غيـره البلـى علـى قـرب عهـد بالطلاقـة والبشـر

ومـا فعلـت تلـك المحاسـن فـي الثـرى فقـد سـاء ظنـي بـين ادري ولا ادرى

وقوله:

---

[1] ديوان ابي اسحاق الالبيري ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، دمشق ، ص٧٤ .

[2] ديوان الاعمى التطيلي : رقم ٢٤ ، تحقيق : احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ .

هنيـــئا لقبـــرٍ ضـــمَّ جِســـمك إنّـــه مـــقَرُّ الحَيـــا أو هـــالةُ القمـــر البـــدرِ

ولابن حمديس مرثية في أم ولده " جوهرة " غرقت في البحر، فتغزل كثيراً بجمالها قوله[1].

أيـا رشـاقةَ غصـنِ البـان مـا هصـرك ويـا تـألف نَظـم الشَّـمل مَـن نثَـرك

ولابن الزقاق (ت٥٣٠هـ) في زوجته " درة " ولابي عامر بن الحمارة تلميذ ابن باجه في زوجته " زينب " و هو من عصر الموحدين مرثية باسمها [2] كما إن للرحالة ابن جبير ديوان كامل سماه " نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح " في زوجته "أم مجد " ولابي حيان الاندلسي(٧٤٥) رائعة مؤثرة في زوجته زمردة.

٣- رثاء النفس:

و هو نوع من الرثاء يغلب عليه القتامة والاسوداد، لاسيما في اناس قضوا ايـامهم فـي مجـد وعنـوان ودارت علـيهم الأيـام الـى السـجن او الأسـر أو العجـز أو المرض أو العوز او الشيخوخة... كما في مرثية مالك بن ريب عندما احس بدنو اجله على سفوح سلسلة جبال حمرين.

ألا ليـــت شـــعري هـــــل أبيـــتن ليلـــة بجنـب الغضـا ازجـي القـلاص النواجيـا

وتنو عت مو ضوعاتهم بين المقار نة بين ما كانوا عليه في ايام مجدهم و ما وصلوا اليه، وشرح مفصل لما كانوا يعانونه من الذل والحزن والمرض و هم على عتبة الموت، بينما صبر آخرون أنفسهم القبول ان الموت سنة الحياة فهو الغاية والنهاية لكل انسان كما في – مرثية لابي عامر ابن شُهيد عندما هدده فالج و هو من منتصف العمر قائلاً:

يقولـــــون قـــد أوْدَى ابـــــو العُـــلا أقِلّـــــوا فقِـدماً مـــاتَ أبـــاءُ عـــامرِ

هو الموت لم يُصدْرَف باسجاع خاطبٍ بليـغ ولـم يُعـــطفْ بانفـاس شـاعرِ

---

[1] ديوان ابن حمديس : ٢١٢ .

[2] رايات المبرزين : ١٢٨ .

ولـم يجتنـب للبطـــش مهجـة قـادرٍ قـوى ولا للـــضّعف مهجـة صـابر

يَحـلُّ عـرى الجّـــبار فـي دار ملكـهِ ويهفـو بـنفس الشـارب المتسـاكر [1]

وعندما اشتد عليه المرض، عزم على الانتحار سنة ٤٢٦هـ وفيه لوعة شديدة وحرقة مريرة وهو لا يتمكن المسير او الوقوف[2].

انـوح علـى نفســي انـدب نبلهـا إذا أنـا فـي الضـراء ازمعـت قتلهـا

رضـيت قضـاء الله فـي كـل حالـةٍ علـيّ واحكامهـا مـا تيقنـت عـدلها

أظـل قعيـد الـدار تجنبـي العصـا علـى ضـعف سـاق اوهـن السـقم رجلهـا

ولمعتمد بن عباد(ت٤٨٨هـ) مرثيات كثيرة في مثواه الاخير في سجن اغمات وفي شده قيده قال: [3]

قيـدي: امـا تعلمنـي مسـلما ابيـتَ أنْ تشـفق او ترحمـا

دمـي شـراب لـك واللحـم قـد اكلتـه لا تهـشم الاعظمـا

ولما أحس بدنو اجله أوصى ان تثبت على قبره ابياتٌ اولها [4].

قبـر الغريـب سـقاك الـرائح الغـادي حقـاً ظفـرت باشـلاء ابـن عبـاد

وقد نودى في جنازته بالصلاة على الغريب بعد ان كان في حياته الملك الاول بين ملوك الطوائف بعد ان حكم ٢٣ سنة وهو القائل: - [5].

المُلـك لا يبقـى لاحـدٍ والمـوت لا يُبقـي علـى احـدٍ

٤- رثاء المدن التي سقطت بيد الافرنج في حقبة ملوك الطوائف:

---

[1] ديوان ابن شهيد : ١١٣ ، اودى : ماتَ ، اقلوا : لا تتكلموا .
[2] نفسه : ٥٥ ، الذخيرة ٢/٢ : ٨٢١ ، البيان المغرب ٤ : ٤٧ .
[3] الذخيرة ١/٢ : ٧٣ ، ديوانه : ١١٢ .
[4] الذخيرة ١/٢ : ٥٧ ، ديوانه : ٩٦ .
[5] الذخيرة ١/٢ : ٥٦ ، ديوانه : ٨٦ .

قال المقري نقلاً عن احدهم " ولم تزل هذه الجزيرة منتظمة لمالكها في سلك الانقياد والوفاق إلا ان طما بمترفيها سيل العناد والذفاق، فأمتاز كل رئيس منهم بصقع... فصار كل منهم يشن الغارة على جاره، ويحاربه في عقر داره الى ان ضعفوا عن لقاء عدو في الدين يعادي ويراوح معاقلهم بالعيث... " [1] وقد سقطت في عهد امراء الطوائف ثلاث مدن وهي بربشتر وطليطلة وبلنسية إضافة الى معاقل وحصون كثيرة موازية للمالك النصرانية.

وتعد نكبة "بربشتر " وهي من امهات مدن الثغر الاعلى، غزاها النورمانديون، وحاصروها أربعين يوماً دون مغيث من امراء دول الطوائف وسقطت سنة ٤٥٦ للهجرة ولم يبادر المقتدر بالله حاكم سرقسطة لانجاد المدينة لانها كانت من اعمال اخيه يوسف، فتعرضت المدينة لمصيرها وفيها حامية صغيرة ودفع بين اهلها تنازع في القوت والماء لقلتها فلاذوا بطلب الأمان، فغدر بهم وقتلوا جميعاً وجاء في الذخيرة "... فلما خرجوا نكثوا بهم وقتلوا معاً فحصلوا من غنائم بربشتر على ما يقدر حصره كثرة وزعموا انه صار لاكبر رؤسائهم في حصته نحو الف وخمسمائة جارية ابكاراً كلهن، ومن اوقار الأمتعة من الحلي والكسوة والوطاء خمسمائة حمل... اصيب في هذا القتل والسبي مائة الف نسمة "[2] وكان لهذه الحادثة اثر كبير لانها كانت الاولى وقد صورها الفقيه ابن العسال هذه الحادثة في قصيدة منها: [3].

كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عذراء

ولكم رضيع فرقوا عن امه فلله اليها ضجة وبكاء

---

[1] النفح ٤٤٦/٤ .

[2] الذخيرة ١/٣ : ١٨١ .

[3] الروض المعطار في اخبار الاقطار : ٤٠-٤١ .

وارسل الفقيه ابو حفص عمر الهوزني رسائل عدة الى امراء الاندلس يستنهض هممهم ويستجيش عواطفهم مع قصائد شعرية يدخل في باب الجهاد والاستنفار ومن قوله: [1] .

ايا اسفاً للدين اذ ظل نهبة بأعيننا والمسلون شهود

ويثلب بيت الله بين بيوتكم وقادره عن رد ذاك قعيد

وفي سنة ٤٥٧ تمكن المقتدر بن هود بمعاونة المعتمد بن عباد من استعادة المدينة بعد إبادة حاميتها البالغة الف وخمسمائة رجل [2] وقال الشاعر ابو عبد الله بن الحداد قصيدة عن ذلك منها: -

وجلى ظلام الكفر منك بغرة هي الشمس والهندي يقدمها الصبح

أما طليطلة هي واسطة عقد الاندلس، وكانت عاصمة القوط، وفيها بساتين وانهار ورياض وفواكه مختلفة الطعوم والالوان[3] وفي خريف سنة ٤٧٧ للهجرة اقترب الفونسو منها وضرب الحصار حولها لمدة تسعة اشهر ولم ينجدها احد سوى صاحب بطليوس عمر المتوكل بن الافطس الذي لم يكن وحده ذا قوة، وفي محرم ٤٧٨للهجرة استلمت المدينة وسقطت نهائياً بيد الافرنج وحول مسجدها الجامع الى كنيسة[4] وقد صور ابن العسال فداحة الامر ودعا الى ترك الاندلس باسلوب تهكمي ساخر في قراءة للمستقبل في ظل الاوضاع التي كانت سائدة قوله[5].

حثوا رواحلكم يا أهل الأندلس فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وارى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

---

[1] الذخيرة ١/٢ : ٨١-٨٢ .
[2] الذخيرة ١/٢ : ٧٢٦ .
[3] النفح ١ : ١٦٢ .
[4] صورة المجتمع الاندلسي : ٧١ ، النفح ٤٤٧/٤ .
[5] النفح ٤ : ٤٨٣ .

ونقل لنا المقري قصيدة يتيمة في رثاء الاندلس لشاعر مجهول في ثمانيين بيتاً جسد عظمة النكبة والجزع وضيق النفس الذي يشعر به وارجع أسبابها الى انتشار الفسق والفجور[١].

أنـــأمن ان يحـــل بنـــا انتقـــام وفيـــنا الفســـق اجمـــع والفجـــور

وتعرضت مدينة بلنسية لحصار القائد الاسباني السيد القنبيطور لعشرين شهراً من ٤٨٥-٤٨٧ للهجرة حيث ارغم قاضيها ابن جحاف على التسليم وعقد الصلح، فحول مسجدها الى كاتدرائية وصادر اموال ابن جحاف ثم احرقه وسط المدينة بحجة اخفائهِ بعض الاموال[٢].

ووصف ابن خفاجة المدينة في ظل الاحتلال بعد ان خرج منها[٣].

عاثـــت بساحـــتك العـــدا يـــا دار ومحـــا محـــاسنك البلـــى والنـــار

فـــاذا تـــردد فـــي جـــنابك نـــاظر طـــال اعتبـــار فيـــك واســـتعبار

أرض تقاذفـــت الخـــطوب باهلهـــا وتمخـــضت بخرابهـــا الاقـــدار

كتبـــت يـــد الحـــدثان فـــي عرصـــاتها لا أنـــت أنـــت ولا الـــديار ديـــار

وبعد وفاة السيد قمبيطور خلفته زوجته خيمينيا التي لم تتمكن من الصمود أمام جيش المرابطين فاضرمت النار في المدينة وخرج منها سنة ٤٩٥ هـ وعبر ابن خفاجة عن فرحته قائلاً[٤].

الآن ســح غمــام الــنصر فــانهملا وقــام صــغو عمــود الــدين فاعتــدلا

ولاح للسـعد نجـم قـد خـوى فهـوى وكـر للنصـر عصـرٌ قـد مضـى فخـلا

---

[١] نفسه والصفحة .
[٢] نفسه والصفحة .
[٣] ديوان ابن خفاجة : ٣٥٤، ٢٠٨ .
[٤] ديوان ابن خفاجة ٣٥٤ ، ٢٠٨ .

وسقطت المدينة نهائياً سنة ٦٣٦ للهجرة في حقبة الاضطراب السياسي في نهاية دولة الموحدين وقد وصلنا نتاج شعري ونثري غزير عن تلك الفادحة منها صرخة ابي عبد الله بن الابار البلنسي (ت٦٥٨ هـ) في قصيدته السينية والتي تدخل في باب شعر الاستغاثة والاستنجاد في سبعة وستين بيتاً في رواية النفح[١] وفيها تفصيلات عن النكبة التي تعرضت لها المدينة، كما له قصيدة اخرى همزية في الموضوع نفسه في تسعين بيتاً وفي ديوانه قصائد ومقطعات نثرية كثيرة عن فداحة النكبة وهي خليطة بين الندب والبكاء والاسف والحسرة والذكريات [٢].

٥- رثاء ممالك دول الطوائف التي سقطت بيد المرابطين اعتباراً من ٤٨٣هـ:

كان لسقوط امارات الطوائف في الاندلس اثر كبير في اشعال جذوة التأبين والبكاء والتفجع والاسى عند شعراء الاندلس، ودليل على خصلة الوفاء عندهم واستأثرت دولة بني عباد بنصيب اكبر من الاس والتفجع لان ملكه كان راعى الشعر والادب وصاحب مواقف تحسب له عندما طلب الغوث من المرابطين في شمال افريقيا على الرغم من النصح له بعدم فعل ذلك وقال مقولته المشهورة " أرعى الابل عند ابن تاشفين خير من أرعى الخنازير عند الاذفونش" وان قصة العزيز الذي ذل كانت تثير العواطف اكثر من الممالك التي سقطت اضافة الى ما عانه واسرته في الاسر من الذل والمعاملة السيئة، وتعد قصائده سجلاً حافلاً لمعاناته بتفاصيلها منذ دخول المرابطين الى اشبيلية في رجب عام ٤٨٤ هـ بعد حروب طاحنة استمرت اشهراً قلائل موقعاً فيها الذهب ومن ثم مقتل ابنه مالك بين يديه وإغماده السيف وانصرافه الى القصر فإخراجه مكبولاً[٣] .

---

[١] النفح ٤: ٤٥٧ ، ازهار الرياض ٢: ٢٠٧ .

[٢] ديوان ابن الابار : ق :٥٧ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ ، تحقيق : عبد السلام الهراس ، تونس للنشر ١٩٨٥ .

[٣] ينظر التفاصيل: القلائد :١٩ ،وفيات الاعيان ٤: ١٢١ ، اعمال الاعلام : ١٦٣ ، صورة المجتمع الاندلسي : ٤٤-٦١ .

وقد وصف ابن اللبانة الناس في اشبيلية قائلاً "... وخرج الناس من منازلهم يسترون عوراتهم بأناملهم، وكشف وجوه المخدرات العذارى، ورأيت الناس سكارى وما هم بسكارى " [١] ووصف المعتمد ذلك شعراً قائلاً [٢]:

لمـــــا تماســـــكت الدمـــــوع وتنـــــبه القلـــــب الصـــــديع

قـــــالوا الخضـــــوع سياســـــة فلـــــيبد منـــــك لهـــــم خضـــــوع

والـــــذ مـــــن طعـــــم الخـــــضو ع علـــــى فمـــــي الســـــم النقيـــــع

ثم جُمع هو وما بقى من اهله وحملتهم السفن على نهر اشبيلية " والناسُ قد حشروا بضفتي الوادي وبكوا بدموع كالفوادي، فساروا والنوح يحدوهم والبوح باللوعة لا يعودهم " [٣] ونفي واسرته الى اغمات وسجن في قلعتها وضيق عليه اشد التضييق وكان مكبلاً بالسلاسل وقُتل أبناؤه الأربعة بيد المرابطين وسبيت بنته " بثينة " وبيعت على انها جارية [٤]، وفي الطريق في شمال افريقيا، رأى جمعاً من الناس يصلون صلاة الاستسقاء، فقال معبراً عن آلامه وأحزانه بان دموعه الغزيرة تغني المصلين عن مياه الامطار، ولكنها ممزوجة بالدماء من غير فائدة [٥].

خرجـــوا ليستســـقوا فقلـــت لـــــهم دمعـــي ينـــوب لكـــم عـــن الانـــواء

قـــالوا حقيـــقٌ فـــي دموعـــك مقنـــع لكنـــــــها ممزوجـــــة بالـــــدماء

وضيق عليه في سجنه، واضطروا الى لبس الملابس الخشنة، وامتهنت بناته مهنة الغزل لتوفير لقمة الحياة وقد رآهم في العيد[٦].

فيمـا مضـى كنـت بالاعيـاد مسـروراً فسـاءت العيـد فـي اغمـات مأسـورا

---

[١] النفح ٤ : ٢١٦ .
[٢] الذخيرة ١/٢ : ٥٣ ، الحلة ٢ : ٦٥ . ديوانه : ٨٨ .
[٣] القلائد : ٢٣ ، النفح ٤ : ١٤ .
[٤] النفح ٤ : ٢٨٤ .
[٥] ديوانه : ٨٩ ، ١٠٠ .
[٦] المصدر نفسه.

تـرى بناتـك فـي الاطـــمار جائعـة يغـزلن للنـــاس لا يملكـــن قطميـرا
بـــرزن نحـــوك للتســـليم خاشـعة أبصـــارهن حسيـــرات مكاســـيرا
يطـأن فـي الطـين والاقـدام حافيـة كأنهـــا لـــم تطـــأ مســـكا وكـــافورا

وعاش في السجن بحزن عميق أسى ومرارة وشعور عميق بالغربة والإذلال، وكان هذا سبباً في ذوبانه ووفاته في رجب سنة ٤٨٨هـ عن سبع وخمسين سنة، ودفن الى جانب زوجته التي ماتت بجذبه قبل اسبوع، وكانت نكبته وما نظم حوله من الشعر صورة محزنة في بروز غرض جديد في الادب الاندلسي فيما يسمى بالعظمة الزائلة، ورثاه الشعراء بقصائد مؤثرة تدل على قمة الوفاء والصدق الشعوري بعيداً عن الرجاء والتكسب في رجل لم يبق له من السلطة والمال شيئاً، ومنهم: -

الشاعر ابن اللبانة الداني (ت٥٠٧هـ) شاعر الوفاء وريحانة الامراء[١] الذي احتفظت ذاكرته بصور عميقة مؤثرة للمعتمد بن عباد ونظم في ملكهم كتب مفقودة منها " نظم السلوك في مواعظ الملوك" واخبار الدولة العبادية " و " الاعتماد في اخبار بني عباد " و " سقيط الدرر ولقيط الزهر "[٢].

وتتبع مصير المعتمد منذ نقله الى اغمات حتى وفاته بالمراثى الجياشة وبالدموع الغزيرة ومن قصائده يصور كيف نقل بنو عباد في السفينة [٣] منها:

نســيتُ إلا غـــداة النهـــرِ كـــوْنهمْ فـــي المنشـــأت كـــاموات بألحـــادِ
والنـاسُ قـد مـلاوا العبـرين واعتبـروا مـــن لؤلـــؤ طافيـــاتٍ فـــوق ازبـــادِ
و
ســارت ســفائنهم والنــوح يصحـبهـــا كأنهـــا إبـــلٌ يحـــدو بهـــا الحـــادي

[١] المغرب ٢ : ٤١١ .
[٢] القلائد : ٢٣ .
[٣] نفسه : ٢٣ .

كم سال في الماء من دموعٍ وكم حَملتْ تلـك القطائـعُ مـن قطعـات اكبـاد

وزاره باغمات سنة ٤٨٦ للهجرة والقى عليه قصيدة ميمية يقول فيها: -

نـــدبتك حـــــتى لـــم يخـــلِّ الاس دموعـاً بهـا ابكـي عليـك ولا دمـا

وانـي علـى رسـمي مقـيم فـانْ أمـت ســأجعل للبـاكين رســمي موســما

بكـــاك والـــريح شـــقت جيـــوبها عليـك ونـاح الرعـد باسـمك معلمـا

و هي قصيدة طويلة فيها شاعرية وعبقرية، وجعل من مأساة المعتمد نهاية للمجد والسؤدد وضاقت عليه الارض وبكاه حتى جفت عيناه فلم يجد ما يبكيه من غير الدماء وشاركت الطبيعة احزانه فبكاه الحيا وشقت الريح جيوبها وناح الرعد ومزق البرق ثيابه واسود الكون حدادا.

وله قصيدة دالية تعد من أروع ما قاله منها [١].

تبكـي السـماءُ بـدمع رائـحٍ غـادي علـى البهالـيلِ مِـنْ ابنـاء عـبّادِ

علـى الجبـال التـي هـدت قواعـدها وكانـت الارض مـنهم ذات اوتـادِ

عريسـةٌ دخلتـها النائبـات علـى اسـاودٍ لهـم فيـها وآسـادِ

إنْ يُخلعـوا فبنـو العبـاس قـد خلعـوا وقـد خلـتْ قبـل حمـصٍ ارضُ بغـدادِ

ياضـيفُ أُقفـرَ بيـت المكرمـات فخـذ فـي ضَـمِّ رحلِـكَ واجمـع فضـلة الـزادِ

ويـا مؤمِّـل واديهـم لـيْسُكنهُ خـفَّ القطـينُ وجـفّ الـزرعُ بـالوادي[٢]

و هي قصيدة طويلة يقول منها ان السماء تبكي بسحبها على السادة من بني عباد الذين كانت الاندلس ترسو بهم كما ترسو ارض بالجبال وان قصورهم تحولت الى غابة نزلت عليها الكوارث واقتحمتها اسود مفترسة وحيات سامة ضخمة، ثم

---

[١] ديوانه : تحقيق : محمد محمد السعيد رقم ٢٦ .

[٢] رائح غادي : راجع ذاهب ، البهاليل : السادة ، اوتاد : جبال ، اساود : جمع اسود : الافعى الكبيرة ، العريسة : غيل الاسد والاساد ، حمص : اشبيلية ، خف القطين : رحل السكان .

يعزي نفسه بان قبلهم خلع آل عباد وسقطت بغداد ويطلب من ضيوف المعتمد بان يستعدوا للرحيل فاصبح الارض مقفرا واجمعوا بقايا الزاد إن كانت هناك بقايا.

كما له قصيدة تائية في اثنين وأربعين بيتاً يبكي على دولتهم ومطلعها [1].

لكـــل شـــيء مـــن الاشـــياء ميقـــات وللمنـــــى مـــــن منـــــائيهن غايـــــات

ومن الشعراء الآخرين:

أبو بحر بن عبد الصمد الذي زاره، وعندما وصل الى اغمات قيل له انه توفى، وزار قبره وخرّ على تربه ولثمه وكان عيدا وانشد قصيدته الدالية مطلعها[2].

ملـــك الملـــوك أســـامعٌ فانـــادي أم قدعـدتك عـن السَّـماع عـوادى

لمـا خلـتْ منـك القصـورُ فلـم تكـن فيهـا كمـا قـد كنـت فـي الاعيـاد

قبلـتُ فـي هـذا الثـرى لـك خاضـعاً وتخـذت قبـرك موضـع الانشـاد

ويذكر ابن عبد الصمد المجد الزائل وبكى حتى قيل بلل القبر بدموعه وهو يطوف حول قبره والناس يطوفون وراءه، وتحول قبره من ذلك اليوم الى مزار[3] وهي قصيدة مؤثرة.

أما ابن حمديس (٥٢٧هـ) شاعر الطبيعة والغزل فيعد من الاوفياء للمعتمد وقد نظم فيه قصيدة بعد عام من وفاته وهي قصيدة معارضة لدالية ابن اللبانة يتحدث عن محامده ومكارمه وشجاعته وبأسه والاسوداد الذي داهم القوم بذهاب دولته، وهي قصيدة في ستة وثلاثين بيتاً منها[4].

ســـأدمي جفـــوني بالسُّـــهاد عقوبـــة اذا وقفـــت عنـــك الـــدموع الجواريـــا

---

[1] ديوانه : ١٣ ، للمزيد من ترجمة ابن اللبانة ينظر : القلائد : ٢٤٥ ، المغرب ٢ : ٤٠٩ ، المعجب : ٢٠٨ ، المطـرب : ١٧٨ ، والخريـدة ٢ : ١٠٧ ، والتكملـة رقـم ٥١١ ، والفـوات ٤ : ٢٧ ،والوافى بالوفيات ٢٩٧/٤ ،والبغية : ٢١٣ ، اضافة الى اخبارمتفرقة في الذخيرة والنفح .

[2] القلائد : ٣١ .

[3] الذخيرة ١/٢ : ٥٨ ، النفح : ٥ : ٣٨٩ .

[4] ديوان ابن حمديس : رقم ٣٥ .

وامنـــع نفســـي مـــن حيـــاة هنيئـــة لأنـــــك حـــيّ تســـتحق المراثيـــا

وتعد قصيدة ابي محمد عبد المجيد بن عبدون اليابري (ت٥٢٩ هـ) المعروفة بالبسامة في مملكة بني الافطس في بطليوس من اشهر القصائد، و هي المملكة التي سقطت بيد المرابطين سنة ٤٨٨ للهجرة واميرها المتوكل بن الافطس، وكان له دور في الدعوة لتوحيد الاندلس من خلال تكليفه الفقيه ابي الوليد الباجي بالسير الى ملوك الطوائف لنبذ الخلافات، ومن أوائل من دعا الى الاستعانة بالمرابطين لذلك وصفه ابن الخطيب " وكان المتوكل ملكاً عالي القدر مشهور الفضل، مثلاً في الجلالة والسرور ومن أهل رأي وحزم والبلاغة وكانت مدينة بطليوس في مدته دار أدب وشعر ونحو وعلم "[1] وقد وقع في خطأ كبير عندما احس بخطر المرابطين ونيتهم للقضـــاء عليه

استعان بالافرنج مقابل التنازل عن ثلاثة مدن و هي اشبونه وشنترة وشنترين لهم، فهاجم عليه قوات المرابطين ولم يتمكن الفونسو السادس ملك قشتالة من انجاده فقبضوا عليه وعلى ولديه الفضل والعباس فقيد وأهين بالضرب لكشف ما عنده من اموال، وبعد اقراره قتلوا ولديه على مقربة منه ذبحاً، فقام ليصلي، فطعنه المرابطون برماحهم وقتلوه وقد رثاه الشعراء منهم ابن عبدون بالقصيدة اعلاه وقال عنها عبد الواحد المراكشي " قصيدته الغراء لا بل عقيلته العذراء التي ازرت على الشعر وزادت على السحر، وفعلت في الالباب فعل الخمر... فقل لها النظير وكثر اليها المشير " [2] ونقل ابن بسام منها ثمانية وخمسين بيتاً، وفي المعجب بلغت خمسة وسبعين بيتاً، وقد شرحه المستشرق دوزي وترجمت الى الفرنسية والاسبانية، يقول ابن عبدون[3]: -

---

[1] صورة المجتمع : ٨٤ .
[2] المعجب : ١٢٨ .
[3] للمزيد عن ترجمته و شعره يذظر : الذخيرة ٢/١ : ٨١٨ ، القلائد : ١٤٥ ، المغرب : ٣٧٤ ، الخريدة ٢ : ١٠٣ ، الصلة : ٨٣١ ، التكملة : ٤٠٧ ، المطرب : ١٨٠ ، المعجب : ١٢٨ ، ١٤١ ، ٢٢٨ ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ،والفوات ١٩/٢ ، والنفح متفرقة .

الــدهرُ يفجــع بعــد الــعين بــالاثر فمــا البكــاء علــى الأشــباح والصُّــورِ
أنهــاك أنهــاك –لا الومــكَ موعظــةً عــن نومــةٍ بــين نــاب اللّيــث والظُّفــرِ
فالــدهر حــرب وانْ ابــدى مســالمةً والبـيض والسـور مثـل البـيض والسـمر

وتبدأ القصيدة بمطلع تقليدي بشكوى من الدهر الفاجع والدنيا الخادعة ثم ينتقل الى الاعتبار بالماضيين وذكر الدول والاسر الزائلة عبر التاريخ ليخلص الى ذكر بني الافطس والتراحم على مجدهم الزائل في ثمانية عشر بيتاً وقال عنها ابن بسام " اقتضى منها ابو محمد اثر فحول القدماء من ضربهم بالامثال في التأبين والرثاء بـالملوك الاعـزة وبـالوعول الممتنعـة فـي قلـل الجبـال والاسـود الخـادرة فـي الفيـافي والنسور والعقبان والحيات في طول الاعمار "[1].

[1] الذخيرة : ٢/٢ : ٧٢١ .

عصر المرابطين

ينتسب امراء هذه الدولة الى قبيلة: لمتونة " من برابرة صنهاجة في المغرب، وكانوا يضعون لثاما على وجوههم، فلقبوا بالملثمين ومن ثم بالمرابطين نسبة الى رباط في جزيرة قرب السنغال كانوا يتعبدون بها[1] وهم سكان الصحراء الكبرى واطرافها، ومفكر هذه الدولة هو عبد الله بن ياسين، الذي اخذ على عاتقه تربيتهم دينياً وروحياً وتخليصهم من الجهل المطبق عليهم في امور الدين، ولما كثر عددهم وقويت شوكتهم علمهم أساليب الحرب وحثهم على الجهاد، فتوغلوا في بلاد المغرب، يدعون الناس للانضمام اليهم، فمن استجاب لهم واخذ بمبادئهم سالموه ومن خالفهم قاتلوه، واستشهد سنة ٤٥٦ هـ في احدى معاركه في نشر الدين الاسلامي جنوب الصحراء، فتولى امرهم ابو بكر عمر اللمتوني الذي تفرغ للجهاد في بلاد السودان، وسلم الامر الى ابن عمه يوسف بن تاشفين الذي واصل الجهاد في المغرب، وفتح فاس وطنجة وسبتة ثم بنى مدينة مراكش وجعلها دارا له، فعظمت هيبته لاسيما بعد وفاة ابن عمه ابي بكر بعد ان بلغ بجهاده نهر النيجر، ويرجع اليه الفضل في انتشار الدين الاسلامي في مناطق جنوب وغرب الصحراء الكبرى في افريقيا، واصبحت هذه البلاد تحت إمرته [2] وفي تلك الفترة كانت الاندلس تعاني التفرقة والضعف في عهد ملوك الطوائف، وكان الفونسو السادس ملك قشتالة يجوب الاندلس دون رادع، وفي سنة ٤٧٩ هـ ارسل المعتمد بن عباد امير دولة بني عباد في اشبيلية بمشاورة المتوكل بن الافطس، امير بطليوس رسالة الى يوسف بن تاشفين يخبره بما آل اليه حال المسلمين في الاندلس، طالباً منه العون والاستغاثة فعبر الى الاندلس والتحم مع

---

[1] الادب العربي في الاندلس : ٢٦ ، د. علي محمد سلامة ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٩ .

[2] للمزيد ينظر : البيان المغرب : ٧١٤ ، الحلة السيراء : ٢١٢ ، عصر المرابطين والموحدين ١ : ٣٧ ، محمد عبد الله عنان ، لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

جيش الاندلس، والتقى بجيش الافرنجة سنة ٤٧٩ هـ في موقعة الزلاقة، وانتصر عليهم وتلقب بامير المسلمين [١].

ولقبه الخليفة العباسي " المقتدي بأمر الله " بلقب ناصر الدولة، ومن ثم قضى على ملوك الطوائف تباعاً وضم الاندلس الى ملكه، وكان رجلاً تقياً زاهداً، وتوفي في

سنة ٥٠٠ للهجرة، فآلت الامارة الى ابنه علي الذي جعل من مقر حكمه " مراكش " تاركاً الاندلس لاخيه " تميم " وللقادة العسكريين لاسيما سيرين بن أبي بكر، ولم تنعم الاندلس في عهدهم بالاستقرار لتعصبهم الشديد للدين وتمسكهم بمذهب الامام المالكي وتركهم الامور للفقهاء ورجال الدين مع تدخل المرأة في شؤون الحكم، وفي عهدهم سنة ٥١٢ هـ سقطت سرقسطة وما يحيط بها بيد النصارى وكانت تعد السد المنيع امام الافرنج، كما انتشر روح الدعة والانغماس في الملذات والشهوات عند امرائهم في أواخر عصر علي بن يوسف بن تاشفين وعدم السير على خطى الاسبقين منهم وانحراف نظام الحكم عن نظام الشورى الى الوراثي الذي سبب صراعاً عنيفاً على منصب ولاية العهد بين اولاد علي بن يوسف، وظهور " المهدي محمد بن تومرت " في جبال المصامدة بالغرب واستغلاله لسوء الاحوال الاقتصادية والسياسية وكان سبباً في قيام دولة الموحدين وسقوط دولة المرابطين بعد حكم دام ستين سنة[٢].

الحالة الثقافية: ان الحقبة الواقعة بين سقوط دول الطوائف الى نهاية القرن ووفاة يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ للهجرة كانت انتقالية قلقة بالنسبة للشعراء لسقوط معظم بلاطات الامراء التي كان فيها الشعر يلقى الرعاية والتشجيع، اضافة الى انشغال المرابطين بالقتال، وكانوا ينتمون الى قبائل اللمتونية الذين يتصفون بالخشونة

---

[١] المصدر نفسه.

[٢] تاريخ دولة المرابطين والموحدين : ٢٣٣ ، د. علي محمد الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٥ .

والبداوة والتعصب لذلك ضعف الادب لاسيما الشعر في تلك الحقبة إلا قصائد بالغة الصدق قيلت في رثاء الممالك التي اشرنا اليها والتي كان ظهورها امتداداً للنهضة الادبية السابقة لذلك قال ابن بسام في حديثه عن الحصري القيرواني "... ولما خلعوا واخوت تلك النجوم وطمست للشعر تلك الرسوم " [1] وفي موضع آخر " والادب بها اقل من الوفاء، حامله اضيع من قمر الشتاء "[2]، وقد لخص الفتح بن خاقان الحال شعراً[3].

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها على عربي ضاع بين اعاجم

ولا ذنب لي عند الزمان علمته سوى انني للشعر آخر ناظم

وبعد ذلك تأقلم المرابطون مع الشخصية الاندلسية واخذوا يهتمون بالشعر والادب وظهر قادة مرابطون يسمعون الشعر ويشجعونه كأبي اسحاق ابراهيم بن يوسف ممدوح ابن خفاجة الذي اهدى له الفتح بن خاقان كتابه " القلائد " واصبحت هنالك حركة ادبية ولاسيما ان معظم الشعراء كانوا مخضرمين مثل الاعمى التطيلي وابن خفاجة وابن حمديس وابن عبدون التجيبي وابو الصلت الداني وابن سارة الشنتريني ومن ثم ابن الزقاق البلنسي (٥٣٠ هـ) وعملاق الزجل ابن قزمان (٥٥٤) والرصافي البلنسي (٥٧٢هـ) وغيرهم، ولما كانت الدولة مبنية على اسس شرعية فقد اهتموا بالفقهاء ورجال الدين وبرز منهم القاضي الشهيد ابو علي الصدفي، وكان عالماً بالحديث وابو بكر بن العربي (٥٤٣ هـ) صاحب كتاب احكام القرآن والقاضي عياض (٥٤٤ هـ) الذي برع في القضاء والفقه والحديث واللغة والادب وفي مجال اللغة نبع ابن السيد البطليوس (ت٥٢١ هـ) وكان متبحراً في النحو وعلم اللغة وابن عبد الله التدميري (ت٥٥٥هـ) وابن اللجاش وفي التاريخ والادب نبغ ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب الذخيرة، والفتح بن خاقان وكتاباه قلائد العقيان ومطمح

---

[1] الذخيرة ١/٢ : ٦٦ .
[2] الذخيرة ١/١ : ٢٠ .
[3] القلائد : ٢٩٢ .

الانفس " وابن بشكوال وكتابه الصلة وفي الجغرافية نبغ ابو عبد الله محمد الادريس وعبد الله بن الحجاري صاحب كتاب المسهب في غرائب المغرب " والذي نقحه ابن سعيد باسم " المغــرب في حلى المغرب "[١] وغيرهم.

أهم الاغراض الشعرية: استمرت الاغراض الشعرية السابقة كالمديح والغزل والرثاء وانسحبت من الواجهة لتحل محلها أغراض شعرية متناسبة مع خط الدولة الاسلامية وهي الزهد والتصوف اضافة الى شعر الطبيعة الذي كان منفساً للشعراء لاظهار براعتهم الفنية لاسيما المخضرمون منهم، واصبح الشعراء يكتبون لانفسهم او لزملائهم من القراء ليتحول الشعر من العامة الى الخاصة وغلب العقل على العاطفة ليتدحرج الشعر الى بطون الكتب ويغلب عليه الموعظة والصنعة والجمود.

الــزهد: يقصد بالزهد لغوياً: الرغبة عن الشيء وفي الاصلاح: ترك المباح المحبوب المقدور لأجل الله تعالى فتارك المحظورات لا يسمى زاهداً، وتارك ما لا يؤوبه به لا يسمى زاهداً، وترك ما لا يقدر عليه لا يكون زاهداً [٢]. والزهد يكون في الخُلق والعمل لا في القول فقط.

و هو من خلق المسلم الكريم ولا يعني البخل، كما لا يعني العطل والكسل والاستغلاق، وهو نقيض الطمع والتبذير والشهوة، والزهد من الاغراض الرئيسة في الادب العربي منذ انتشار الدين الاسلامي الحنيف وقد نقل المسلمون الاوائل خلق المتزهد الى الاندلس لتناغمه مع الرهبنة التي كانت معروفة عند السكان الاصليين من الكاثوليك، وقد نقلت المصادر اسماء الشعراء البارزين منهم ابي وهب عبد الرحمن القرطبي (ت٣٤٤ هـ) وفي المغرب[٣]" انه لا يكلم ولا يجالس احداً وكان اكثر دهره مفكراً ووجهه على ركبته "

منزلــي حيــث شــئتُ مــن مســتقر الــ أرض أُســـــقى مـــــن الميـــــاه زلالا

---

[١] للمزيد ينظر : تاريخ دولة المرابطين والموحدين : ٢١٠-٢٣٠ ، د. علي محمد الصلابي .
[٢] الادب الاندلسي : ١٤٠ ، د. منجد .
[٣] ترجمته وشعره في المغرب : ١ : ٥٨ ، التكملة : ٧١٨ ، النفح ٣ : ٢٠٩، ٢٢٦ .

لـــيس لـــي كســـوة أخـــــاف عليهـــا مـــــن مغيـــرٍ ولا تـــرى لـــي مـــالا

اجعـــل الســـاعدَ الـــــيمين وســـادي ثـــم اثنـــي – اذا انقلبـــت – الشَّـــمالا

ويقول بانه لا يملك منزلا يقيه البرد وينام فيه ليلا ولا ثوباً غير الثوب الذي يستر جسده ولا شيئاً يخاف عليه، ويكفيه جرعات من ماء عذب ويتخذ يمينه او شماله وسادة له، وهذا يتنافى مع روح الدين الاسلامي لان الله تعالى اكرم الانسان وفرقه عن الحيوان واوجب عليه العمل والستر وتكوين اسرة بما يفيد المجتمع الاسلامي ويعمر منازله.

وفـي عصـــر ملـوك الطوائـف بـرز علـي بـن اسماعيل الفهـري المعـروف بالطَّيطل[1] وكان من الادباء النبلاء والشعراء المحسنين مشاركاً في الحديث والفقه ثم مال الى النسك والتقشف ونظم في معانيها اشعاراً كثيرة واتخذ لنفسه مربطاً في بستان له ولزم العبادة والنسك ومن نظمه:

إذا سـد بـابٌ عنـك مـن دون حاجـةٍ فدعـــه لاخـــرى ينفـــتح لـــك بابُهـــا

فـــانّ جِـــراب البطـــنِ يكفيـــك ملـــؤه ويكفيـــك ســـوءات الامـــور اجتنابهـــا

ولا تـــك مـــبذالا لعرِضـــك واجتنـــب ركـــوب المعاصـــي يجتنبـــك عقابُهـــا

وله وصف دقيق لنملة صورا ضعفها وصغرها وقوتها مدخرة له مهتديه في ظلمة الليل الى خرت كثقب الابرة لا يسمع احد له حركة، اولها [2].

تســـري اعتســـافاً ولقـــد تهتـــدي فـــي ظلمـــة الليـــل الـــى الخـــرت

و هذه الأبيات حجة على الذين يتركون الدنيا ومطالبها كاملة فيما يدعى بالتقشف الشديد كما وردت في أبيات أبي وهب القرطبي التي اشرنا اليها.

---

[1] الجذوة : ٢٩٤ ، البغية : ١٢١٢ ، الذيل والتكملة ٥ : ١٩٥ ، الذخيرة ٢/٢ : ٧٩٧ .

[2] الذخيرة : ٢/٢ : ٧٩٧ .

كما برز في القرن نفسه ابو اسحاق الالبيري (٤٦٠ هـ) وكان فقيها محدثاً ورعاً، وتتلمذ على يد شيخه ابن أبي زمنين صاحب كتاب " المدونة واحوال السنة وحياة القلوب في الزهد " [١] وعمل كاتباً عند قاضي غرناطة في عهد باديس بن حبوس وحمل كثيراً على الوزير اليهودي اسماعيل بن النغريلة اليهودي لتسلطه على شؤون الحكم مما ادى الى نفيه وابعاده عن غرناطة، وبعد وفاة باديس وتولي ابنه يوسف، عاد الى غرناطة والقى قصيدة كانت سبباً في اندلاع الثورة على اليهود سنة ٤٥٩ للهجرة وقتل عدد كبير منهم [٢].

وقد انزل الله في وحيه يحذر عن صحبة الفاسقين

ويضحك منا ومن ديننا فانا الى ربنا راجعون

فبادر الى ذبحه قربةً وضح به فهو كبش سمين

يقول ابن سعيد في المغرب "له ديوان ملآن من اشعار زهدية ولاهل الاندلس غرام بحفظها " [٣] وكانت قصائده حماسية بمشاعر دينية، وأول قصيدة له في ديوانه تائية في الزهد في مئة بيت وسبعة مطلعها:

تفتُّ فؤادك الأيام فتّا وتنحت جسمكَ الساعات نحتاً

وتدعوك المنونُ دعاءَ صدقٍ ألا يا صاحِ: أنت أُريد انتا

ومن الشعراء الآخرين بكار بن داود المرواني[٤] الذي ادرك المرابطين وابو عمران المارتلي (ت٦٠٤هـ). [٥]

---

[١] دفاتر اندلسية : ٥٥٢ .

[٢] ديوان أبي اسحاق الالبيري : ٩٦ ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٦ .

[٣] المغرب ٢ : ١٣٢ .

[٤] ترجمته وشعره في المغرب : ٤١٥ ، النفح ٣: ٣٣٤ .

[٥] ترجمته في: المغرب ١ : ٤٠٦ ، النفح ٣: ٢٢٥ ،٢٩٦ ، التكملة : ٤٥٧ ، الغصون اليانعة : ١٣٥ .

وقد قسمنا الزهد في كتابنا " صورة المجتمع الاندلسي " [1] إلى:

١- **الزهد الاخلاقي وكانوا على فئتين.**

أ – فئة انعزلت في البيت واعتكفت على العبادة والتقوى مكتفية بما عندهم من زاد او محصول او حرفة مقنعة وما يوفر لهم من الأمن والصحة.

ب – فئة اتخذت من لسانها وفعلها قدوة للآخرين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر باسلوب وعظي بلهجة خطابية وروح مثالية وانغمس بعضهم في السياسة كأبي اسحاق الالبيري وأبي الوليد الباجي.

٢- **زهـد الشيخوخة:**

عندما يصل العمر الى مرحلة السقم والمرض والعجز يستغفر ويتعفف بعد ان يدرك سنة الحياة ومشقة غروبها، وزهد الشعراء جله من هذا النوع كقول أبي القاسم خلف بن فرج الالبيري المعروف بالسمسير (٤٨٤ هـ) والذي اشتهر بالهجاء واللهو في شبابه ثم استغفر وتاب ومن قوله: [2]

جملـــــة الـــــدنيا ذهـــــاب مثـــــل مـــــا قـــــالوا ســـــراب

والـــــذي منهـــــا مشـــــيد فخـــــــــــراب ويبـــــــــات

٣- **زهد زوال السلطة و الجاه:**

بعد ان يفقد سلطته وماله وجاهه يعتكف ويعتزل، ولنا في ذلك عيسى ابن لبون الذي كان قائماً على مربيطر ووزيراً وبعد عزله كان يطوف في البلاد ويتزهد وهو القائل: [3].

نفضـتُ كفـي عـن الـدنيا وقـلت لهـا اليـك عنـي فمـا فـي الحـق اعتـبنُ

---

[1] صورة المجتمع الاندلسي : ١٨٧-٢٠١ .
[2] الذخيرة ٢/١ : ٨٩٤ .
[3] نفسه ١/٣ : ١٠٨ ، الحلة ٢ : ١٧١ .

ومـــا مصـــابي ســـوى مـــوتي ويـــدفنني قـــوم ومـــا لهـــم علـــم بمـــن دفنـــوا

اضافة الى الزهد المؤقت الذي يذتاب الانسان في المحن ويزول بزوالها، ومعانيهم تدور حول: الموت، وازدراء الدنيا وطلب الآخرة والطاعة والانقياد لله تعالى، والاستغفار والمناجاة والتفكر في عظمة الكون، وذكر الحساب وظلمة القبر، والقيام في الليل، وقد اورد ابن بسام قصيدة في صفات المتزهدين مطلعها[1].

خـذ كمـأة الليـل فـي جـام مـن السـهر واسـكب عليـه دمـوع العـين بالسـحر

وامزجـه بـالخوف مزجـاً ناعمـاً ابـداً وقـــم علـــى قـــدم الايـــراد والصـــدر

النثر في عصر ملوك الطوائف والمرابطين

إن النثر الفني وما يسمى بالنثر المنمق قد قطع شوطاً كبيراً في ميدان الادب من حيث تعددت موضوعاته وسعة مساحته ولكنه كان صدى للنثر الادبي في المشرق العربي، وكانت أساليبهم انعكاساً لاساليب ابن المقفع والجاحظ وعبد الحميد الكاتب وعماد الدين الاصبهاني وقاضي الفاضل وغيرهم، وتميز كتاباتهم بجمع بين الشعر والنثر والاجادة فيهما على حد سواء مثل ابن زيدون وابن شهيد وابن حزم وابي حفص بن برد وابن دراج القسطلي وفي عصر بني الاحمر لسان الدين بن الخطيب...على عكس أدباء المشرق الذين تفوقوا في مجال النثر فقط، وتميز نثرهم بما يأتي: -

اشـتداد روح السـخرية والاسـتهزاء كمـا فـي رسـائل ابـن زيـدون ومـنح الموضوعات الصغيرة السطحية شكل الموضوعات الجادة والبطولية مثل المفاضلة بين الاشياء كالورود والازهار والآلات لاظهار الباع والمقدرة الفنية مع غلبة السجع المنمق والمزدوج والبحث عن الالفاظ التي تجري مجرى الحكم والامثال كما في وصف ابن برد للقلم والمداد والكتاب[2] والاكثار من الامثال وحل الشعر والتلويح

---

[1] الذخيرة ١/١ : ٨٥١ .
[2] الذخيرة ٢/١ : ٢٨ .

والاشارات الى الاشخاص والاحداث وكثرة المعارضات لنماذج شرقية واندلسية مع الالتجاء الى الرمز في اخفاء القصد الحقيقي والجمع بين الشعر والنثر، ويمكن تقسيم نثرهم الى: -

١- الخطابة:

استمرت الخطابة على ماكانت عليها من اسباب دينية وحربية وسياسية وادارية وقد تختلط موضوعاتها مع موضوعات الرسائل الديوانية فمالت الى الكتابة دون الالقاء ولنا في عصرنا ابن أبي الخصال صاحب كتاب سراح الادب، الذي عارض ابن نباته في اسلوبه كما في خطبته في الحض على الجهاد و له خطبة في عيد الاضحى يقوله: " الحمد لله الذي لا تعد سوابق نعمه، ولا تحد علائق عصمهِ، ولا ترد بوائق نقمه، الذي فضح البرية عدلهُ ووسعتهم رحمته وفضله، قدّر أرزاقهم وأعمارهم، وأحصى أنفاسهم وكتب اثارهم، ووكل بهم ليلهم ونهارهم، فكل يتحرى مطالعهُ إلى أنْ يبلغ منتهاها، ويتقرى مضاجعه حتى يبيت بأقصاها، من رضي حتمه فمن السعداء، ومن سخط حكمه فليمدد بسبب الى السماء، أحمده حمدَ مؤمنٍ بلقائه مؤمن بدوامه وبقائه.. " وهي مليئة بذكر تفاهات الدنيا والتذكير بالموت.

وفي الحث على الجهاد قال: " ألا تستوحشون لتباريح العصر، وركود ريح النصر، وتداعي أمم الكفر، واجفالنا عن مقاومتهم إجفال العفر، ألا نقلع عن الذنوب التي فتت في أعضادنا، وقضت باهتضامنا واضطهادنا ؟.... " [١]

٢- الرسائل الديوانية:

وهي ما تسمى بالمراسيم والقرارات من اعلان الحرب ومعاهدات السلام والرسائل الدبلوماسية والادارية الرسمية، وقد اعتنى عبد الرحمن الداخل منذ عهد مبكر بديوان الرسائل، ويعد عبد الرحمن الاوسط مؤسس الحضارة الاندلسية ونظمها الادارية التي استقرت منذ عهده واتخذ مجلس الوزراء وقسم شؤون الدولة الى القضاء والمالية والحرب واقتضى ذلك تعدد الكتاب، وفي عصر امراء الطوائف

[١] تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ٢٨٦ ، احسان عباس .

اصبح التنافس السياسي الحاد بينهم على استقطاب الكتاب، وبرز عدد كبير منهم[1] مثل احمد بن عباس كاتب زهير امير المرية ومحمد بن احمد البزلياني كاتب حبوس صاحب غرناطة ومحمد بن الجن كاتب المتوكل بن الافطس امير بطليوس الذي كتب له رسالة الى يوسف بن تاشفين امير المرابطين بمراكش يستصرخه لنجدة الاندلس ضد الفونسو السادس ملك قشتالة وفيها يقول: "... لما كان نور الهدى دليلك، وسبيل الخير سبيلك، ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الاسلام اعزُّ ناصر وعلى غزوك الشرك اقدرُ قادر، وجب أنْ تستدعى لما اعضلَ من الداء، وتستغاث لما احاط بالجزيرة من البلاء، فقد كانت طوائف العدو المطيفةُ بها – اهلكهم الله – عند افراط تسلطها واعتدائها وشدّة كَلَبها واستشرائها، تلاطف بالاحتيال وتُستنزل بالاموال... " [2] وهي رسالة استصراخ، وقد سجلت الرسائل الديوانية الاحوال السياسة وطبيعة المشكلات التي تعترضهم والاساليب المتبعة في معالجة مشاكلهم، وهي رسائل تسير في ركاب قرينتها المشرقية من التعقيد والسجع والجناس والتصنع وهي وليدة مدرسة القاضي الفاضل واسلوبه[3].

٣- الرسائل الاخوية او الشخصية:

وهي لا تختلف عن الرسائل الديوانية في محاكاة رسائل مشرقية، وهي رسائل يعبر كتابها عن عواطفهم ومشاعرهم من ثناء وشكر وعتاب واستعطاف واعتذار وتهنئة وشفاعة وتعزية وسخرية، منها رسالة برفض ود احد الحكام بعد فقدان سلطته وهو تقليد لرسالة بديع الزمان الهمذاني في الموضوع نفسه[4].... ولابن شُهيد (٤٢٦هـ) طائفة كبيرة من الرسائل الشخصية وفيها اطناب[5] ولابن برد

---

[1] للتفاصيل نفسه : ٣٩٤ .
[2] الذخيرة ٢/٢ : ٣٥٣ ، عصر الدولة والامارات : ٣٩٥ .
[3] للمزيد عن الرسائل الديوانية وكتابها ينظر : عصر الدول والامارات : ٣٩٢-٤٢٢ .
[4] الذخيرة ١/١ : ١١٧ ، ولتفصيل ذلك ينظر : الادب الاندلسي ، موضوعاته وفنونه : ٥٨٣-٥٩٠ .
[5] ينظر الذخيرة ١/١ : ٢٠٧ .

الاصغر كاتب معن ابن صمادح حاكم المرية مجموعة من الرسائل في العتاب والاستزارة ورسالة في ذم صديق، كما ان له رسالة في تفضل الورد بين الزهور [١] ولابن خفاجة رسائل في التهادي والعتاب ورسالة في شهيد يتفجع عليه منها [٢].

" قمرُ فضلٍ سارَ الى سراره، ووسطى عقدٍ اخذ في انتثاره وصباح جذل اسرع في انطوائه، ومصباح أمل عُجِّل بانطفائه، فقبحاً لدنيا قصفته أنضرٍ ما كان غضا وكسفته أقمر ما كان حسنا وصار مفقوداً..... "

وورد في صبح الاعشى للقلقشندي[٣] طائفة من الرسائل الشخصية لابي عبد الله بن ابي الخصال الذي يعد من اهم الكتاب في دواوين المرابطين، ورسائله تدور حول شكر وتهنئة بقدوم وتعاز في وزير وبنت واخ وزوجة، كما ان لابن زيدون رسائل منها رسالة شكوى لأحد أصدقائه وفيها طرافة ونعومة وعمد الى السجع والصنعة[٤] كما له رسالتان شهيرتان، الرسالة الجدية والرسالة الهزلية، كتب الاولى عندما كان في السجن يطلب الشفاعة والثانية يسخر من الوزير احمد بن عبدوس غريمه في حب ولاة بنت المستكفي وهي رسالة مسجعة وفيها عبارات منمقة وهي غذية بالاعلام والامثال والوقائع التاريخية والاشعار المقتبسة، وفيها جد وهزل ولاهميتها شرحها جمال الدين بن نباتة المصري في كتاب سماه " سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون والرسالة فيها سخرية لاذعة وفكاهة عذبة ومتأثرة برسالة الجاحظ " التربيع والتدوير " في موضوعه دون اسلوبه لان الجاحظ يميل الى الترسل غير المقيد وابن زيدون يميل الى السجع التام والازدواج متأثراً بطريقة ابن العميد (٣٦٠هـ)، علماً بان هذا النوع من الرسائل السخرية وجد عند كتاب مشرقيين آخرين مثل ابي اسحاق الصابي وبديع الزمان الهمذاني، وكتب الرسالة على لسان ولادة حتى يكون النيل منه اكثر وقعاً، وفيها تشبيهات ذات مفارقات شديدة ومقارنات

---

[١] نفسه ١/١ : ١٢٧ .
[٢] نفسه ١/٣ : ٥٥٧ .
[٣] المجلد ٨، ٩ ، ١٤ .
[٤] الذخيرة ١/١ : ٥٥ .

مضحكة ساخرة بين غريمه ومشهوري العلماء والفقهاء والقصد الذيل منه، و من الرسالة:

" أما بعد ايها المصاب بعقله، المورط بجهلهِ، البيّن سقَطُه، الفاحش غلطه، العاثر في ذيل اغتراره، الاعمى من شمس نهاره، الساقط سقوط الذباب على الشراب، والمتهافتْ تهافت الفَراش للشهاب، فأنّ العُجبَ أكذبَ، ومعرفة المرء نفسه اصوب.... " والرسالة فيها إطالة واطناب في حوالي ١٢٥ سطراً، فيها صناعة لفظية معتمدة على السجع وازدواج العبارة وفيها معلومات تاريخية عربية وفارسية ويونانية وتزدحم بالمعارف العلمية وتمتلئ بالامثال العربية والشواهد الشعرية للمغمورين والمشهورين من الشعراء، وانه لم يأت بيت واحد لاندلسي.

٤- الرسائل الفكرية:

وهي الرسائل التي تتناول موضوعاً فكرياً، في التأمل في الاشياء ومعالجة المشكلات ودراسة موضوع معين مثل رسائل ابن باجة الفلسفية ورسالتي ابن السيد البطليوس " الحدائق " و " الانتصار " ورسائل ابن حزم في الرد على مخالفيه ورسالة ابن ارقم في الرد على ما انتقده ابن سيده، وهي رسائل يغلب المضمون على الناحية البيانية[١].

٥- رسائل وصف الطبيعة:

كانت الطبيعة شاغل الاندلسيين، ولاسيما الادباء منهم، ولكثير منهم رسائل في وصف الطبيعة، وكان ابن خفاجة غالباً ما يتوج قصائده بقطعة نثرية في وصف الطبيعة، ولابي قاسم ابن الجد (ت٥٠٨هـ) رسالة في وصف مطر بعد جدب شديد [٢] يقول:

---

[١] الادب الاندلسي: عصر الطوائف : ٢٨٨ ، احسان عباس .

[٢] الذخيرة ١/٢ : ٢٨٥، ٣٤٧ ، الصلة : ٥١٦ ، المطرب : ١٩٠ ، المعجب : ٢٣٧ ، القلائد : ١٠٩ ، الذيل والتكملة : ٦: ٣٢٦ ، والمغرب : ٣٤١/١ ، الخريدة ٣ : ٣٩٣ ، احكام صنعة الكلام لعبد الغفور الكلاعي : ١٨٥ ، عصر الدول والامارات : ٤٤٢ .

" لما استرابت حياضُ الو هادِ، بعهود العِهاد، وتأهبتْ رياضُ النِّجاد لبرود الحِداد، واكتحلتْ أجفانُ الازهار بأثمِد النقع المثار، وتعطلتْ الانوار من حُلي الدِّيمة المدرار، ارسل الله تعالى بين يَدَيْ رحمته ريحاً بليلةَ الجناحِ سريعة الالقاح، فنظمتْ عقود السَّحاب، نظم السِّخاب، ولم تلبث أنْ أنهتكَ رواقُها، وانبتك وشيكاً نطاقُها، واذبرتْ مدامعُها تبكي بأجفان المشتاق، غداة الفراق، فاستغربت الرياضُ ضحكا ببكائها، واهتزتْ رفاتُ الذباتِ طرَ باً للتغريد مُكّائها، فيا بَردَ موقها على القلوب والاكباد ويا خلوص ربِّها إلى غُلل النفوس الصَّوَاد فكأنما أستعارتْ انفاسَ الأحباب او ترشّفت رُضاباً من الثنايا العِذاب، أو تحملت ماء الوصال او سَرتْ على أنداءِ الأسحارِ ورَيَحانْ الآصالِ، فالحمد لله ذلك انسكَبَ قطْرٌ وانصدعَ فجرٌ وتوقد قبس، وتردَدَ نَفَس "[1] ولابن ابي الخصـــال (ت٥٠٨) رسالة مشابهة في وصف ليلة شديدة البرد[2].

المفـاخرات: فـي التفـاخر بتفضـيل عنصـر أو مكـان علـى آخـر، وظهـرت المفاخرات نتيجة الصراع السياسي بين العرب والمولدين في حقب الامارة والطوائف ومن ثم الصراع بين الاندلس والبر الافريقي في عهدي المرابطين والموحدين، وهي تنـاظر الرسـائل المشـابهة بـين العـرب والمـوالي فـي الشـرق، وقـد نقـل لنـا المقـري التلمساني ثلاث رسائل في تفضيل الاندلس ضمن رسائل فضائل الاندلس واهلها، منها رسالة ابن حزم (٤٥٦ هـ) الذي عمد الى الاسلوب السهل المرسل الخالي من التعقيد اللفظي تارة، والى اسلوب المناطقة في سوق الحجج وسط المقدمات حتى ينتهي الى النتائج المطلوبة في تقديس ارض الاندلس وطنه الذي احبه وتفاخر بمدينته

---

[1] على الطلبة تحليل القطعة ، العهاد : المطر ، إثمد:الكحل ، الذقع : الغبار ، السخاب : القلادة من الازهار ، الرواق : مقدم البيت (الطارمة) ، انبتك : انقطع ، استغرب في الضحك : بالغ فيه ، رفات : حطام ، بقايا ، المكاء : طائر ، ريها : الامتلاء ، الغلل : جمع غلة ، شدة العطش ، الصوادي : العطش ، الرضاب : الريق المرشوف .

[2] الـذخيرة ٢/٣ : ٢٨٦ ، المغـرب ٢: ٦٦ ، القلائـد : ١٧٥ ، الصـلة : ١١٨٧ ، البغيـة : ٢٨٢ ، المطرب : ١٨٧ ، المعجب : ٢٣٧ ، فهرست ابن خير : ٣٨٦ ، الخريدة : ٤٤٩/٢ ، الاحاطة : ٢: ٣٨٨ .

" قرطبة " وفضلها على المدن الاخرى، والرسالة الثانية لاسماعيل بن محمد الشُقندي (ت٦٢٩هـ) في تفضيل الاندلس على البر الافريقي وذكر العلماء والشعراء الذين ظهروا في الاندلس وذكر اشعارهم ومن ثم وصف فيها تسعاً من المدن الاندلسية [١] ورسالة لابن سعيد الاندلسي في ذكر محاسن الاندلس[٢] وفي المقابل هنالك رسالة اوردها ابن بسام في تسع صفحات لاحمد بن غرسيه (جارثيا) الذي كان كاتباً عند مجاهد العامري ذي الاصل الصقلبي في ذم العرب وثلاثة رسائل في الردود عليها وتندرج في الصراع المرير الذي كان بين المولدين من سكان اسبانيا والعرب الفاتحين[٣] .

٧- المناظرات الادبية (المفاضلات):

ونقصد بالمناظرات الادبية في تفضيل شيء على شيء آخر على شكل رسالة يدور الحوار فيها بين شخص ونفسه او بين شخصين مفترضين او حقيقين أو اكثر، حول موضوع معين شعراً ونثراً مع المباهات والتفاخر، وفيها يحاول الكاتب ان يحشد مجموعة من الادلة التي تثبت ان شيئاً انفع او اجدر او احسن او اجمل من الآخر مع المشاركة الوجدانية[٤] وقد يرمز الى شيء لا يتمكن البوح به مباشرة، أو وسيلة لإظهار المقدرة الفنية.

وهي من الفنون الادبية التي عرفها الادب العربي مبكراً مثل المناظرة التي اجراها الجاحظ (ت٢٥٥هـ) بين صاحب الكلب وصاحب الديك في كتابه " الحيوان " ومناظرات اخرى له مثل المناظرة بين الربيع والخريف وبين الشتاء والصيف وبين الخروف والمعز وبين الشعر والنثر، وللجاحظ كتاب منسوب له بعنوان " المحاسن

---

[١] لقراءة نصوص هذه الرسائل : ينظر : النفح ٤/١٥٤-٢٠٨ وما بعدها ضمن فضائل اهل الاندلس (١٤٦-٤١٣) .

[٢] نفسه والصفحة .

[٣] للمزيد عن تلك الرسالة والردود عليها ينظر : تاريخ الادب الاندلسي ، احسان عباس : ١٧٠-١٧٧ ، عصر الدول والامارات : ٤٧٢-٤٧٩ .

[٤] فن المناظرة في الادب الاندلسي ، د. عمر ابراهيم توفيق ، وقائع المؤثر العلمي الثالث ، الدراسات الانسانية لجامعة صلاح الدين ، مجلة زانكو ، حزيران ، ١٩٩٧ ،

والاضداد " فيه مناظرات عدة يغلب عليها الجانب القصصي في تصوير المعايب والمحاسن من الاخلاق والشمائل، ويرى بعضهم ان هذا الفن لم يعرف في المشرق على الوضع الذي صار اليه في الاندلس [١] ولاسيما في مجال المناظرة بين الزهور، ولابن الرومي (ت٢٨٣هـ) الشاعر العباسي الفضل في اثارة المناظرات بين الزهور المختلفة التي كانت موضع اهتمام بين محبي الادب والطبيعة عندما اعلن تفضيله النرجس على الورد قائلاً [٢]:

وأحسن ما في الوجوه العيون واشبه شيء بها النرجس

وقوله نثراً: " النرجس يشبه الاعين والمضاحك والورد يشبه الخدود والاعين والمضاحك شرف من الخدود وشبيه الاشرف اشرفه من شبيه الادنى.... والورد خجل والنرجس مبتسم وانظر الى ادناها شبهاً بالعيون والنجوم فهو افضل" [٣] ويهاجم الذين يفضلون الورد على النرجس بمثل قوله: [٤]

اين الخدود من العيون نفاسة رياسة لولا القياس الفاسد

والارجح انه اتخذ من الورد والنرجس رمزين يجري المناظرة بينهما، فالورد رمز للسلطة العباسية التي جاءت الى الحكم بالدم والنار والزهور الاخرى رمز عن الاقطاب السياسية الاخرى وتركت تلك القصيدة اثاراً واسعة في الاندلس، وعارضه عدد من الشعراء منهم ابن برد الاصغر وابو عثمان سعيد بن فرج الجياني وابو بكر بن القوطية وسبقهم الرمادي في تفضيل الورد على النرجس [٥] وازدهرت تلك المناظرات في عهد المنصور بن أبي عامر الذي سمى بناته باسماء الزهور وفي عهد ابنه المظفر الذي شجعهم لطرح اشعارهم للغناء بينما قسم منهم توسعوا

---

[١] ملامح التجديد في الشعر الاندلسي خلال القرن الخامس للهجرة : ١٢٨ د. مصطفى احمد السيوفي ، عالم الكتب ، ديوان ابن الرومي : ٦٤٣ : ١٢٣٤ ، تحقيق : حسين نصار ، الاسكندرية بيروت ، ١٩٨٥ .

[٢] نفسه.

[٣] نفسه.

[٤] النفح : ٢ : ١٢٤.

واشاروا بالنرجس والورد على حد سواء او وصفوا باقة الورود بانواعها المختلفة، والف ابو الوليد الحميري (ت ٤٤٠هـ) كتابه " البديع في وصف الربيع " في المفضلة بين الورود المختلفة وفي الفصل الاول فضل البهار على الورود الاخرى وهي اشبه بمناظرة قضائية بين الورود[١] وذهبت ماريا خيسوس[٢] ان ابن برد الاصغر كان يعمل في خدمة مجاهد امير دانية وهو صقلبي من اصول اوربية، وقصده تفضيل مجاهد على ابن جهور ملك قرطبة ذي الاصول العربية، واشتهر ابن برد بهذا الفن وله رسالة في المناظرة بين السيف والقلم ورسالة في تفضيل أهب الشاء على ما يفترش من الوطاء[٣] ولابن حسداى رسالة على لسان النرجس[٤] الذي اعتمد على الحوار بينه وبين احد من خواص المقتدر بن هود صاحب سرقسطة، وذلك ان النرجس كان زاهياً بنفسه شاعراً بحسنه، فمرّ به ظريف من خواص الامير فقطف النرجس وحاوره:

" يا أيها الزهر الفارد، والنوار الشارد، الساحر بحدقه وأجفانه، الباهر بورقه وعقيانه، ما لي ارى قضبك غبراء ذابلة، ومنابتك شعثاء ناحلة... "

ثم قال النرجس.

" فليتَ الرياض تعلم بمكاني فتذبل كمداً، وتذوى حسداً، وتراني وقد أنرتُ في افقك البهيج، وزهرت في روضك الأريج، فازل عني حسدهم بكبتهم، فقد شجاهم تقدمي قبل وقتهم ".

---

[١] نشره هنري بيرس ، الرباط .

[٢] الادب الاندلسي : ٢٣٨ ، ماريا خيسوس روبيرا مرتي ، ترجمة وتقديم اشرف علي دعرور ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٩ .

[٣] عصر الدول والامارات : ٤٦٠-٤٦٤ .

النرجس في الاندلس تسمى بالبهار ، لانها الوردة الاولى التي تورق في الربيع والبهار : وتعني الربيع في اللغات الهندو الاوربية ، (الهندية والفارسية والكردية ، والاوردية ...) .

[٤] الذخيرة ١/٣ : ١٥٧ .

يقول احسان عباس " ان ابن حسداي يرمز بالنرجس الى النديم المخلص او الصديق الوفي الذي لا يريد الحاسدون له خيراً في ظل الامير صاحبه "[1].

المناظرات بين الاشياء المتضادة: على نهج الجاحظ كتب ابن برد الاصغر رسالة في المناظرة بين السيف والقلم، اجرى بينهما حواراً في باب التساب والتهاجي والتبكيت وكان يعيش في ظل مجاهد العامري امير دانية والجزر الشرقية، وكان الجند عماد الدولة، والقوة هي التي كانت تحدد مستقبل الامارة في عهد ملوك الطوائف، وكان هدفه اجراء التسوية بين الجند واصحاب القلم بعد ان يذكر ما تشابه من خصالها ومناقبهما وانهما وسيلتان لارتقاء المراتب ولنهج الشرف، منها: -

" فقال القلم: ها الله اكبر، ايها المسائل بدءاً يعقل لسانك، ويُجير جنابك، وبديهة تملأ سمعك، وتضيق ذرعك، خير الاقوال الحق، واحمد السجايا الصدق، والافضل من فضله الله عز وجل في تنزيله مُقسما به لرسوله، فقال: " نون والقلم وما يسطرون " وقال: " أقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم... "..... "

فقال السيف: " عدنا من ذكر الطبيعة الى ذكر الشريعة، ومن وصف الخصلة الى وصف الملة لا أُسر ولكن أعلن، قيمة كل امرئ ما يحسن، إن عاتقا حمل نجادى لسعيد، وان عضداً باتو سادي لسعيد، وان فتى اتخذني دليله لمهدي، وان امرأ صيرني رسيله لمفدىّ، يشق منه الدجى بمصباح، ويقابل كل باب بمفتاح... " [2].

كما ان هناك مناظرات بين المدن المختلفة والاقاليم، فلابي بحر صفوان التُجيبي (٥٩٨ هـ) رسالة موجهةُ الى أحد أمراء الموحدين تتضمن حواراً ومناظرة بين مدن اندلسية تدعو ذلك الامير للاقامة فيها، تبدأ بمدينة اشبيلية بعد مقدمة طويلة بذكر جمال مرافقها وطيب الاقامة فيها ومن ثم قرطبة فغرناطة فمالطة فمرسية واخيراً بلنسية[3] وهي مشابهة لرسالة ابن احمد الداني التي يتحدث عن قصور

---

[1] الادب الاندلسي ، عصر الطوائف : ٢٩١ .
[2] الذخيرة ١/١ : ٥٤ .
[3] ملامح التجديد في النثر الاندلسي : ١٢٩-١٣٣ .

المعتمد حاكم اشبيلية وتفوقها في الجمال والابهة والترف[1] وقد سبق وان تطرقنا الى رسالة التوابع والزوابع لابي عامر بن شُهيد ومفاضلته بين البرد والنار، ولابي حفص بن الشَهيد (٤٤٠هـ) مقامة يناظر فيها على لسان ديك بين لحم دجاج صغير ولحم ديك هرم [2]

وللقاضي حميد بن عمرو بن محمود البخلي (٥٩٩ هـ) مناظرات بين الشباب والشيخوخة وبين اهل السنة والشيعة وبين الطبيب والمنجم وبين الربيع والخريف وبين الحب والجنون[3] ولابن عبد الغفور الكلاعي (٥٥٠ هـ) مناظرة بين الشعر والنثر مفضلاً النثر مستنداً الى ادلة دينية وانه يعد عيوب الشعر ويخلص الى انه لا ينكر فضائل الشعر لكن سوء استخدامه هو الذي يجعله ينظر اليه هذه النظرة[4].

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٤٢ ، ماريا خيسوس .
[2] الذخيرة ١/١ : ٢٤٥ .
[3] النثر الفني : ٢٤٨ ، زكي مبارك .
[4] الذخيرة ١/٣ : ١٩٥ .

٨- الزرزوريات:

رسائل في التندر والفكاهة ولاظهاء القدرة الفذية، ابتدعه ابو الحسين بن السراج الذي خاطب اهل عصره برسالة يشفع لرجل يعرف بالزريزر، وتصوره زرزور حقيقي له ريش ومنقار وفرخ وعش... من خلال الاستعارات، ومن قوله:

"... شخص من الطيور يعرف بالزريزر، اقام لدنيا أيام التحسير وزمان التبلغ بالشكير، فلما وافى ريشه، ونبت بافراخه عشوشه، ازمع عنا قطوعا وعلى ذلك الافق اللدن تدلياً ووقوعا، رجاء أن يلقي في تلك البساتين معمرا وعلى الغصون حباً وثمراً " [١] وعارضه ابو القاسم بن الجد بثلاث رسائل في العتاب والشفاعة، كما عارضه عبد العزيز بن سعيد البطليوسي وابن ابي الخصال وغيره [٢].

٩. رسائل في وصف الرحلات:

ويقسم الى رحلات داخل الاندلس وخارجهُ، ومن نوع الاول ما كتبه محمد بن مسلم الداني سماها "طي المراحل "[٣] يصور انتقاله بين المدن الاندلسية سفيراً ونزوله عند امراء الطوائف وما كانوا يرفلون من الترف " ويتوضأون بطاس من التبر وابارِيق رصعتْ بالدر " ووقف عند جامع قرطبة، فصور عظمة بنيانه وزخارفه ووصف ما لحق بمدينة قرطبة من الخراب في عصر الفتنة، وكانت الرسالة ادبية تغلب عليها الناحية البيانية لذلك لم تصور حياة الناس وعلاقاتهم

الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومما قاله في وصف قصور بني امية بعد خرابها: - "... ووقفت بالقصر المرواني، وطفت على المصنع القحطاني، وانتبذت الى المتنزه العبد الرحماني، فاذا الثلاث الاثافي واليار البلاقع، فأخذت بالشبه في ديار ثمود، اسكب الدموع وامجد المعبود فقيل ها هنا كانت قصورهم، وهنالك هي قبورهم، قد صارت مفاصلهم تراباً ومساكنهم يباباً... "

---

[١] الذخيرة ١/١ : ١٧٩ .

[٢] للتفاصيل ينظر : الادب الاندلسي ، عصر ملوك الطوائف والمرابطين ، ٢٩٥-٢٩٩ ونصوص الرسالة في الذخيرة .

[٣] الذخيرة ١/٣ : ١٤١ ، المغرب ٢ : ٤٠٥ .

اما الرحلات الخارجية فقد غلب عليها الجانب السردي والوصفي وسموا كتابها " بالبلدانيين " وكتاباتهم مزيج بين الجغرافية والتاريخ والاجتماع واسبابها دينية او تجارية او علمية او دبلوماسية ويتركز الجانب الادبي فيها الى الحنين الى الاوطان او الشعور بالغربة، اضافة الى الناحية البيانية التي تتسم كتابات بعضهم، وبرزت تلك الكتابات منذ القرن السادس للهجرة في الاندلس، ومن اهمهم ابو حامد الغرناطي (٤٧٤-٥٦٤هـ) وله كتابان " تحبة الالبال ونخبة الاعجاب " و " تحفة الكبار في أسفار البحار " [١].

وقد شغف بالسفر وتجول في افريقيا وزار صقلية ومصر والشام والعراق ونواحي بحر قزوين وصعد الى اقصى الشمال الى روسيا اضافة الى بلاد الصقالبة والبلغار على ضفاف نهر الفولكا، وهو يكثر من ذكر الخوارق والعجائب الخرافية ومن وصفه لبلاد روسيا يقول: " الطريق في ارض لايفارقها الثلج ابداً، ويتخذ الناس لارجلهم ألواحاً ينحتونها، طول كل لوح باعٌ وعرضهُ شبرٌ ومقدَّم ذلك اللوح ومؤخرّه مرتفعات عن ارض، وفي وسط موضع يضع الماشي فيه رجله، وفيه ثقب، وشدوا فيه سيورا من جلود قوية يشدونها على أرجلهم ويقرن الرجل بين اللوحين اللذين يكونان في رجليه بشندال[٢] طويل مثل عنان الفرس، يمسكه في يده الشمال، وفي يده اليمنى عصا بطوله، وفي اسفل العصا مثل كرة من الثياب محشوة بصوف كثير مثل رأس الانسان خفيفة، ويعتمد على تلك العصا فوق الثلج، ويدفع العصا خلف ظهره كما يصنع الملاّح في السفينة فيذهب على ذلك الثلج بسرعة، ولولا تلك الحيلة لم يكن احداً

يمشي هنالك البته واي حيوان يمشي عليه يغوص في ذلك الثلج إلا الكلاب والحيوان الخفيف كالثعلب والارنب فانها تمشي عليها بخفة وسرعة " [٣] ويعود

---

[١] تاريخ الادب الجغرافي العربي :٢٩٥ كراتشكوفسكي ترجمة :صلاح الدين عثمان ، طبع لجنة التأليف ، ١٩٦٥ ، عصر الدول والامارات : ٥٢٨ .

[٢] شندال : حبل .

[٣] عصر الدول الامارات : ٥٢٨-٥٢٩ .

معظم الرحالين الاخرين الى عصري الموحدين وبني الاحمر وأشهرهم محمد بن احمد بن جبير البلنسي (٥٣٩-٦١٤ هـ) الذي زار الاسكندرية بحراً ومن ثم القاهرة وجدة ومكة والمدينة وبعدها توجه الى الكوفة وبغداد والموصل والشام وكانت الحملة الصليبية على اشدها وركب البحر من عكا على سفينة مسيحية الى الاندلس عبر صقلية ووصل الاندلس سنة ٥٨١هـ وهو في كل البلدان يمكث بعض الوقت ويدون مشاهداته فيها من مساجد ومدارس وغرائب واثار على شكل مذكرات يومية موثقة باليوم والتاريخ وقد نشر بعنوان "رحلة ابن جبير " ومكتوبة بأسلوب مرسل فيها السهولة والسلاسة والعذوبة ويراعي الجانب البياني على عكس القطعة السابقة، كما يتبين من قوله في وصف الرحلة بحراً بعد خروجه من سردينيا "وفي ليلة الاربعاء من اولها عصف علينا ريح هالَ لها البحرُ، وجاء معها مطر ترسله الرياح بقوة، كأنه شآبيب سهام، فعظم الخطب واشتد الكرب وجاءنا الموج من كل مكان أمثال الجبال السايرة فبقينا على تلك الحالة الليل كله، واليأس قد بلغ منا مبلغه وارتجينا مع الصباح فرجة تخفف عنا بعض ما نزل بنا، فجاء النهار بما هو أشد هولا واعظم كربا، وزاد البحر اهتياجا، وأزيدت الافاق سوادا، واستشرت الريح عصوفاً حتى لم يثبت معها شراع، فلجيء الى استعمال الشروع الصغار، فاخذت الريح احدها ومزقته وكسرت الخشبة التي تربط الشرع فيها... فحينئذ تمكن اليأس من النفوس وارتفعت ايدي المسلمين بالدعاء الى الله عز وجل، وأقمنا على تلك الحالة النهار كله، فلما جنّ الليل، فترت الحال بعض فتور، وسرنا في هذه الحالة كلها بريح السوارى سيراً سريعاً.. فما اسفر الصبح نشر الله رحمته واقشعت السحاب وطاب الهواء واضاءت الشمس، واخذ في السكون البحر، فاستبشر الناس وعاد الأنس وذهب اليأس، والحمد لله الذي أرانا عظيم قدرته، وتلافى بجميل رحمته ولطيف رأفته، حمداً يكون كفاء لمنته ونعمته... " [1] ولا يكمن الجانب الادبي في اسلوبه فقط وانما فيما التقى بهم من

[1] ادب الرحلات : ٢٣٢ ، د. حسين محمد فهيم ، سلسلة عالم المعرفة ، ١٣٨ ، الكويت ، ١٩٨٩ .

العلماء والادباء وما شعر به من الحنين الى وطنه وما عانه من الغربة، ويحكى أنه كان في دمشق، قطع احد الاغصان الصغيرة من شجرة كبيرة وانشد قائلاً [1]:

لا تغتـــــرب عـــــن وطـــــن واحـــــذر تصـــــاريف النـــــوى

امـــــا تـــــرى الغصـــــن إذا مـــــا فـــــارق الاصـــــل ذوى

ومن الرحالة الآخرين: القاضي ابو البقاء البلوى ورحلته التي بدأها سنة ٧٣٠للهجرة بعنوان: تاج المفرق في تحلية علماء افريقيا والمشرق "[2] وابن الحاج النميري (٧٧٤هـ) وكان شاعراً مجيداً في الشعر الغنائي والتعليمي، ورحلته باسم " فيض العباب وإحالة قداح الاداب في الحركة الى قسطنطينية والزاب "[3] ولابن الخطيب (٧٧٦هـ) رحلات عدة منها رحلته الخارجية مع اميره الحجاج الاول الذي تفقد بعض ثغوره الشرقية وسماها " خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف " ورحلته الثانية التي تشبه مقامة الذي زار اربعاً وثلاثين مدينة من مدن امارة غرناطة وبعض مدن شمال افريقيا والمقامة مسجوعة وتصور ما في هذه المدن من العمران والنشاط الثقافي والاجتماعي مع ذكر محاسن كل مدينة ومساوئها وعنوانها " معيار الاختيار في ذكر الاحوال والديار "[4] ورحلة ثالثة الى شمال افريقيا بعنوان " نفاضة الجراب في غُلالة الاغتراب "[5] وكانت اربعة اجزاء سقط منها ثلاثة وبقي الجزء الثاني، وفيها يزور اغمات ويقف أمام قبر المعتمد بن عباد ويحييه بقصيدة ثم يزور بعض مدن الساحل ويذكر ما في تلك المدن من المساجد والمكتبات والمدارس.. واخيراً الرحالة علي بن محمد القرشي البسطي المعروف بالقلصادي (٨١٥-٨٩١ هـ) الذي له رحلة الى الحجاز وسماها " تمهيد الطالب ومنتهى الراغب الى اعلى المنازل

---

[1] نفسه : ١٠١ .
[2] الاحاطة ١ : ٥٠٠ ، الكتيبة الكامنة : ١٣٤ ، لسان الدين ابن الخطيب .
[3] تحقيق : د. محمد بن شقرون ، الرباط ، د. ت .
[4] تحقيق : محمد كمال شبانه ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .
[5] تحقيق ونشر : د. مختار العبادي ، القاهرة .

والمناقب " [1] وهو غير الشاعر البسطي محمد بن عبد الكريم الذي نشره د. محمد ابن شريفة بعنوان "البسطي " آخر شعراء الاندلس[2].

١٠- المقامات:

ابتكره في المشرق العربي بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨-٣٩٨هـ) وهي اقاصيص قصيرة تصور الادباء المتسولين المعروفين في زمانهم بالساسانيين المحترفين للكدية او الشحاذة الادبية وراويه عيسى ابن هشام رجل وهمي وبطله ابو الفتح الاسكندراني واخباره كلها تدور على الكدية والخداع والاحتيال والتمويه في الحصول على الرزق والتخلص من مأزق الحياة بطرق ملتوية وهدف الكاتب اظهار مقدرته اللغوية والادبية باساليب البيان والبديع واستعمال الالفاظ الغريبة والقصص الطريفة والجمع بين الشعر والنثر، وقد سبق ان اشرنا الى تأثر ابي عامر ابن شهيد في رسالة التوابع والزوابع بالمقامة الابليسة للهمذاني في موضوعه وفي وصفه للحلواء ووصفه الرائع للماء والثعلب والبرغوث.... وقد سار كتاب المقامات في الاندلس على نهجين:

الأول: مقامات تجمع بين الرسائل والمقامة لا تقوم على الكدية والشحاذة الادبية وانما تصف موضوعاً او موضوعات، وتسير على اسلوب المقامة في السجع والالفاظ الغريبة ووصف مشاهد وغالباً تخلو من العقدة، وقد تكون موضوعاتها قصصية او نقدية ادبية او هجائية او مدحية او غزلية وتشمل هذا النوع معظم مقامات عصر ملوك الطوائف، ومقامات اخرى في العصور اللاحقة مثل مقامات ابن الخطيب التي تدور حول وصف الرحلات ووصف البلدان وفي معاملة الرعية ومقامات النباهي في المناظرة بين الكرمة والنخلة، واورد ابن بسام في ذخيرته ثلاث مقامات، مقامة لابي حفص عمر بن الشهيد وهو من شعراء المعتصم بن صمادح امير المرية في عهد امراء الطوائف ومقامته اشبه بوصف رحلة في عدة فصول

---

[1] تحقيق ونشر : محمد ابو الاجفان ، تونس .
[2] دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٨٥ .

اورد ابن بسام فصولا منها، يتحدث في بدايتها عن صنعة الكتابة وما وصلت اليها في تلك الحقبة مقدمة للدخول في وصف رحلة له الى منزل بدوى ذي هيئة ومنزل رث ويحاول صاحبه ان يمسك ديكا هرما اغرى البدوى صبيانه بالجري للقبض عليه، ويهرب ويقف على اعلى مسجد ويصفق بجناحيه اثنين ويصرخ صرختين وقد حان وقت الظهيرة فوقف خطيباً قائلاً:

" ايها السادة الملوك فيكم مُتع بالشباب، والاشيبُ نوَّر شيبه مع الكواعب والاتراب، وقد صحبتكم مدة، وسبَّحتُ الله تعالى على رؤوسكم مراراً عدة أوقظكم بالاسحار، وأُؤذن بالليل والنهار، وقد احسنت لدجاجكم سفاداً، وربيُت لكم من الفواريج أعداداً، فالآن حين بلي في خدمتكم تاجي، أنعي الى دجاجي وتُندحي الشَّفرةٌ على اوداجي، وحين ادركني الشيخ يُمزّق لحمي ويُطبخ ؟ ياللكرام، من ذل هذا المقام، وجعلت دموعه تسفحٌ من دمه والخزف يُطبق على فمه، ثم غُشي عليه، فأصبحت البداوةٌ من كل ناحية اليه، يضربون وجهه بالماء، ويُخلصون له في الدعاء ثم افاق من غشيته وانشد:

عَـــــلامَ يُقـــــتلَ شـــــيخٌ مِـــن كـــل ذنـــبٍ بـــريٌّ

مُحـــــــقٌّ مُتَجـــــــرٌ مُوَحـــــــدٌ ســـــــنيٌّ

هـــل نـــصَّ هـــذا كتـــابٌ أو قـــال هـــذا نبـــيّ

لا ذنـــب لـــي غيـــر أنـــي مُـــوَّذنُ بَـــدوي

فرقت له انفس القوم واقبلوا على صاحب المنزل باللوم، " وفهمهم الموضوع وان له ضيفين ومن باب الكرم ان يقدم لهما طعاماً وتمثل شعراً

ومـن شـيمتي مهمـا تـزيّن منزلـي بضـيفٍ أن أقريـه باحسـن مـا عنـدي

لـو أن دمـي خمـرٌ لـرويتهُ بـه ولـو صـلحت كبـدي شـويت لـه كبـدي

بـذلك اوصـاني أبـي مـذ عقلتـهُ وقـد كـان اوصـاهُ بـذا قبلـه جـدى

فقال الديك: لا أكذبُ، الحقُ طريقٌ مستبين، واتباعه مروءةٌ ودين، اما أنه لعلى خُلق عظيم، كريم ابن كريم، غير أنه لؤم في أمري وأفرط، وغلط ما شاء ان يغلط، أما علم أن هرمات الديوك، ليست من مطاعم الملوك، وانها بالادوية أشبه منها بالاغذية ؟؟ وأُقسمُ لو اتخذ بُرمةٌ من فؤاد مهجور، ووضعني من مثله على تنور، لاقضى بي حاجة ولا عدم مني نيوءاً وفجاجة، وإن له في بني ما يجده فيَّ، من طيب المشمِّ ولذة المطعمِ... " [1] ويستمر في المقارنة بين لحم الديك الهرم ولحم الفروج، وبعدها في فصل آخر يصف نزوله مع صحبه في قرية مسيحية فنزلوا فيها وشربوا من الدنان ما سكرهم ثم شدوا الجياد، فمروا بكنيسة مهدمة يصفها ويبكي على اطلالها ثم يصادفهم شاب فارس كان نصرانيا واسلم، والمقامة برحلة متعددة المشاهد.

كما أورد مقامة لابي الوليد محمد عبد العزيز المعلم[2] احد وزراء المعتضد أمير اشبيلية وهي أشبه برسالة مدحية، والمقامة الثالثة لابي محمد بن مالك القرطبي[3]، وهي رسالة مدحية في أمير المرية المعتصم بن صمادح يصف جيشه وحروبه [4] علماً بان للمقامات تأثيرا كبيرا في الأدب الاسباني، اذ نشأ على غرارها فن قصصي في وصف حياة المتسولين سميت بالأقاصيص البيكارسية معتمداً على الحيل والألاعيب في كسب رزقهم، كما تتبين لاحقاً في اثر الحضارة الإسلامية في الأدب الغربي.

الثاني: مقامات سارت على نهج الحريري (٤٤٦-٥١٦هـ) الذي وضع خمسين مقامة مقتفياً اثار الهمذاني، وقد عني بها العلماء في المشرق والاندلس بشرحها وترجمت الى الفرنسية والانكليزية والالمانية والتركية والفارسية وغيرها

---

[1] الذخيرة ٤٢٣/١ ، تحقيق : سالم البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨ .
[2] نفسه ١١٢/٢ ، الجذوة : ٦٥ ، البغية : ٩٤ ، المغرب ١: ١١٢ .
[3] الذخيرة ١: ٧٣٩ ،القلائد : ١٧٠ .
[4] لمعرفة المزيد من المقامات في عصر ملوك الطوائف ينظر : تاريخ الادب الاندلسي ، عصر الطوائف والمرابطين : ٣٠٣-٣٢٦ .

وراويه الحارث بن همام وهو رجل رحالة ابي النفس بعيد عن مسالك اللصوصية وبطله ابو زيد السروجي وهو من اهل الكدية الذين احترفوا التسول وكانت وسيلته فصاحة لسانه وسحر بيانه[1].

وانتشرت مقاماته في الاندلس وعارضه كتاب نهجوا على منواله وابرزهم ابو القاسم السرقسطي (٥٣٨ هـ) الذي الف سلسة من المقامات بلغ عددها خمسين مقامة سميت بالمقامات اللزومية، واتخذ بطلا لها من ابطال الشحاذة الادبية هو الشيخ ابو حبيب وراويه هو السائب بن تمام محاذية لمنهج الحريري، وقد بنيت مقاماته على السجع وتعدى في بعضها في لزوم ما يلزم الى اكثر من حرفين، وتدور مقاماته حول بلدان كثيرة عدا المقامة الثلاثين التى خصها بالحديث عن ادبه الشعراء من العصر الجاهلي الى العباسي بينما تناول في المقامة الخمسين حواراً حول الـــنظم والشعر والمفاضلة بينهما[2] وجعلها معرضاً للبراعة الاسلوبية وموضوعاته تدور في مدح الشي وذمه وفي مقامة اخرى يصف الدينار وثالثة يصف حال العاشق واربعة في وصف سرب من الحسان وخامسة في مناجاة الطلول وسادسة في تصوير القاضي الجائر وسابعة في وصف الفرس... ووصف للمغامرات التي تغلب عليها الخرافة مثل مغامرات السندباد والبحتري، وقد تناول العيوب الاجتماعية، ففي المقامة التاسعة والاربعين يصور بطله منتحلاً مهنة الطب والعرافة ويداوي فتى ويـقول مخاطباً الجن " يا مارد سهمك صارد، يا مريد مذا تريد، ما اطغاك ما اعصاك، ما أبعدك عن الخير واقصاك، اخرج ياواغل، فانك شاغل، ابعد ياخاتل فانك قاتل " ثم ينادي على الناس " ايها الناس عندي في هذا الشأن سراير، وخبايا من الحكمة وضراير، اخذتها عن العلماء ولقنتها من الحكماء، اين من شكا من هذه الاعراض ؟ اين من رمي من هذه الاعراض ؟ اين من لحقته آفة ؟ اين من برحت به علاقة او شأفة ؟.... أين من

---

[1] تاريخ الادب العربي : ٧٤٠ ، حنا فاخوري ، بيروت ، لبنان .

[2] للمزيد عنه ومقاماته ينظر : عصر الدول والطوائف : ٥٢٢ ، تاريخ الاندلس ، عصر الطوائف والمرابطين : ٣١٧-٣٢٤ .

خامرته الاشواق والوساوس ؟ ولعبت به الاجراس والوساوس، اين من سحره ساحر ؟ او دحره داحر ؟ اين من لقعته عين او رهقته دين ؟ عليّ الضمان وانا الزعيم وله النعيم... "

١٠- الكتب الادبية:

امتاز القرن الخامس للهجرة بتقدم فكري وحضاري في مختلف العلوم، وان الكتب التي الفت في تلك الحقبة كثيرة ويرجع ذلك الى جهود علماء الاندلس وحكامها في العصور السابقة اضافة الى التنافس السياسي بين عواصم امراء الطوائف، والفت في العلوم الدينية من الحديث والسنة النبوية والفقه واصوله والعلوم اللسانية والعلوم التطبيقية من الطب والحساب والهندسة والجبر والزراعة[١] وفي مجال الادب اشار ابن سعيد في مقام المنافرة بين الاندلس والمغرب[٢] الى كتاب " سراج الادب لابي عبد الله بن ابي الخصال " وزهرة الاداب للحصري وجهود السيد البطليوس في كتابيه " الاقتضاب وشرح سقط الزند " وشـــروح الاعلم الشنتمري لشعر المتنبي، ونشير الى كتاب الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام (٥٤٢ هـ) وكتابي الفتح بن خاقان (٥٢٩هـ) قلائد العقبان ومطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس، وكتاب الصلة لابن بشكوال (٥٧٨ هـ) والحلة السيراء لابن الابار البلنسي وجذوة المقتبس لابي عبد الله الحميدي (٤٨٨هـ) والبديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري (٤٤٠هـ) وكتاب " مذكرات الامير عبد الله: لعبد الله بن بلقين آخر حكام بني زيري في غرناطة[٣] وهو كتاب في تاريخ تلك الدولة (٤١٠-٤٨٤ هـ) من خلال مذكرات اميرها، وكتاب احكام صنعة الكلام لابي القاسم بن عبد الغفور الكلاعي [٤] يتحدث عن الترجيح بين المنظوم والمنثور، وفصل في الكتابة وآدابها، اذ يتناول رتبة الخط وتسوية البطاقة والعنوان والاستفتاح والصلاة على النبي وصدر الرسائل

---

[١] للمزيد ينظر : صورة المجتمع الاندلسي : ٢٤٠-٢٥٦ .
[٢] النفح ٣ : ١٨٤
[٣] مذكرات الامير عبد الله بن بلقين ، تحقيق برفسنال ، دار المعارف ، القاهرة .
[٤] تحقيق : محمد رضوان الداية ، ط ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .

والدعاء و هذا يشبه كيفية كتابة البحث، و في الباب الثاني تناول انماط الترسيل، العاطل والحالي والمصنوع والمرصع وغيرها ثم يفرد فصولا عن الخطبة والمقامات مختتماً كتابه على قوانين الكتابة وآدابها، وكتاب " بهجة المجالس " لابي عمر بن عبد البر التي تبلغ فصوله مائة وثلاثة وعشرين فصلاً تدور حول الاساليب الحسنة والخطابة والمحادثات والبلاغة والحياة والحظ والثروة والجود والربا والرحلات والزيارات والضيوف والسلطان و هو شبيه بكتاب العقد الفريد[1] وكتاب " ريحان الالباب " لابن المواعيني و هو يتناول العلوم والادب والتاريخ و في الادب يتناول التشبيهات والتعبيرات الغامضة والاقوال والعبارات الساخرة والبلاغة والفصاحة واللطافة في الاسلوب و فن الشعر وقواعد النثر[2] و سبق وان تطرقنا الى كتاب " طوق الحمامة " لابن حزم.

[1] الادب الاندلسي : ٢٢٢ ، ماريا خيسوس .
[2] مخطوطة في اكاديمية التاريخ الملكية في مدريد ، نفسه : ٢٣٣ .

الفصل الثالث

الأدب في عصري الموحدين وبني الأحمر

٥٤١ -٦٣٥، ٦٣٥ -٨٩٧هـ

الفصل الثالث

الأدب في عصر الموحدين

٥٤١ -٦٣٥هـ

توطئة تاريخية.

بدأت دعوة الموحدين بالمغرب سنة ٥١٤للهجرة عندما اعلن زعيمهم محمد بن عبد الله بن تومرت من قبيلة هرغة البربرية ثورة على المرابطين، وكانت حركته دينية تدعو الى التوحيد وعلم الاعتقاد وتقوم على اساس الامانة الدينية ونظرية المهدي المنتظر وبعدها تحولت ثورته الى سياسية تعتمد طريق القوة من اجل التغيير، وبعد وفاته اثر هزيمة امام المرابطين سنة ٥٢٤ للهجرة تولى عبد المؤمن بن علي أمر الموحدين الذي خرج سنة ٥٢٨ الى المرابطين واستولى على كثير من الاراضي التابعة لهم والتقى بامير المرابطين علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٢٩ هـ وهزمه وقتله واستولى على معظم الاراضي الخاضعة لهم ومن ثم انقض على آخر أمرائهم اسحاق بن علي بن يوسف سنة ٥٤١ وقتله وانهى دولتهم في المغرب، اما في الاندلس فكان الصراع شديداً بين المرابطين الذين كانوا في اضعف حالة وبين سكان البلاد من العرب والمولدين اضافة الى استقواء الممالك النصرانية في الشمال واستيلائهم على كثير من أراضي الاندلس ومدنهم، مما أدى بالاندلسيين الى الاستنجاد بالموحدين للدفاع عنهم، فسير عبد المؤمن بن علي قواته سنة ٥٤٦ هـ الى الاندلس وسيطر على معظم المدن والاقاليم التي كانت خاضعة للمرابطين واصبحت الاندلس ولاية تابعة لدولة الموحدين في المغرب، وانشغل بالحرب الداخلية في شمال افريقيا ومحاربة الاسبان في الاندلس وتوفي عبد المؤمن في سنة ٥٥٨ هـ وخلفه ابنه ابو يعقوب يوسف وكان حسن السياسة والتدبير في الاندلس وتوفي سنة ٥٨٠ للهجرة بعد ان جرح في معركة منتصرة ضد البرتغاليين وتولى ابنه يعقوب وتلقب

بالمنصور الى سنة ٥٩٥ للهجرة وانتصر على الاسبان في معركة " الارك " المشهورة سنة ٥٨٥ للهجرة ومن ثم في معركة اخرى سنة ٥٩١ وتولى بعده ابنه محمد (٥٩٥-٦١٠) ولقب بالناصر لدين الله وفي عهده اخذت دولة الموحدين بالاضمحلال والافول ووقعت معركة " العقاب " سنة ٦٠٩ للهجرة وكانت نذير شؤم بزوال حكم المسلمين في الجزيرة وانتشار الفوضى والثورة وظهور دويلات الطوائف وسقطت بعدها المدن الاندلسية، قرطبة سنة ٦٣٣ هـ بعد حصار دام لعدة اشهر وبلنسية سنة ٦٣٦هـ وجيان ٦٤٦ وطرطوشة ولاردة وشاطبة سنة ٦٤٥هـ واشبيلية سنة ٦٤٦ للهجرة بايدي القشتاليين بمعونة بني الاحمر الذين ابقوهم على غرناطة وما حولها ليشكلوا دولة بني الأحمر في بقعة صغيرة من الاندلس[١].

الحالة الثقافية:

على الرغم من كثرة نزاعات الموحدين مع خصومهم في شمال افريقيا ومع النصارى في الاندلس، فقد اهتم ملوك الموحدين بالعلم وكانت مجالسهم عامرة بالعلماء ولاسيما الفقهاء، فازدهرت العلوم الاسلامية، مثل علم القراءات والتفسير والحديث والفقه واصوله الى جانب الطب والرياضيات والفلسفة والتاريخ وبرز كتاب التراجم مثل ابن بشكوال (٥٧٨) صاحب كتاب الصلة وابن دحية (٦٣٣ هـ) وكتابه " المطرب في اشعار اهل المغرب " وابن الابار (٦٥٨) وكتابه " الحلة السيراء " وابن سعيد (٦٨٥) وكتابيه " المغرب في حلى المغرب " و " الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة " وعبد الواحد المراكشي (٦٤٧) وكتابه " المعجب " وابن عبد الملك المراكشي (ت٧٠٣) " صاحب الذيل والتكملة " وابن عذارى (٧١٣هـ) وكتابه " البيان المغرب " وغيرهم، وفي الفلسفة ظهر ثلاثة كبار ابن طفيل وابن زهر وابن رشد.

---

[١] للمزيد عن تاريخ دولة الموحدين ينظر : الكامل ، ابن الاثير ، ج : ٩: ٥٠-٧٠ ، ٣٣٢ ، تاريخ الاسلام السياسي ٤ : ٢٢٢ ، حسن ابراهيم حسن ، روض القرطاس ٢ : ١٩٣ ، ابن ابي زرع ، النفح ٤ : ٤٧٢ ـ عصر المرابطين والموحدين ٢ : ٤١٧ ، محمد عبد الله عنان ، تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٧٩ ، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين : ٢٤٧-٥٢٨ ، د. علي محمد الصلابي .

الأغراض الشعرية:

استمرت الاغراض القديمة في الشعر، وصنفها د. محمد مجيد السعيد الى المديح والوصف والغزل " التقليدي والغلمان " والخمر والشكوى والهجاء والشعر الديني والتصوف والرثاء[1] ولم تختلف موضوعاتها عن العهود السابقة عدا ثلاثة اتجاهات برزت في ذلك العصر وهي: -

١- غزل الشواعر.

٢- رثاء المدن الساقطة بيد الافرنج.

٣- شعر التصوف.

١- غزل الشواعر: -

تميز عهد الموحدين بكثرة الشواعر الغواتي عبرنّ عن خلجاتهن وخفقات افئدتهن متشوقات او متتطلعات الى حبيب لهن، ووصف جمالهن ومفاتهن والتعبير احياناً عن تجربة غرام حقيقية عاشتها واكتوت بنارها، وبرزت في تلك الفترة اسماء النساء عرفن بالشعر لكن اخبارهن واثارهن ظلت قليلة واصبحن من المقلات في الشعر لان الذوق العام لم يتعود على سماع غزل النساء ولم تستسيغ تحولهن من معشوقات الى عاشقات على الرغم مما كانت تتصف بها المرأة الاندلسية من الحرية، اضافة الى ان المرأة ولاسيما المغنيات كن يرددن قصائد غزلية للشعراء، وقد تختلط قصائدهن احياناً بقصائد الغزل بالغلمان ويمكن التفريق بينها بسهولة لان الغزل بالغلمان يقتصر في الغالب على العذار والخدود ومذبت الشوارب بينما غزل النساء معظمه نسيب في بيان عاطفة الحب وخفقان القلب والميل الى معشوقهن والبوح بغرامهن، والغيرة والاغراء باظهار صفات اجسامهن والشكوى من عدم الزواج وقد تتجاوز الى البوح بقص لقاءاتهن او زيارتهن وما يترتب عليها من الحديث والقبلات

---

[1] الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، محمد مجيد السعيد ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ١٩٨٥ .

و هذا غير معهود في الادب العر بي، و من ا برز شواعر القرن السادس الشاعرة نزهون بنت الكلاعي وكانت " شاعرة ماجنة كثيرة النوادر "[١] قليلة الحياء وقعت في ا هاجي مع شعراء معروفين مثل الاعمى التطيلي وابن قزمان... ويتجلى فيها الاقزاع والفحش وخروج عن المألوف، وقصائدها العاطفية كانت اقل مجونية ولكنها لم تخل من صراحة كقولها: [٢]

لله درُّ اللَّيـــالي مـــا أُحَيسِنَهـــا ومـــا أحيسِـــنَ منهـــا ليلـــةَ الاحَـــدِ

لـو كنـــتَ حاضـرنا فيهـــا وقد غفلَـتْ عيـــنُ الـــرقيب فلَـم تنظُـر الـى أحَـدِ

ابصـرتَ شـمسَ الضُّـحى فـي سـاعِدي بَـلْ ريـمَ خـــازِمةٍ فـي سـاعدَى أسَـدِ

وفي الموضوع نفسه الشاعرة أم الهنا بنت القاضي عبد الحق بن عطية لها أبيات غزلية رقيقة فيها زينة لفظية بديعية بعيدة عن الفحش قائلة[٣]:

جـــاء الكتـــابُ مِـــنَ الحبيـــب بأنّـــه ســـيزورني فاســـتعْبرتْ اجفـــاني

غلـــبَ السُـــرورُ عـــليَّ حتـــى أنّـــهُ مـــنْ عظـــم فَـــرْطِ مَسّـــرتي أبكـــاني

يـــاعينُ صـــار الـــدمعُ عنـــدكِ عـــادةً تبكيـــن فـــي فـــرح وفـــي أحـــزانِ

فأستقبـــــلي بالبِشـــــر يـــــوم لقائـــــهِ وَدَعـــي الـــدموعَ للَيْلـــةِ الهِجـــرانِ

كما ظهرت قسمونة بنت اسماعيل، و هي شاعرة يهودية عاشت في القرن السابع للهجرة، وكانت لها القابلية على البداهة والارتجال، واشتهرت بأبيات شعرية فيها شكوى من عدم الزواج وذات يوم نظرت في المرآة و هي في شرخ شبابها ولم تتزوج فأنشدت[٤].

---

[١] المغرب ٢ : ١٢١ .

[٢] النفح ٤ : ٢٩٨ ، الإحاطة ١: ٤٣٢ ، الأدب الأندلسي : ١٥٦ ، د. مصطفى الشكعة ، والشعر في عهد المرابطين والموحدين : ١٧٤ .

[٣] النفح ٤ : ٢٩٢ .

[٤] النفح ٥ : ٧٤ .

ارى روضـــةً قـد حـــان منهـــا قِطافُهـــا ولســـتُ أرى جـــانٍ يمـــدُّ لهـــا يـــدا

فـــوا أســـفا يمضـــي الشـــبابُ مُضيّـــعا ويبقـــى الـــذي مـــا إنْ أُسَـــميّه مفـــردا

وقوله عند يقع بصرها على ظبية مفردة كانت تقتنيها فتقول مخاطبة اياها: [1]

يـــا ظبيـــةً تـــــرعى بـــروضٍ دائمـــاً إنّـــي حكيتُـــك فـــي التَّـــوَحُش والحَـــوَر

امســـى كـــــلانا مُفـــرداً عـــن صـــاحبٍ فالـــنصبر أبـــداً علـــى حكـــم القَـــدَر

واشتهرت الشاعرة حفصة بنت الحاج (حفصة الركونية ت ٥٨١) وكانت تمثل شاعرات غرناطة في القرن السادس للهجرة، كانت جميلة ذات حسب ومال[2] وقد وقعت في غرام الوزير الشاعر أبي جعفر بن سعيد، افرزت تلك العلاقة نظماً يمثل نموذجاً لشعر النساء العاطفي، وقصتها مشابهة لقصة ابن زيدون مع ولادة بنت المستكفي في عصر ملوك الطوائف، وتختلف عنها ان حفصة بقيت مخلصة لحبيبها حتى بعد مقتله بسببها من قبل الحاكم الموحدي ابو عـــثمان بن عبد المؤمن الذي كان ينافس الشاعر في تملك قلبها، وكانت حفصة " رخيمة الشعر رقيقة النظم والنثر " [3] وقد سجلت غرامها وعلاقاتها بصدق وواقعية، وما بينهما من خلوات وزيارات، واصبحت عاشقة لا معشوقة، وعن زيارتها ووصف جمالها لإغراء حبيبها تقول: [4]

زائـــر قـــد أتـــى بجيـــــد غـــزال مطلـــع تحـــت جنـــحه للهـــلال

بلحـــاظ مـــن سحـــــر بابـــل صـــيغت ورضـــاب يفـــوق بنـــت الـــدوالي

يفضـــح الـــورد مـــا حـــوى منـــه خـــد وكـــذا الثغـــــر فاضـــح للآلـــي

وهذا وصف عكسي وغزل معكوس في وصف المرأة جمال جسدها بعكس ما اعتدنا عليه من وصف الرجل لمفاتن المرأة، وقد يدخل في باب الاثارة او عرض

---

[1] نفسه والصفحة .
[2] النفح ٥ : ٣٠٣ .
[3] المطرب : ١٠ .
[4] المغرب ٢ : ١٣٩ ، الاحاطة ١: ٥٠١ .

الجمال الذي من غريزة النساء وكانت تتميز بلطف وخفة روح وصفاء بديهة ولشهرتها كان الناس يستوقفونها ويطلبون منها تسطير شيء من شِعرها على اوراق يحملونها على سبيل التذكار كما في أيامنا هذه مع الفنانين والفنانات [1] وعن غيرتها، وهو لون جديد في غزل المرأة تمثل مرحلة التملك والأنانية تقول: [2]

أغارَ عليكَ مِنْ عينيَ رقيبي ومنكَ ومنْ زمانك والمكانِ

ولو أنّي وضعتُك في عُيوني الى يوم القيامةِ ما كفاني

وكانت تعتقد ان الطبيعة من الرياض والورود تحسدها وتغير عليها[3]

لَعمرُك ما سُرَّ الرياضُ بوَصلنا ولكنه أبدى لنا الغُلَّ والحسدَ

ولا صفقَ النهرُ ارتياحاً بقربنا ولا غرَّد القُمري إلا لِما وجدَ

إن غزلها فاق غزل الرجال بالنساء اضافة الى اشكال الاثارة والاغراء، وانها لم تكن تتحرج من بوح تفاصيل لقاءاتها.

وانصِفُها – الا اكذبُ الله – إنني رشفتُ بها ريقاً ارقَّ من الخمرِ.

وكانت مخلصة له، ولم يستطع الحاكم بعد التخلص من عشيقها الدخول الى قلبها، وقد سجلت اجمل القصائد الرثاء، وقد لحقت به بعد مدة قصيرة [4].

هددوني من اجل لبس الحداد لحبيب أردوه لي بالحداد

رحمَ الله من يجود بدمع او ينوح على قتيل الاعاد

وسقته بمثل جود يديه حيث اضحى من البلاد الغواد

---

[1] الادب الاندلسي : ٢٢١ ، مصطفى الشكعة .
[2] النفح ٥ : ٣٠٨ .
[3] نفسه والصفحة
[4] الاحاطة : ١: ٢٢٧ .

وبهذا تتفوق شاعرات الاندلس على زميلاتهن في الشرق في الافصاح عن مشاعرهن، عفة او مجوناً على الرغم من الهالة الدينية التي كانت الدولة الموحدية تتصف بها.

٢- رثاء المدن الساقطة بيد الافرنج:

ان الظروف السياسية السيئة التي ألمت بالاندلس منذ سقوط الخلافة الاموية وانفراط عقد الرقعة الاندلسية ومن ثم تحولها الى ولاية تابعة لحكام شمال افريقيا في عصري المرابطين والموحدين ادت بالاندلسيين الى حالة من التوجس والتوقع والترقب والخوف المستمر على كيانهم وعلى وجودهم من عدو لايستكين الا بطمس هويتهم وشخصيتهم الدينية في تلك الجزيرة فكانت قصائدهم مميزة في رثاء مدنهم التي كانت تسقط تباعاً كثوب ينسل من اطرافه شيئاً فشيئاً.

أ – قصائد الاستصراخ:

و هي القصائد التي قبلت في اثناء حصار المدن واستقواء النصارى وتتسم بالشدة وتهويل الامر وتجسيم الواقعة واثارة العواطف مصوراً الحالة اليائسة التي المت بهم، وما يتهددهم من الويل والهلاك وطلب الغوث والنجدة بالفاظ جزلة رنانة و قوافي مطلقة ذات جرس مو سيقي فخم موجهة الى احد الامراء والحكام لاثارة حميتهم في الدفاع عنهم مقرونة بمعاني المدح المقترن بالواجب الديني ولنا في ذلك قصائد ورسائل كثيرة في عهد المرابطين عندما سقطت بلنسية لاول مرة وسرقسطة سنة ٥١٢هـ ومدن كتندة وتطيلة وطرسونة وغيرها، وبعد انحسار نفوذ المرابطين منذ ٥٣٩للهجرة سيطرت بعض الشخصيات على مناطق نفوذهم منهم ابن حمشك ووزيره الشاعر ابو جعفر الوقَشي اللذان سيطرا على جيان ومن ثم دخولها في طاعة الموحدين سنة ٥٦٢ للهجرة، وذ هب الوقشي بنفسه الى ملك الموحدين يو سف بن

المؤمن في مراكش ليعلن دخوله في طاعته طالباً العون منه في قصيدة استصراخية جهادية مطلعها: [1]

ألا ليتَ شِعري هل يُمَـدُّ ليّ المدى فأبصـرَ شـملَ المشركـين طريـدا
وهل –بَعدُ – يُقضى بالنصارى بنصرةٍ تغادرهـم للمرهفـات حصـيدا
ويفـتك مِـنْ أيـدي الطُّغـاةِ نواعمـاً تبدَّلْـنَ مِـنْ نظـمِ الحُجـولِ قيـودا
واقبْـلنَ فـي خُشْـنِ المسـوح وطالمـا سَحبْـنَ مِـن الوَشْـيِ الرقيـق بُـرودا
وغبَّـر منـهنَ الـترابُ تَرائبـاً وخـدَّدَ مـنهن الـهجيرُ خـدودا
فـحقَّ لـدمعي أنْ يفـيض لازرقٍ تملّكهـا دُعْـجَ المـدامع سـودا
ويـا لهـفَ نفسـي مـنْ معاصـم طفلـةٍ تجـاورُ بالقـدَّ الأليـم نُهـودا

وانـه يستثير حميـة الخليفـة الموحـدي بمـا حـدث مـن هـوان لنسـاء المسلمين وفتياتهم من تحول زينتهن وخلاخيل ارجلهم الى قيود وذل بعد ان البسوهن ملابس صوف خشنة وصرنَ خادمات يلطخ التراب موضع القلائد النفيسة في صدورهن، وشاحت وجوهن من العمل الشاق في الحر، وسالت دموعهن.... واشتهر الشاعر ابو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن الابار[2] (ت٦٥٨ هـ) صاحب كتاب الحلة السيراء والتكملة بقصائد استغاثية لنصرة بلنسية التي حوصرت من قبل صاحب برشلونة و سقطت سنة ٦٣٦للهجرة وله سينية في سبعة وستين بيتاً ومطلعها: [3].

---

[1] النفح ٤/٤٧٧-٤٧٨ (القصيدة كاملة) .

المدى : العمر ، المرهفات : السيوف ، حصيدا : للدلالة على قطع رؤوسهم كالزرع المحصود ، غبر لطخ بالغبار ، الترائب : موضع القلائدة من اعلى الصدر ، خدد : انحل .

[2] ترجمته : اختصار القدح المعلى : ١٩١ ابن سعيد ، المغرب ٢ : ٣٠٩ ، ابن خلدون ٦ : ٢٨٣ ، فوات الوفيات ٢: ٤٥٠ ابن شاكر ، النفح ٤ : ٤٥٧ ، عصر الدول والطوائف : ٣٨٥ .

[3] النفح ٤ : ٤٥٧-٤٦٠ ، العبر ٦ : ٢٨٣ ، ازهار الرياض ٢ : ٢٠٧ الروض المعطار : ١٠٠ ، الهجير : الحر .

ادركْ بخيلك خيل الله اندلساً ان السبيل الى منجاتها درسا

يا للجزيرة اضحى أهْلها جزراً للحادثات وأمسى جَدُّها تَعِسا

وفي بلنسيةٍ منها وقرطبةٍ ما يَنسفُ النَّفْس أو ما ينزفُ النَّفسا

يا للمساجد عادَتْ للعدا بيعَا وللنِّداء غدا اثناءها جرَسا

طَهِّرْ بلادك منهم إنهم نَجسٌ ولا طهارةَ ما لم نغسِل النَّجسَا

وهي قصيدة مشهورة عارضها كثير من الشعراء موجهة الى صاحب تونس، ويذكر ان اهلها اصبحوا جزراً لسيوف النصارى وان ما حدث لقرطبة تتكرر لما يروع النفوس ويخفق الانفاس، اذ اصبحث المساجد كنائس وغدا الآذان للصلاة اجراساً للنواقيس وان النجاسة ينبغي ان تطهر، ويقال ان ابا زكريا ارسل اسطوله ولكنه لم يتمكن من اغاثتهم لشدة الحصار على بلنسية، كما له نونية يخاطب فيها صديقه ابا المطرف بن عمير، يتذكر ايام الشباب، المتشبث بالاوطان وفيها الندب والبكاء والإسف والحسرة مطلعها: [1].

وطن على الدائبين الدمع والشجن يا نادب الذاهبين: الاصل والوطن

هذا فؤادي كالبرق الخفوق أسى وهذه ادمعي كالعارضِ الهتنِ

براحتي رايةُ الاشجان أحملها وان غدا الجسم وهناً ليس يحملني

وهي في ثلاثة وعشرين بيتاً، امتزج البكاء بالذكريات كما له قصائد اخرى، دالية[2] وعينية فضلاً عن ست مقطعات[3] ولصديقه ابي المطرف بن عميرة (ت٦٥٨هـ) واخرين رسائل وقصائد مماثلة[4].

---

[1] ديوانه ابن الابار : ق١٤٩ .

[2] نفسه : ق٧٧-١٧٠ .

[3] نفسه : ق٥٧ ، ٨٩ ، ١٣٥ ، ١٧١، ١٨٣ ، ١٨٦ .

[4] الروض المعطار : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، النفح ٤ : ٤٩٣ ، للمزيد ينظر : رثاء المدن والممالك في الشعر الاندلسي ، د. مهجة امين الباشا ، دار شراع ، دمشق ، ٢٠٠٣ .

ب – قصائد الندب والنواح:

بعد واقعة العقاب سنة ٦٠٩ للهجرة، بدأت المدن الاندلسية تتساقط واحدة تلو الاخرى، واخذ الشعراء يرثون مدنهم بقصائد كلها ندب وبكاء وتفجع وزفرات وعويل لما وصلت اليه حالتهم من النكبات والويلات والمصائب، وعدت قصائدهم من ابز معالم الشخصية الاندلسية، لنضج التجربة الفنية والمعاناة التي استمرت عندهم وشهودهم على تلك النكبات على مرأى ومسمعهم وذهاب تلك المدن الى غير رجعة، وتميز الاندلسيون بكثرة نتاجاتهم في هذا الموضوع لاسيما في الحقبة الانتقالية التي سقطت فيها المدن الاندلسية في نهاية حكم الموحدين، ولنا في ذلك قصيدة للشاعر ابن الجَنّان الانصاري (٦٤٨ هـ) في رثاء مدينة " مرسية " التي سقطت سنة ٤٦١ للهجرة وهي فائية قالها في رثاء أبيه ومزجها برثاء مسقط رأسه ومرتع شبابه قائلاً [١].

ويا لمرسية الغراء من بلدٍ اضحى منيراً وامسى نورُهُ خُسِفا
ويا لجامعها الاعلى لقد وَضَعتْ منه مجاورة التثليث ما شرفا
إذ كنتُ أشهد اطراف النهار به مع المصلي وليلاً اشهد الزُلفا
جاورتُ منه جماناً كان مجتمعا لبهجة الدين والدنيا ومؤتلفا
فاذا رايتُ اموراً كلها تلف فررتُ لله كما آمن التلفا

فهو يدعو الى الرحيل والفرار.

ولابن سهل الاشبيلي (ت٦٤٩هـ) قصيدتان[٢] في رثاء اشبيلية التي سقطت سنة ٦٤٥للهجرة، ومما قاله:

يا سائلي عن مصاب المسلمين بها اصخ لتسمع امراً يورث الصمما

---

[١] ديوان ابن الجنان : ٢٧ ، جمع د. منجد مصطفى بهجت ، جامعة الموصل .
[٢] ديوان ابن سهل : ١٤١: ١٤٢ ، تحق : د. فاروق الطباع .

لمـــا تفرقـــت الاهـــواء واضـــطرمتْ نـــارُ البغـــاة فقامـــتْ للـــردى علمـــا

يـــا حســـرة الـــدين والـــدنيا لانـــدلس مهمـــا اســـتطال بهـــا التثليـــث واجترمـــا

وتعد قصيدة ابي البقاء الرُّندى (٦٨٤هـ) من اكثر قصائد الرثاء شهرة اذ بكى فيها ضياع المدن الاندلسية الكبرى، والقصيدة ذات ملامح متميزة بما تحمله من تأكيد و صور وذكر الا مم القديمة الفاذية، و قد ترجمت الى الالمانية والا سبانية، وأعتقد بعضهم ان لهذه القصيدة اثرا في ظهور الاغنيات الاسبانية ذات الفواصل بما فيها من توافق واشتراك في الرؤية الفكرية امام الموت والوجود[1]، والقصيدة مشابهة لرائية ابن عبدون في رثاء دولة بني الافطس، و اخذت الاجيال التالية تزيد عليا ابياتاً تندب بها البلاد التي سقطت فيما بعد، والقصيدة في رثاء الاندلس وانشدها

في جامع القيروان في تونس اثر تنازل ابن الاحمر – سلطان غرناطة عن عدد كبير من القواعد والحصون لملك قشتالة سنة ٦٦٥ هـ.

قائلاً:

لكـــل شـــيء اذا مـــا تـــم نقـــصان فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

هـــي الامـــور كمـــا شـــاهدتها دول مـــن ســـره زمـــن ســـاءته أزمـــان

وهـــذه الـــدار لا تبـــقي علـــى احـــد ولا يـــدوم علـــى حـــال لهـــا شـــان

يمـــزق الـــدهر حتمـــا كـــل ســـابغة اذا نبـــت مشـــرفيات وخرصـــان

وينتضـــى كـــل ســـيف للفنـــاء ولـــو كـــان ابـــن ذي يـــزن والغمـــد غـــمدانُ

ايـــن الملـــوك ذوو التيجـــان مـــن يمـــن وايـــن مـــنهم أكاليـــل وتيجـــان

وايـــن مـــا شـــاده شـــداد فـــي ارم وايـــن مـــا ساسَـــه فـــي الفـــرس ساســـان

وقوله:

---

[1] الادب الاندلسي : ١٤٥ ، ماريا خيسوس .

وايــن قرطبــة دار العــلوم، فكــم مــن عــالم قــد ســما فيهــا لــه شــان
وايــن حمــص ومــا تحويــه مــن نــزه ونهرهــا العــذب فيــاض ومــلان
قواعــد كــن اركــان الــبلاد فمــا عســى البقــاء اذا لــم تبــق اركــان

وفي اهلها يقول:

بــالامس كــانوا ملوكــا فــي منــازلهم واليــوم هــم فــي بــلاد الكفــر عبــدان
فلــو تــراهم حيــارى لا دلــيل لهــم علــيهم مــن ثــياب الــذل ألــوان
ولــو رأيــتَ بــكاهم عنــد بــيعهم لهالــك الامــر واســتهوتك احــزان
يــا رب أمٍ وطــفلٍ حيــل بينهمــا كمــا تــفرق ارواح وابــدان
وطفلــةُ حســن الشــمس اذ طلعــت كأنــما هــي يــاقوت ومرجــان
يقودهــا العلــج للمكــروه مكرهــة والعــين باكيــة والقلــب حيــران
لمثــل هــذا يــذوب القلــب مــن كمــد إن كــان فــي القلــب إسلام وايمــانُ[1]

والقصيدة مغلفة بنبرة حزن كئيب ونغمة اتعاظ واعتبار وبكاء المدن الاندلسية الرئيسة وافول نجم الاندلس وخلوها من الاسلام والتعزي بالماضي في ذكر امثال من الدول والملوك العظام، ويذكر ما حصل لاهل الاندلس من ضياع وتشريد وبيع والمسلمون من وراء البحر شهود، وتتميز بقوة السبك وجودة البناء الفني وصدق الاحساس وحسن اختيار القافية التي اضفت على الجو العام للقصيدة مسحة حزينة فيها مرارة وحسرة، كما ان هنالك قصيدة اخرى تقاسمت الشهرة مع هذه القصيدة وهي قصيدة حازم القرطاجني (ت٦٨٤ هـ) التي شرحها ابو القاسم محمد بن احمد القاضي المشهور بالشريف الغرناطي وسمي شرحه " رقع الحجب المشهورة في

[1] ابو البقاء الرندي : ١٣٤-١٤٠ ، د. رضوان الداية ، بيروت ، النفح ٤ : ٤٨٧ ، ازهار الرياض ١ : ٤٧ .

محاسن المقصورة " [1] والقرطاجني صاحب الكتاب المشهور "منهاج البلغاء و سراج الادباء "، الذي رحل الى تونس، ومن هناك راودته الذكريات لوطنه الاصلي الذي فقده الى الابد، فكتب قصيدته المشهورة باسم " المقصورة " على وزن الرجز وتحوي وصفاً دقيقاً لاقليم مرسية[2]

وقسمت إحدى الباحثات هذا الموضوع الى اتجاهات: -

أ – **الاتجاهات الايجابية:** استنهاض الهمم والدعوة الى المقاومة والحض على الجهاد والوعظ والنصح والنقد والسياسي والاستغاثة، ومدح المستغاث به واثارة النزعة الدينية والانسانية والعصبية العربية.

ب- **الاتجاهات السلبية:** التشاؤم والاستسلام وظاهرة الشكوى والبكاء والاستسلام للقضاء والقدر اضافة الى الحكمة والوعظ وصروف الدهر والعبرة من مصير الامم السابقة [3].

التصوف:

إنه شوق الروح الى الله، إنه الحب الالهي المطلق المجرد من المنافع والغايات المادية[4] ويقول سهل بن عبد الله التستري " التصوف قلة الطعام والسكون الى الله والفرار من الناس "[5] وهو المجاهدة بالنفس وترك كل حظ لها لان النفس في نظر الصوفية مصدر الشر ومجاهدة النفس تعني محاربتها ومخالفتها والعزوف عن مباهج الحياة والتعود على الخشونة وكبح جماع الشهوات وذلك باصلاح قوة الشهوة التي تؤدي الى العفة واصلاح قوة الحمية التي تحصل الشجاعة فيحترز من

---

[1] كتاب " رفع الحجب المنورة في محاسن المقصورة ، الشريف الغرناطي ، مط السعادة ، مصر ، ١٣٤٤ هـ في جزئين .

[2] ازهار الرياض ٣ : ١٧٢ ، القدح المعلي : ٢٠-٢١ ، بغية الوعاة : ١ : ٤٩١ ، النفح ٣ : ٣٤١ ، مقدمة كتاب : منهاج البلغاء وسراج الادباء ، تحقيق : ابن الخوجة ، دار الكتب ، تونس.

[3] رثاء المدن والممالك في الشعر الاندلس : ١٨١-٢٧٠ . د.مهجة الباشا

[4] الرمزية في الادب العربي : ٢٢٧ ، د. درويش الجندي ، نهضة مصر ، ١٩٥٨ .

[5] التصوف الثورة الروحية في الاسلام : ٢٨ أبو العلا عفيفي ، دار الشعب ، بيروت .

الجبن والتهور والحسد... واصلاح قوة الفكر التي تؤدي الى الحكمة[1] والتصوف متعلق بالروح والقلب والحب الالهي الى حد العشق ويختلف عن التزهد الذي يتعلق بامور دنيوية في القناعة بالقليل في سبيل الله، وربما يكون الزهد اولى مراحل التصوف.

واختلف الباحثون في اصل كلمة " التصوف " ومنهم من رأى انه من الصفو والصفاء، لصفاء علاقتهم بالله تعالى وصفاء قلوبهم، وقيل من الصفة واهلها زهاد المهاجرين والانصار في المسجد النبوي، وقيل من الكلمة اليونانية "صوفيا " اله الحكمة وقيل من الصوف الذي كانوا يلبسونه... [2].

وللصوفية جذور مشتركة بين الاديان المختلفة لاسيما المسيحية وما فيها من الرهبة والافلاطونية الحديثة، وعرف الاندلس التصوف على يد ابن مسرة (ت٣١٩هـ) وكان يجمع في عقيدته بين التصوف وبين اراء المعتزلة واصبح مدرسة لها تلاميذها، ومن بينهم ابو عمر بن يحيى بن عيسى الالبيري (ت٤٢٩هـ) [3] الذي له رسالة الى بعض اخوانه وفيها نزعة صوفية قوله: [4].

شربتُ بكأس الحبِ من جوهَرِ الحبِ رحيقاً بكف العقلِ في روضةِ الحبِ

وخامرَ ماء الروحِ فاهتزتْ القُوى قوى النفسِ شوقاً وارتياحاً الى الرَّبِّ

ونادى حثيثا بالأنين حنينُها إلهي إلهي مَنْ لعبدك بالقربِ

وخاطبه وحيا اليه مليكه: سأكشف – يا عبدي – لَعينك – عن حجبي

فأعلن بالتسبيح: مثلك لم أجد تعاليتَ عن كفءٍ يكافيك أو صَحبِ

---

[1] نفسه : ٤٢ .
[2] الادب الاندلسي : ١٤٠ ، منجد .
[3] تاريخ علماء الاندلس : رقم ١٢٠٢ ، ابن الفرضي ، المغرب ٢: ٩٥ ، الصلة : ٨٩ .
[4] الذخيرة ٢/١ : ٤٧ .

ويقول انه شرب بكأس الحب في روضة الحب الالهي رحيقاً مصفى بجوهر الحب الذي امتزج بروحه، فحنت روحه الى مشاهدة ربه، وتجلى الله رافعاً ما بينه وبين عبده مِن حجب، فسبح بحمده منزها له ان يكون له كفء او صحب، وهذه المقطعة تحوي بين طياتها كثيرا من المصطلحات الصوفية مثل الشرب او السكر الالهي والحب الالهي الممتزج بالروح، وزوال الحجب بين العبد وربه.ويليه بعده ابن العريف (ت٥٣٦ هـ) [١] الذي ولد في المرية مركز التصوف في الاندلس، صاحب كتاب " محاسن المجالس "[٢] وطريقته تقوم على الزهد في كل ما عدا الله ومحبته والفناء فيه، ومن شعره [٣] في الحب الالهي:

سَلُوا عن الشوقِ مَنْ أَهْوي فإنَّهُمُ أَدنى الى النَّفسِ مِنْ وهمي ومنْ نَفسي

مازلتُ – مذ سكنوا قلبي – أصون لهم لحظي وسمعي ونُطقي إذ هُم أُنِسي

والقصائد الصوفيه ذات ملامح وصفات تتميز عن غيرها من الفنون الشعرية منها:

١- استعمال الفاظ ومعان صوفية واصطلاحات خاصة بكلام المتصوفة تجعلها في كثير من الاحيان غامضة مبهمة لا يمكن الكشف عن مدلولاتها لذلك اتهموا بالشطح.
٢- استعمال الرمز والابتعاد عن الظاهرية، واعطاء مدلولات جديدة للالفاظ فيما يمكن تسميته بالانزياح الدلالي.
٣- قصائدهم فيها الشوق والوجد والغزل في ظاهرها والقصد عبادة وهيام بالذات الالهية.

---

[١] ترجمته وشعره : الصلة : ٨٤ ، البغية : ١٥٤ ، المطرب : ٩٠ ، المغرب ٢ : ٢١١ ، النفح ٣ : ٢٢٩ ، ٤ : ٣٣١ ، دراسات اندلسية في الادب والتاريخ والادب ، د. الطاهر مكي ، دار المعارف ، عصر الدول والامارات : ٣٦١ .
[٢] محاسن المجالس : تحقيق : اسين بلاثيوس ، مدريد ، ١٩٣١ .
[٣] عصر الدول والامارات : ٣٦٢ .

٤- الحديث عن الخمر والمدامة والكأس والساقي رامزة الى نشوة الايمان وخمر الفناء برب العالمين.

٥- الكناية عن الله تعالى بالانثى او الحيوان.

ويعد محيي الدين بن عربي (٦٣٨هـ) شيخ المتصوفة وقطبها وواضع منهجها في الاندلس الذي اعتمد في مذهبه على وحدة الوجود في الاعتقاد ان الله والعالم شيء واحد يختلفان في الصورة فقط ولا يختلفان في الحقيقة متأثراً بالأفلاطونية الحديثة وبالمذاهب المسيحية، في ان الله يتجلى في كل شيء، وان الحقيقة الوجدانية واحدة في جوهرها وذاتها لا تتغير وان تغيرت صورتها يقول ابن عربي في ذلك[١].

فالكل حق والكل خلق وكل ما تشهدون حق[٢]

يحوي على الأمر من قريب وما له في اللسان نطق

فكل شيء تراه حق وكله في الوجود صدق

ويعتقد بنظرية الحب التي تصل عنده الى حد التقديس في حب كل شيء، وان يجعل الاسلام دينا دعامته الحب، وان المتصوفة يقولون إن سر خلق العالم يكمن في حرفين (ح، ب) وان المحبة مرادفة للدين من دون تمييز بين الاديان والانبياء والجنس يقول ابن عربي:- [٣]

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان وديرا لرهبان

وبيتا لاوثان وكعبة طائف والواح توراة ومصحف قرآن

---

[١] الفتوحات المكية : ملحق ، ج١ : ٨٩٩ ، محي الدين بن عربي ، والطباعة ، مصر .

[٢] الحق : هو الله متجلياً في صور الاشياء مشهوداً في اعين الخلق ، والعالم للحق كالجسم للروح ، العقل الصوفي : ٧٤ ، د .علي شلق ، دار المدى ، بيروت ، ١٩٨٥ ، الخلق : عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال ، كتاب التعريفات : ٤٥ . الجرجاني ، مط الجزية ، مصر .

[٣] ذخائر الاعلاق ، شرح ترجمان الاشواق ، تحقيق : محمد عبد الرحمن الكردي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

اديــن بــدين الحــب أنــى توجهــت ركائبــه، الــدين دينــي وايمــاني

وفي العشق الالهي له قصائد في ظاهرها غزلية بصف فيها جمال محبوبته ودارها وإطلالها وحرقة فؤاده وفتور أجفانه كأنـه شاعر من شعراء الغزل العذري قائلاً: [1]

مَرضــي مِــنْ مريضــة الاجفــان عــلّلاني بــذكرها علّلانــي

بــابي طفلــةٌ لعــوبٌ تــهادى مــن بنــات الخــدور بــين الغــواني

طلعــتْ فــي العِيــان شمســا فلّمــا أفَلَــتْ أشــرقَتْ بــأفقِ جنــاني

بــأبي ثــم بــيّ غــزال ربيــب يَرتعــي بيــن أضــلعي فــي أمــان

وهو محب موجع القلب ساهرة الاجفان، لا يرجى له شفاء لما وقع في قلبه حب فتاة كأنها طفلة لعوب ظهرت بين الغواني الجميلات، وانها شمس ملأت الدنيا واستقر حبها في قلبه، وانها غزال مصون يرعى بين اضلعه في قلبه.

و من الشعراء الآخرين ابو الحسن علي بن محمد الرعيني (ت٦٦٦ هـ) له قصيدتان يصور مشاعره وهيامه وفناءَه بالفاظ تحمل معاني الحب والغرام والخمر، قائلا: [2]

هيــامي بــين الجــوانح ثــائر وداء غرامــي للفــؤاد مخــامرِ

وقـد جـد بـيَّ وجـد وبـرح بـيّ جـوى وغصــتْ بأســراب الــدموع المحــاجر

ســكرت ومــا دارت علــيّ مدامــة ولا فتــنت عقلــي عيــون فــواتر

والششترى (ت ٦٦٨ هـ) [1] و ابن سبعين (ت ٦٦٩ هـ) [1]، وابن عباد الرُّندي (ت٧٩١) [1] وابن الجياب (ت٧٤٩هـ) الذي اشتهر بقصائد الخمرية الصوفية[1].

---

[1] عصر الدول والإمارات : ٣٦٥ .

[2] الرسالة القشيرية : ٤٠ ، القشيري ، ط بولاق ، ١٢٨٤هـ .

هـات اسـقني صـــرفاً بغيـر مـزاج راحـــى التـي هـي راحتـي وعلاجـي
إن صـــبّ فـــي الـــزجاجة قطـــرة شفـــت الزجـاج عـن السـنا الوهـاج
وإذا الخليـــع أصـــاب منهـــا جرعـــة ناجـــاه بالـــحق المبـــين منـــاجي

ومـن موضـوعاتهم الاخـرى: تـوارد الخـواطر، والاتحـاد والحلـول، ووحـدة الشهود، والفناء والبقاء.

---

[1] في ترجمته وأشعاره ينظر : النفح ٢ : ١٨٥ ، ٢٠٥ ، الإحاطة ٤ : ٢٠٥ ، الرسائل الكبرى لابن عباد الرندي : ٩٧ ، وديوانه بتحقيق د. علي النشار ، الاسكندرية وعصر الدول والامارات : ٣٦٧ .

[2] ترجمـة ابـن سـبعين : الـنفح ٢ : ١٩٦ ، شـذرات الـذهب ٥ : ٣٢٩ ، فـوات الوفيـات ١ : ٥١٦ ، البداية والنهاية ١٣ : ٢٦١ ، لسان الميزان ٣ : ٣٩٢ ، وكتاب : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، د. أبي الوفا التفتازاني ، عصر الدول والامارات : ٣٥٩ .

[3] للمزيد ينظر : تاريخ الفكر الاندلسي : ٣٧١-٣٩٠ ، انخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

[4] الادب الاندلسي : ١٣٤ ، ماريا خيسوس .

أهم شعراء عصر الموحدين

١- ابن سهل الاشبيلي:

هو ابراهيم بن ابي العيش بن سهل، ولد في اشبيلية في جو مفعم بالتقلبات والظروف السياسية المضطربة، وعلى ارجح الروايات في ٦٠٩ للهجرة وهي السنة التي اقترنت بوقعة العقاب، حصل على ثقافته العربية والاسلامية في المساجد وحلقات العلم، وتعلم اللغة والنحو والادب وكان يتميز بقوة الذاكرة وحفظ كثير من الأبيات وسرعة الارتجال " فكان اسرع الناس ارتجالاً وأوسعهم في ما يريد قريحته على السرعة في الارتجال "[١] وكانت له صلات اجتماعية بابرز ادباء عصره امثال ابن سعيد المغربي، صاحب كتاب "المغرب في حلى المغرب "وكانت له صداقة قوية معه، وعندما افترقا، ظلت المراسلات قائمة بينهما[٢].

خفقَ النهرُ بحمصٍ بعدما بنتَ والطيرُ بَدَتْ منها شجون

والليالي بعدما كنّا بها في نهارٍ ألبسَتْ داجي الدجون

وكانت لبيئته الجميلة ومناظرها الفاتنة ومنتزهاتها الكثيرة والوجوه الفتانة في اشبيلية اثر في صقل ذوقه الجمالي والغريب انه اخذ يلتفت الى جمال الغلمان اكثر من جمال المرأة.

لقب بألقاب كثيرة منها إسرائيلي لان اباه كان يهودياً واسلم، واختلف الكتاب في صدق اسلامية الشاعر ولاسيما في فترة شبابه في اشبيلية عندما اكثر من الغزل بغلام اسمه موسى مازجاً حديثه بين موسى الغلام وموسى النبي (عليه السلام) واذا كان اسمه في الظاهر او الباطن ولكن صديقه ابا البقاء الرندي، اعلن حسن اسلامه ولقبه بالاسلامي، وقبيل سقوط اشبيلية سنة ٦٤٥ ترك المدينة واتجه الى منورقة من الجزر الشرقية في البحر المتوسط وكان حاكمها ابو عثمان سعيد بن حكم الذي حكم

---

[١] ديوانه : المقدمة .

[٢] ديوانه : ٤٧ ، دفاتر اندلسية : ٤٣٢ .

الجزيرة لمدة خمسين سنة (٦٣١-٦٨٠هـ) وكانت منورقة موطناً قصده الادباء، وفي ديوانه قصائد كثيرة في مدحه، وبعد ذلك رحل الى سبتة في شمال افريقيا وعمل عند حاكمها ابي علي بن خلاص واصبح له شأن كبير عنده، وارسله في سفارة دبلوماسية الى حاكم تونس ومات غرقاً في اليم سنة ٦٤٩ للهجرة[١].

ديوانــه: عرف ديوانه منذ عهد مبكر، فقد طبع طبعتان حجريتان وطبعة حديثة بتحقيق احسان عباس سنة ١٩٦٧ واخرى بتحقيق محمد قوبعة بعد ان استدرك عليه ٤٦ قصيدة ومقطعة في (٤٥٣) بيتاً واصبح مجموع ابياته (٣٤٠٧) بيتاً ومن ثم حققه د. عمر فاروق الطباع سنة ١٩٩٨ ولم يحو اشعاره كله.

أغراضه الشعرية: اكثرالشاعر النظم في موضوعين وقد الفا نسبة ٧٧% من ديوانه وهما الغزل والمديح، فقد احتل الغزل نسبة ٥٧% و ٢٠% المديح وقصائد ومقطعات في الرثاء والهجاء ووصف الطبيعة والمراسلات الاخوانية ويمكن تقسيم حياته الى حياة لاهية عندما كان في اشبيلية ومعظم قصائده الغزلية لاسيما في غلام سماه موسى قيلت في هذه المرحلة والشكوك حول صحة اسلامه تأتي من هذه القصائد التي قالها في مرحلة المراهقة والشباب، بينما قصائده المدحية تمثل حياته الجادة عندما وصل الى درجة الوزارة في بلاط ابن خلاص في سبته وتظهر حميته وإخلاصة للدين في موشحاته النبوية وقصائد المدحية التي تبلغ خمساً وثلاثين قصيدة منها قصيدته التي

قالها في مدح ابن خلاص ويحثه على مساعدة اشبيلية[٢].

اهـدى التلاقـي صـبحَ وجهـك مسـفراً فحمـدتُ عنـد الصـبح عاقبـة السُّـرى

الله اكــبر قــد رأيــت بــك الــذي يلقــــاه كــل مكــبر ان كبــرا

يــا أهــل سبتــة اشكــروا اثــاره ان المواهــب قَيــدُها ان تُشــكرا

---

[١] مقدمة ديوانه ابن سهل الاشبيلي ، تحقيق د. عمر فاروق الطباع ، دار الارقم بن ابي الارقم ، بيروت ، ١٩٩٨ .

[٢] ديوانه / ق : ٤ .

هــو فـــوقكم للأمـــن ظـــل ســـابغٌ لـــــو أن ظـــلاً قـــد اضـــاء ونـــورا
يـــا رحمـــــةً بـــالغرب شـــاملةً بـــدتْ فيـــه اعـــــم مـــن النهـــار واشـــهرا
حمـــص التـــي تـــدعوك، جهـــز دعـــوة لغيـــــاثها إنْ لـــم تجهـــز عســـكرا[1]

اما قصائده الغزلية فمعظمها شاذة في غلام اسمه " موسى " واسماء اخرى قيل انها رموز للشخص نفسه، والغريب ان غزله عذري بدوي، اودع الحب في نقائه الطبيعي وشحنه بالدموع والذلة والعبودية فيما يشبه بالرومانتيكية الحديثة في العاطفة المفرطة واليأس والتلذذ بالألم، وقد احس القدماء في ذلك وقالوا ان سببه يرجع الى " أنـه اجتمـع عنـده ذلاّن:ذل العشـق وذل اليهوديـة "[2] وكـان يسـتعين بـروح البادية واسلوبها في تصوير الوجد على خلاف الطبيعة الاندلسية وتمدنها: [3]

فمـــا وَجُـــــدَ أعرابيـــةٍ بـــان دارُهـــا فـــحنَّتْ الـــى بـــانِ الحجـــازِ ورَنـــدهِ
اذا أنســـتْ ركبـــــاً تكفّـــلَ شَـــوقُها بنـــــــارِ قِـــراهُ والـــدموعِ بـــوردِهِ
وانْ اقـــدَ المصـــــباحُ ظنَّتْـــهُ بارقـــاً يُحـــــــيي فهشّـــــت للســـــلامِ وَرَدّهِ
بـــاعظم مِـــنْ وجـــدي بموســـى وانمـــا يـــــرى أننـــي أذنبـــتُ ذنبـــاً بـــودِّه

وانه الحمَ صورة موسى الغلام مع قصة الذبي موسى وتناوله في كلامه على أنـه محبوبـه موسـى لابـراز المعنـى وربمـا مـن خـلال هـذا الاسـلوب اراد التبشـير باليهودية شعراً وذكر بمعجزات موسى أبي الشريعة، فطار شعره على كل لسان لذلك كان الناس يشكون في اسلامه ومن ذلك قوله في مراضع موسى: [4].

مراضـــعُ موســـى او وصـــال ســـمّية نظيـــــرانِ فـــي التحـــريم يشـــتبهانِ

---

[1] حمص : اشبيلية .
[2] النفح ٢ : ٣٥١ .
[3] ديوانه : ق : ٢٩ ، النفح ٢: ٣٥١ .
[4] ديوانه : ق : ١١٨ .

ومن ذلك حديثه عن هاروت وهارون وشعيب والعصا وشق البحر... كما انه اتكأ على قصص قرآنية وأورد نصوصاً منها حتى ان بعضهم قال " وكان باشبيلية ابراهيم بن سهل اليهودي الشاعر، يضمن شعره آيات القرآن محرّفة عما انزلت فيه، فلم يُذكر أنّ احداً غيرّ عليه في ذلك، وكان من دواعي خراب اشبيلية، هذا كله وما شابه حرام إطلاقه[١] ومن ذلك

تبــتْ يــدا عــاذلي فيــه ووجنتُــه حمّالــةُ الــورد لا حمّالــة الحطــبِ

أو قوله:

حســنه يتلــو " الضــحى " مبتســما وهــو مــن اعراضــه فــي " عَـبسَ "[٢]

وله قصائد فيه اقتباس مباشر من القرآن الكريم والذي لا يجوز مطلقاً خاصة في الموضوعات اللاهية لاسيما الغزل الشاد مثل قوله مقتبساً من سورة " مريم "[٣].

لســتُ انــس الاحبــابَ مــا دمــتُ حيّــا ولعــــمري نــــأوا مكانــــاً قصــــيا

وتلــــو آيــــة الــــوداع فخــــروا خيفــــة البيــــن ســــجداً وبكيــــا

وأنــاجي الآلــه مــن فــرط حبــي كمــــــناجاة عبــــــده زكــــــريا

وهــن العظــم بالبعــاد فــهب لــي رب بالقــــرب مِــنْ لــدنك وليــا

واســتجب ســيدي دعــائي فــإني لــم اكــن بــدعائك ربــي شــقيا

وقد ركز في غزله على العيون والالحاظ وتأثيرها على العاشق وعلى تشابك الحواس في التداخل بين السمع والبصر، وعلى الطبيعة وتشبيهاتها[٤].

---

[١] الادب الاندلسي : ٢٠٥ ، منجد .

[٢] ديوانه : ١٠ ، ديوانه : م : ١ .

[٣] اشعار لابن سهل رقم (٤٥) حوليات الجامعة التونسية العدد ١٩ ، ص١٤١ ، ولم نجدها في الديوان .

[٤] للتفاصيل ينظر: دفاتر اندلسية : ٤٣٨-٤٤٧ .

وفي أواخر عمره كتب قصائد تدل على هدايته وحبه لشريعة الاسلام على نحو ما نجده في عينيته التي مطلعها: [١].

تنـــازعي الآمـــال كهـــلا ويافـــــعاً ويسعـــــدني التعليـل لـو كـان نافعـاً

ومـا اعتنـق العليـا سـوى مُفـردٍ سـرى لهـول الفـلا والشـوق، والسَّـوق رابعـا

وفيها يصف رحلة الحجيج الى بيت الله الحرام والمسجد النبوي، وقد حظيت القصيدة بعناية المتأخرين وقد خمس من قبل الشعراء واعجب بها القدماء وقال ابو حيان "هي من ابدع ما نظم في معناها "[٢].

كما له مخمسة مطلعها: [٣].

جعل المهيمن حب أحمد شيمة

وأتى به في المرسلين كريمة

فغذا هواه على القلوب تميمة

وغـــدا هـــداه لهـــديهم تتميمـــا صـــــلوا عليـــــه وســـــلموا تســـــليما

واشتهر ابن سهل بالموشحات واكثر الـنظم منها وقد ذاعت موشحته التي مطلعها: [٤]

هـل درى ظبـيُ الحِمـى أن قـد حَمـى قَلـــبَ صـــــبٍّ حلّـــه عـــن مَكـــنسِ

فهـــو فـــي حـــرٍ وخفـــــقٍ مثلمـــا لـــــــعبتْ ريـــح الصَّـــبا بـــالقبس

يـــا بـــدوراً أطلَعـــتْ يـــومَ النّـــوى غُـــررَا تســـلك بـــيّ نهـــج الغـــرر

مـــا لنفســـي وحـــــدها ذَنـــبٌ ســـوى مـــنكم الحُســـنُ ومـــن عينـــي النظـــر

---

[١] الديوان " ق : ٦٩ .
[٢] النفح ٣ : ٥٢٦ .
[٣] النفح ٧ : ٤٤٥-٤٤٨ لم تجدها في الديوان .
[٤] ديوانه ، موشحة رقم (١) .

اجتنـــي اللـــذّات مكـــلومَ الجـــوى والتـــــذاذي مـــن حبيبـــي بـــالفكرِ

* * * *

ولشهرتها شرحت وعورضت من قبل الشعراء، منها موشحة لسان الدين ابن الخطيب.

جـــادك الغيـــث اذا الغيـــث همـــى يـــا زمـــــان الوصـــل بالانـــدلس

لـــم يكـــن وصـــلُك إلا حُلُمـــا فـــي الكـــرى أو خلســـة المختـــلس

وموشحاته وضعت اصلاً للغناء، وهو متفنن في اظهار تنويع النغمات المتباعدة وخرجات باللهجة العامية والجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية.

ومن الشعراء الآخرين: -

ابن مجبر الموحدي (ت٥٥٨ هـ) [١] والاصم المرواني وابن صاحب الصلاة صاحب كتاب المن بالامامة وابن السيد الاشبيلي (اللص) و.

ابن جنان الانصاري (ت٦٥٠هـ)

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد الانصاري، عاش في نهاية عصر الموحدين، وهو من مدينة مرسية التي هجر ها سنة ٦٤٠ للهجرة بعد اشتداد هجمات الاسبان عليها.

هجـرتُ داري واحبـابي ومـن شـيمي وصـل المهـاجر أمّـا خـانني وجفـا [٢]

---

[١] ابو بكر ابن مجبر ، شاعر المديح الذي عاصر ابن مردنيش في بداية الموحدين ، جمع شعره ودرسه د. يوسف عيد بعنوان " ديوان بحتري الاندلس " دار الفكر العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

[٢] ديوانه : ق : ٣٤ ، ٢٤ ، ٢٩ .

تفاعل مع احداث عصره، فانحاز الى ابن هود الملقب بالمتوكل على الله الذي ثار بالاندلس على الموحدين بعد سلسلة هزائم لحقت بهم، وكانت مدينة مرسية اول مدينة تخضع لحكمه سنة ٦٢٣هـ، وخاطبه بقصائد مدحية منها [١].

لله درك مـــــــن همـــــــام علامـــــــة هـــــادٍ إمـــــام
متمـــــــــيز بمـــــــــآثر بـــــين الانـــــام علـــــى الأنـــــام
هـــــــو منـــــــهم لكنـــــــه ايـــــن النَّضُـــــار مـــــن الرغـــــام

وقوله:

ذو عـــــــروةٍ آمنـــــتْ قـــــوى مـــــن الانفصـــــال والانفصـــــام
ذو حجـــــــــةٍ وبلاغـــــــة وفصـــــول انـــــواع الكـــــلام
يـــــا كـــــوثراً يلقـــــي العفـــــا ة بالابتهـــــــاج والابتـــــــسام
واعـــــــد مســـــــعاه الـــــــى يـــــــوم القيامـــــــة والقيـــــام

وبعد سقوط مرسية سنة ٦٤١ هـ بكاها الشاعر وغادرها الى اوريولة ثم الى سبتة على البر الافريقي عند ابي علي بن خلاص ثم يرحل الى تونس ويستقر في " ببجاية " الى ان توفى سنة ٦٥٠ للهجرة[٢].

ديوانه وموضوعات شعره: لا يوجد له ديوان وقام د. منجد مصطفى بهجت بجمع اشعاره ووقع في الف وأربعمائة بيت واشتهر بقصائد المدح النبوي، وقسم محقق ديوانه اشعاره الى الالهيات والنبويات والاخويات والرثاء اضافة الى المديح، ونصف ديوانه في النبويات والحجازيات والمناسبات الدينـية ومن قصائده في وصف ركب الحجيج[٣].

---

[١] الادب الاندلسي : ٢٠٩-٢٢٠ ، منجد .
[٢] الاحاطة ٢ : ٣٥٩ .
[٣] ق : ١٣ .

يـا حـادي الركـبَ قـف بـالله ياحـادي وارحـــم صـــبابة ذي نـــأي وأبعـــاد
مـــا ينبغـــي عنـــك ألا ان تصيـــخ لـــه سمعـــاً ليســـأل عمـــن حـــلّ بـــالوادي
بـــين الجـــوانح نـــار للـــجوى وقـــدت فـــان قـــدرت فأخمـــد بعـــض اخمـــاد

وله قصائد في الذات الإلهية وألائه ونعمه وفي رمضان وفي طاعة ليلة القدر، كما ان له قصائد معارضة لقصائد غزلية مشهورة كقصيدة علي بن جهم وتغيير موضوعها من الغزل الى الحب الالهي التي يبلغ عدد أبياتها ستة وأربعين بيتاً وتدور قصيدة ابن الجهم حول محبوبه وسماع حديث "ظلوم "وجارتها ومحادثتها ووصلها على الرغم من كبر سنه وشيبه ومطلعها [1].

عيـون المهـا بـين الرصـافة والـجسر جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وفي كبح جماح نفسه وزجرها وقد بلغ به العمر يقول:

كفـى بـالهوى غيـاً وبالشـيب زاجـرا لـو أن الهـوى ممـا ينهنـه بـالزجر

ويعارضها ابن الجنان بقصيدة على وزنها ورويها في اثنين وستين بيتاً، وخص القسم الغزلي منها بثلاثين بيتاً ومطلعها:

عيـــون النهـــى بـــين التـــدبر والفـــكر جلبن الهدى من حيث ادري ولا ادري[2]

وفي الذات الالهية يقول:

ولاح ســـــنا مهمـــا تبـــدي لنـــاظر تـــوارى سنـــا الشـــمس المنيـــرة والبـــدر
فَـــــهمْتُ بمحبـــوب فهـــمتُ كمالـــه فلـــــم يلتفـــت إلا لحضـــرته ســـرى
لـــه المثـــل الاعـــلى فـــلا نَـــد مشـــبه ولا مثـــل فـــي فضـــل تســـامى عـــن الحصـــر
قريـــب مجيـــب ظـــاهر وهـــو بـــاطن وجـــل جـــلال عـــن حجـــاب وعـــن ســـتر

[1] ديوان علي بن جهم : ٢٥٢ ، تحقيق خليل مردم .
[2] ديوانه : ق : ٧

مختتماً.

نهى النفسُ عما تشتهيه وصدّ عن " عيون المها بين الرصافة والجسر "

وشعره يصدر عن رجل صالح تقي قلباً وفعلاً، و هو يحمد ربه، ويستسلم له حتى اذا نزلت به مصيبة او عسر[١].

سأصبر حتى ينجز اللهُ وعدَه ولا بدّ للرحمن أن ينجز الوعدا

وما زال لطف الله يفرج أزمةً اذا استصعبت عقدا أو استحكمت شدا

وفي الرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: [٢].

صلوا على هذا النبي فأنه لم يزل بالمؤمنين رحيما

يا أيها الراجون منه شفاعة صلوا عليه وسلموا تسليما

وله مخمسة يكرر عبارة "صلوا عليه وسلموا تسليما " كل اربعة اشطار[٣]

وتحتل الرسائل الاخوية والمجاوبات الشعرية قسماً من ديوانه لاسيما مع صديقه ابن المرابط في سبع قصائد في اثنين وخمسين بيتاً كان علاقتهما قوية فتفرقا بعد سقوط مدينتهما وله في مناسبة العيد قوله: [٤].

دنا العيدُ ليت العيد لم يدنُ وقتُه فقد هاج لي وجداً وزاد غراما

فمن لي بأعياد تعيد مسرتي بمغنى، به خط الجلال حماما

وتتميز قصائده بالسهولة والتطبع عدا مراسلة ادبية جرت بينه وبين زملائه شعراً ونثراً في الالتزام بحرف العين في الالفاظ كافة لفتح باب المساجلة في اظهار

---

[١] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٢] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٣] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[٤] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .

الباع يظهر فيها الكلف والجمود[1] بينما تميزت قصائده في الرثاء بالحرارة و هي سبع قصائد في اربعمئة بيت اطولها قصيدة في رثاء أبيه[2].

[1] ديوانه : ق : ٨ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٦ ، ٤٦ .
[2] للمزيد عنه ينظر : الادب الاندلسي : ٢٠٩-٢٢١ ، د. منجد .

الأدب في عصر مملكة غرناطة

"الاندلس الصغرى"

٦٣٥ – ٨٩٧ هـ

١٢٣٨ – ١٤٩٢م

مقدمة تاريخية:

بعد معركة العقاب سنة (٦٠٩هـ) واندحار القوات الموحدية في الاندلس وفي شمال افريقيا وسقوط المدن الاندلسية تباعاً، رأى أهل الاندلس من الافضل القيام بعمل دفاعي يحفظ لهم ما بقي من بلدهم، فظهر ابو عبد الله محمد بن هود في مرسية سنة ٦٢٥ وحكم تحت راية الخليفة العباسي وخلع طاعة الموحدين، كما ثار ابن مردنيش سنة ٦٣٠ للهجرة، وسيطر محمد بن يوسف بن الاحمر على ارجونة ومناطق غربي الاندلس، واصبحت الاندلس تمر بمرحلة طوائف ثالثة، فسقطت مدينة قرطبة سنة ٦٣٣هـ وبلنسية سنة ٦٣٦هـ ومرسية ٦٤٤ واشبيلية ٦٤٦ هـ، وتمكن محمد بن يوسف بن الاحمر الاحتفاظ بغربي الاندلس وتأسيس مملكته من سنة ٦٣٥ –ولغاية سنة ٨٩٧ هـ فيما يمكن تسميته بعصر بني الاحمر الذي استمر ما يقارب القرنين والنصف وحكمها عشرون سلطاناً، وكانت تتكون من ثلاث ولايات غرناطة ومرية ومالقة، وقد صمدت امام الممالك النصرانية بمساعدة الدولة المرينية التي تشكلت في المغرب.

وبعد سقوط دولة بني مرين، واشتداد الصراع على السلطة في دولة بني الاحمر واتحاد مملكتي قشتالة واراغون في عام ٨٨٤ هـ على اثر زواج ملك ارغون وملكة قشتالة، بدأت دفاعات دولة بني الاحمر بالسقوط، وشدد الاسبان الحصار على مدينة غرناطة فاستلمت بشروط في ربيع ٨٩٧ للهجرة منهياً حكم المسلمين للجزيرة التي استمر ما يقارب ثمانية قرون، وتم تسليم القصور الملكية والابراج ووضع فوق

برجه العالي صليب كبير فضي وبجانبه علم قشتالة وعلم قديسهم، واعلن من فوق الابـراج ان غرناطـة اصـبحت ملكـاً للملكـين الكـاثوليكين، ووقـف ملكـه ابـو عبـد الله الصغير مودعا ملكه، فاجهش بالبكاء فصاحت به امه " ابك مثل النساء مُلكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال " لتبدأ مأساة الاندلسيين ومحاكم التفتيش التي قضت على وجودهم في أسوأ صفحات التاريخ على مر الدهر[1].

الحالة الثقافية:

اهتم حكام بني الاحمر بالثقافة، واجتمع لديهم من الادباء والعلماء عدد كبير لكثرة هجرات المسلمين من المدن الاندلسية المختلفة الى الدولة التي اسسها بنو الاحمر في غرناطة، فمعظم السلاطين كانوا شعراء ينظمون الشعر مثل محمد الثاني " ت٧٠١هـ " ومحمد الثالث " ٧٠٨هـ " ويوسف الاول الذي ظهر في عهده طائفة من الشعراء والادباء أمثال ابن الجياب وابن الخطيب وابن زمرك وابو الحسن الذباهي وابـن ليـون التجيبـي، واسـس مدرسـة غرناطـة ذات السـمعة العاليـة، عرفـت باسـم المدرسة العلمية أو المدرسة النصرية وكانت تدرس فيها العلوم الدينية ومختلف انواع المعرفة والفكر، وكتب على باب المدرسة: -[2]

يـا طالـب العلـم هـذا بابـــه فتحـا فأدخـل تشـاهد سـناه لاح شـمس ضـحى

واشـكر مجيـرك مـن حـل ومرتحـل اذ قـــرب الله مــن مرمــاك مــا نزحــا

وشــرفت حضــرة الاســلام مدرســة بهــا سبـــيل الهـدى والعلـم قـد وضـحا

اعمـــال يوســـف مـــولانا ونيتـــه قـد طـــرزت صـحفا ميزانهـا رجحـا

---

[1] تاريخ دولتي المرابطين والموحدين : ٤٥٢ ، د. علي محمد الصلابي ، دار المعرفة ، بيروت ، تاريخ العرب وحضارتهم : ٢٩٨ مجموعة مؤلفين ، جامعة الموصل ، وسقوط غرناطة ، د. ناصر العمر ، نهاية الاندلس وتاريخ المنتصرين : ٣٦٩ ، غرناطة في ظل بني الاحمر ، د. يوسف شكري ، ونفح الطيب وغيرها .... .

[2] النفح ٥ : ٤٥٧ .

وكانت تدرس فيها اللغة والادب، واعتمدت كتاب سيبويه وكتاب الاغاني واثار الجاحظ ومقامات الهمذاني والحريري وديواني الحماسة والمتنبي من الكتب المقررة[١].

وبرز في ذلك العصر الامير ابو الوليد بن احمر، وخلف كتباً كثيرة منها: " نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان " [٢] وفيه يتناول سير الكتاب والشعراء المشهورين في القرن الثامن للهجرة وكتاب " نثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان "[٣] وفيه يتحدث عن شعر الملوك من بني الاحمر في الاندلس وبني مرين وبني حفص وبني عبد الواد من حكام افريقيا، ووصلتنا من تلك الحقبة دواوين الشعراء ابن خاتمة الانصاري وابن الجياب وابن الخطيب وابن فركون والبسطي، وقبيل السقوط برز القلصادي وابو يحيى بن عاصم ومحمد بن عبد الله المعروف بالعربي وابن الازرق الشاعر وغيرهم.

واتخذت دولة بني الاحمر مذهب الامام مالك اساساً لكل امورها[٤] وكان لعلماء المذهب سلطان قوي على الفكر والسياسة[٥] وبرز من علماء المذهب المالكي: أبو سعيد فرج بن لب (٧٨٢هـ) وهو من اشهر اساتذة المدرسة الغرناطية، وابراهيم بن موسى الغرناطي (ت٧٩٠هـ) صاحب كتاب اصول الفقه... كما شهدت في تلك الفترة حركة زهدية واسعة، واشار ابن بطوطة في زيارته لها (٧٥١ -٧٥٢هـ) الى تلك الحركة[٦] وكثرة حلقات التصوف، ورباطات كانت تقرأ فيها القرآن الكريم واشعار المتصوفة وحلقات الذكر ومن أقطابهم ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى الانصاري (٧٥١هـ) صاحب كتاب زهرة الاتمام في قصة يوسف وابو عبد الله محمد الانصاري المالقي (٧٥٤هـ) وله كتاب " بغية السالك في اشرف المسالك " في مراتب

---

[١] تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٣٥٩ .
[٢] تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .
[٣] تحقيق : محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .
[٤] اللمحة البدري : ٣٨ ، ابن الخطيب .
[٥] غرناطة في ظل بني الاحمر : ١٥٤ ، يوسف شكري فرحات ، بيروت ، ١٩٨٢ ،
[٦] رحلة ابن بطوله : ٢ : ٧٦٩ .

الصوفية، كما اشتهرت تلك الفترة بحلقات المدائح النبوية، وبرز في ذلك ابن الخطيب والششتري (ت٦٦٨هـ) وابن جابر الاندلسي(ت٧٨٠هـ) وقد اكثر من المديح النبوي وله ديوان سماه " العقدين في مدح سيد الكونين " كما له مشاركة في الشعر التعليمي باسم " البديعيات " وهي قصائد تعليمية في المديح النبوي.

وفي كتابة التاريخ برز لسان الدين ابن الخطيب وكتبه " الاحاطة في اخبار غرناطة " واللمحة البدرية في الدولة النصرية وكتاب " اعمال الاعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام " وكتاب " نفاضة الجراب " وكتاب " كناسة الدكان " والقاضي ابو الحسن علي بن عبد الله الذباهي (٧٩٣هـ) وله كتاب " تاريخ قضاة الاندلس " وكتاب " نزهة البصائر والابصار " وابن خاتمة الانصاري (٧٧٠هـ) وكتابه: مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية " وغيرها.

اما في مجال اللغة، فقد برز عدد كبير من النحويين، ولنا ذلك ابن مالك (٦٨٦هـ) صاحب الألفية، كما شهدت حركة علمية في الهندسة والرياضيات والفلك والطب والفلاحة [١] وفي مجال النقد الادبي برز ابو البقاء بن شريف الرُندي الشاعر وكتابه " الوافي في نظم القوافي "[٢]، وهو صاحب القصيدة المشهورة في رثاء مدن الاندلس وكتابه نقدي وبلاغي يتناول محاسن الشعر وبديعه ومعانيه وهو مخطوط حسب علمنا، وحازم القرطاجني وكتابه " منهاج البلغاء وسراج الادباء "[٣] وهو كتاب نقدي في غاية الاهمية وكتاب " التسهيل " لابن جزي الكلبي[٤] في الفصاحة والبلاغة وغيرها من الكتب التي طمست بزوال الدول الاسلامية في الاندلس.

أهم الاغراض الشعرية: استمرت الاغراض الشعرية المعروفة من المديح والغزل والرثاء والهجاء والزهد والتصوف كما مّر علينا في الحقب السابقة والتي

---

[١] للمزيد عن هذه الحركة العلمية : ينظر : تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٣٥٤ – ٣٥٩ .
[٢] للمزيد عن هذا الكتاب:تاريخ النقد الادبي في الاندلس: ٤٣٢-٤٧١ د. محمد رضوان الداية.
[٣] تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦ .
[٤] نشره مصطفى محمد ، مصر ، ١٣٥٥م .

تتضح معالمها في حديثنا عن الشعراء الموظفين، وبرز في ذلك العصر اغراض شعرية جديدة نسبياً هي شعر النقوش والقصور وشعر الحكمة والموعظة وشعر الاسر وشعر المدح النبوي: -

١- شعر النقوش والقصور:

تعد القصور وما فيها من البرك والتماثيل والصور وما يحيط بها من الترع والبساتين والاشجار والانهار من ابرز مظاهر الحضارة المادية التي ظهرت في الاندلس، ومن اشهرها قصر الزهراء التي بني في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠) وعمل فيه على رواية المقري عشرة الاف عامل لمدة خمس وعشرين سنة واضاف اليه المنصور بن ابي عامر (٣٦٦-٣٩٢ هـ) اضافات كثيرة[١] واسرد ابن بسام في ذخيرته والمقري في نفحه صفحات طويلة لوصف تلك القصور، وفي قصر طليطلة يقول ابن حيان المؤرخ " وقد خرمت في جثمانه صور لبهائم واطيار واشجار ذات ثمار وقد تعلق كثير من تلك التماثيل المصورة بما يليها من افنان اشجار واشكال الثمار وفوقه بحور منتظمة من الزجاج الملوك الملبس بالذهب الابريز، وقد اجريت فيه اشكال حيوات واطيار وصور انعام واشجار يذهل الالباب ويقيد الابصار وارض هذه البحـــار مدحوه من اوراق الذهب

الابريز مصورة بامثال تلك التصاوير من الحيوان والاشجار... " [٢] وصفها الشعراء ضمن قصائد مدحية لتدل على ابهة صاحبها، ومن القصور الاخرى المبارك والثريا والزاهي والزاهر وسعد السعود في اشبيلية وقصور الدمشق والفارسي الذي قضى ابن زيدون لهوه في متنزهاته مع ولادة بنت المستكفي[٣] وقصور السرور ومجلس الذهب في سرقسطة وقصور أخرى [٤].

---

[١] عصر الدول والامارات : ٤٨ .

[٢] الذخيرة ١/٤ : ١٣٢-١٣٤ .

[٣] ديوان ابن زيدون ورسائله : ١٥٨ ، تحقيق : علي عبد العظيم ، دار النهضة ، مصر – القاهرة ، ١٩٥٧ .

[٤] للمزيد ينظر : " الاطر التشكيلية لقصائد الصورة في الاندلس " ، د. عمر ابراهيم توفيق ، منشورات مجلة جامعة كوية ، العراق / العدد ٢٠٠٨/٩ .

وللمستشرق فون شاك كتاب بعنوان " الفن العربي في اسبانيا وصقلية " تكلم عن روعة المعمار في تلك القصور، ووصف الشعراء لهذه القصور كانت انطباعية في وصف مجالسهم والمناظر المحيطة بها والتماثيل والبرك الموجودة فيها، وجاء اغلبها في مقدمات قصائد مدحية في الإشادة بأصحابها والأبهة التي ينعمون في ظلها كما قال احدهم: [1]

إن البنـــــاء اذا تعـــاظم شـــأنها أضـــحى يـــدل علـــى عظـــيم الشـــأن

ونظراً لجمال الخط العربي اعتاد المسلمون كتابة آيات القرآن الكريم وأبيات الحكم والمواعظ على واجهات وجدران الجوامع والمساجد، وقد تفنن الخطاطون في شكل خطوطهم ومنحنياتها، ولم يهتموا برسم الصور والتماثيل في اماكن العبادة لحرمتها شرعاً بينما تفنن الرسامون في رسم الصور في قصور الاندلس وبدلاً من كتابة الآيات القرآنية قاموا بكتابة قصائد مدحية عليها وهو عنصر جمالي غير مألوف في تسلق الشعر المنقوش والمزخرف على جدران القصور والتغني بامجاد اصحابها، ففي قصر طليطلة الذي بناه المأمون واشرنا اليها وفي مقصوراته المتأنقة كانت تزينه قصيدة منقوشة [2].

ولم ترد في المصادر ذكر تسلق الشعر المنقوش على القصور الاخرى في عهد ملوك الطوائف وفي عصري المرابطين والموحدين بينما برزت على قصور غرناطة وجنة العريف في عهد دولة بني الاحمر وعلى اقواسها التي تتخذ شكل حدوة حصان والمغطاة بالزليج، ولقد كانت مزجاً جمالياً بأخذ الحسن من جمال الشعر والخط الرائق والفن المعماري الهندسي، واسلوبها الكتابي ذو نمط اندلسي ومنحوتة او منقوشة بالجبس وقابلة للزوال ولم يتبعوا طريقة النقر على الحجر لاسباب نجهلها، وقام اميليو جارثيا جومث بتخصيص دراسة عن النقوش الكتابية للشاعر ابن زمرك

---

[1] النفح ٢: ٦٢ .
[2] الادب الاندلسي: ١٥٨ ، ماريا .

سنة ١٩٧٥، ويعد ابن الجياب من اول الشعراء المعروفين في قصر الحمراء واشعاره تزيّن او تذهب ابراج الزوايا الداخلية لقصر السلطان ابي الحجاج يوسف الاول[١].

قصـــر تقسمـــت البهـــاء ســـماؤه والأرض منـــه والجهـــات الاربـــع

فـــي الجـــص والـــزليج منـــه بـــدائع لكـــن نجـــارة سقفـــــه هـــي أبـــدع

جمعـت وبعـد الجمـع احكـم رفـعها للنـــصب حيـث لهـا المحـل الأرفـع

تحكـي بـديع الشـــعر منـه مجـنس ومظفـــــر ومغصـــن ومرصـــع

أبـدتْ لنـا مـن وجـــهه يوسـف أيـة فيهـــا تكامـــلت المحاســـن أجمـــع

ومـن خـزرج الفـخر الألـى أثـارهم فـــي الـــدين صـــادعة بنـــور يســـطع

كما الف الشاعر نفسه قصائد جنة العريف، ذلك القصر الذي بناه اسماعيل الاول ليخلد ذكرى انتصاره على أمراء قشتالة وأولها: [٢]

طـــاق ببـــاق المجلـــس الاســـعد لخـــــدمة الحضـــــرة بالمرصَـــــد

وابن الخطيب نقشت قصائده على قصر الحمراء في عهد يوسف الاول ومحمد الخامس ولكن وقوعه في المأساة وسجنه ادى الى محو هذه القصائد واستبدالها بقصائد ابن زمرك ولكن بعض قصائده بقيت على الكوات المؤدية الى القاعة الكبيرة منها: -

فقـــت الحســـان بحـــلتي وبتـــاجي فهـــوت الـــى الشـــهب فـــي الأبـــراج

يبـــدو إنـــاء المـــاء فـــي كـــــعابد فـــي قبلـــــة المحـــراب قـــام ينـــاجي

واشارت: ماريا خسيوس بعد معاينتها لقصر الحمراء[٣]، إن سائر القصائد الكبيرة على جدرانه لابن زمرك وينسب الى محمد الخامس الذي عمل لديه كشاعر

---

[١] الادب الاندلسي : ١٥٨، ماريا .
[٢] نفسه : ١٥٦ .
[٣] الادب الاندلسي : ١٦٤ .

ووزير، منها القصيدة التي تزين نافورة الاسود و هي قصيدة مدحية في اثني عشر بيتاً منها: - [1]

تبـــارك مَـــنْ ولاك أمـــــر عـــباده فأولـــــى بـــك الإســـلام فضـــلاً وانعمـــاً

فكـــم بلـــدة للكـــــفر صبـــحت أهلهـــا وأمسيـــــت فـــــي أعمـــــارهم متحكمـــــا

وطـوقتهم طـوق الاسـارى واصـبحوا ببابـــــــك يبنـــــون القصـــــور تخـــــدما

وفتحـــت بالســـيف الـــــجزيرة عنـــوة ففتحـــــت بابـــا كـــان للنصـــر مبهمـــا

ومـن قبلهـا استفتحت عشـرين معقـلاً وصيـــــرت مـــا فيهـــا لجيشـــك مغنمـــا

وقصيدة اخرى طويلة عدد ابياتها مئة وخمسين بيتاً نقشت عدد من ابياتها على جدار بهو الاختين في قصر الحمراء قالها في وصف دار بناها السلطان محمد الغني بالله ومطلعها [2].

سـلِ الافـقَّ بـالزُهرِ الكواكـبَ حاليـاً فانـــــي قـــد أودعتُـــــه شـــرح حاليـــاً

ويقـول غرسـيه غـرمس[3]" وقـد نقشـت بعـض ابيـات زمـرك علـى جـدران الحمراء، وهي تكوّن جزءاً لا ينفصل من زخارف قصور بني نصر ".

وقد طوى الدهر ما كتبه الملك الشاعر يوسف الثالث والشاعر ابن فُركون الذي كان يقوم بمدحه وهي قصائد نقشت على الاقواس، علماً ان شعار دولة بني الاحمر كانت عبارة " لا غالب إلا الله " وكانت تنقش على واجهات الابنية الرسمية، ومن امثلة على شعراء النقوش: -

ابن زُمرَك (ت٧٩٦هـ):

---

[1] نفسه : ١٦١ (القصيدة كاملة) ولم اجدها في الديوان .
[2] الديوان : ق : ١١١ .
[3] الفكر الاندلس : ١٤١ .

هو ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد المعروف بابن زُمرَك، ولد سنة ٧٣٣هـ في غرناطة من اسرة مهاجرة فقيرة من شرق الاندلس، كان ابوه يعمل حداداً، وكان يتصف بدهاء وذكاء وجحود واخذ علومه من حلقات العلماء والشيوخ، ومنهم استاذه وصنيعته ابن الخطيب الذي اعتنى به والحقه بدواوين الامارة وكفل له راتبا حسناً، وعندما خُلع محمد الخامس الغني بالله عن الامارة سنة ٧٦٠ هـ ونفي الى المغرب، التحق به مع شيخه ابن الخطيب، وعند عودته الى الحكم عاد معه بصحبة ابن الخطيب الذي كان يردد له في رسائل وقصائد ولاءه له وحمده وشكره على ما وصل اليه بفضله، وفي سنة ٧٧٣ هـ دبرت مكيدة على ابن الخطيب، فهرب الى المغرب عند سلطان الدولة المرينية بتلمسان واحتل ابن زمرك مكانه واصبح الوزير الاول للسلطان الغني بالله، وتبذل جهود كبيرة لاعتقال ابن الخطيب فسجن في سنة ٧٧٦هـ وتقدمت لجنة لمحاكمته من غرناطة برئاسة ابن زمرك، ويتهم بالالحاد والزندقة لعبارات صوفية وردت في كتابه " روضة التعريف بالحب الشريف " ويسترسل في توبيخه، وبإحدى الليالي دُسّ اليه من قتله واشعلت في جثته النار قبل دفنه، ووري التراب في تهمة زائفة، ونعم ابن زمرك بالوزارة عشرين عاماً، وسجن سنة ٧٩٣هـ لمدة سنة ونصف وعاد الى منصبه في عهد محمد السابع سنة ٧٩٥ هـ وسرعان ماشرب من الكأس الذي دبر لابن الخطيب فاقتحم حرس السلطان بيته وفتكوا به وبابنين له. والف السلطان يوسف الثالث فيه كتاباً سماه " البقية والمدرك من كلام ابن زمرك " لانه خدم السلطان الغني بالله سبعاً وثلاثين سنة، انشده ستا وستين قصيدة في ستة وستين عيداً وفي كل منازله من القصور والرياض، واورد المقري في ازهار الرياض عشرين قصيدة ومخمسة طويلة وثلاثين مقطعة في الغني بالله وفي مدح ابن الخطيب ولى نعمته الذي غدر به[1].

[1] ترجمته وشعره في : ازهار الرياض: ٢ : ٧ -٢٠٦ المقري التلمساني ، الاحاطة : ٢ : ٣-٢١٤ ، النفح ١٧٩/٧ ، الكتيبة الكامنة من شعراء المئة الثامنة : ٢٨٢ ، نيل الابتهاج : ٢٨٢ تنبكتي (طبعة فاس) ، جذوة الاقتباس في من حل بالاعلام بمدينة فاس : ١٨٤ ، ابن القاضي ، الدرر الكامنة : ٤ : ٤١٢ ابن حجر ،عصر الدولة والامارات :٢٠٧-٢١٠ ، الفكر الاندلسي :١٣٩ ،

ومن أهم مدائحه قصيدته التي اشرنا اليها في شعر النقوش التي تتكون من مئة وخمسين بيتاً استهلها بغزل في ثمانية وعشرين بيتاً ثم يستخلص الى مدح الغني بالله ووصف قصور الحمراء وما فيها النقوش والزخارف منها[١].

ولله مبـــــــناك الجميـــــلُ فإنّـــــه يفــوق علــى حـــكم الســعود المبانيــا

فكــم فيــه للأبـــصار مــن مُتَنَــزَّه تجـــــدُّ بـــه نفــس الحلــيم الأمانيــا

وتهـوى النجـوم الزُّهـرُ لـو ثبتـت بـه ولــم تــك فــي افـــق الســماء جَواريــا

ومعظم قصائده المدحية لا تخلو من الحجازيات والمديح النبوي على سُنة ذلك العصر وله خمس عشرة موشحة اكثرها في مديح الغني بالله واحداها في مديح الرسول (ص) ورسائل ثلاث ومقطوعتين نثريتين، وقام د. احمد سليم الحمص بجمع اشعاره في كتاب سماه ديوان ابن زمرك دون ان تسبقه دراسة [٢] ومن موشحاته، موشحة صبحية (الصبوحات او الفجريات): [٣] و هو غرض اندلسي جديد

ريحانـــــةُ الفجـــرِ قـــد أطَلّـــتْ خضـــــراء بـــــالزُّهر تُزهِـــــرُ

ورايـــــةُ الصـــــبحِ قـــد أظلّـــتْ فـــــي مرقَـــب الشـــرقِ تُنشَـــرُ

٢- شعر الحكمة والموعظة:

الحكمة اصطلاحاً تعني: " بعد النظر في الحياة والدين والاخلاق والسياسة، وتنبع من عقل واع ونفس حساسة خبيرة باسرار الحياة ووقائعها " [٤].

مع شعراء الاندلس والمتنبي : ١٩٠ اميلو غرسيه غومس ، ديوان ابن زمرك ، جمع د. احمد سليم الحمص ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٩٨ .

[١] نصائح الاحباب وصحائح الاداب ، ابن ليون التجيبي ، جمع ودراسة وتحقيق : د. عمر ابراهيم توفيق ، الدراسة الموضوعية : ٣ .

[٢] ديوانه : ق ١١١ ، ص١٤٠ ، الازهار : ٢ : ١٥ ، النفح ٧ : ١٨٨ .

[٣] المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ١٩٩٨ .

[٤] ديوانه / م : ٩ ، الازهار :٢ : ١٨٦ ، النفح ٧ : ٢٤٩ .

اما الوعظ: فأنها تعني اصطلاحاً " التذكر بالخير فيما يرق له القلب "[1] وان الفرق بينهما ان الاولى اقرب الى العقل والثانية الى القلب، والحكم تصاغ في الغالب صياغة فنية مؤثرة تقبل عقلياً وتستساغ قلبياً بسحر معانيها والفاظها الخلابة، والادب العربي مليئ بالحكم والمواعظ، اما في الاندلس فبرزتا بشكل واضح نتيجة ارتقاء الفكر وسمو فروع المعرفة وامتزاج ثقافات متعددة وكثرة الاضطرابات السياسية لاسيما في عصر مملكة بني الاحمر وانحصار المسلمين في بقعة صغيرة وتساقط اراضيها تباعاً وظهور طبقة من الوعاظين في الجوامع واعتقاد الناس بان الذين يفرطون في الزهد والنسك اولياء الله الصالحين اضافة الى تظاهر بعضهم بتلك الصفات واقحام اقوالهم بالحكم والمواعظ [2] ومعانيهم كانت تدور حول نقد المجتمع والكشف عن عيوبه المستشرية والدعوة الى الاعمال الصالحة والعبادة والزهد والتصوف والمدائح النبوية والاستنفار والاستصراخ، ويعد ابن ليون التجيبي خير من يمثل هذا الموضوع وقد سبقه في ذلك في الاندلس يحيى بن حكم الغزال (ت٢٥٠ هـ) وابو حفص عمر الهوزنى (ت٤٦٠هـ) وابن العسال الالبيري (٤٨٧ هـ) وابو المعالي الاشبيلي والشاعر الحكيم ابو الصلت الداني (ت٥٢٩هـ) وغيرهم.

ابن ليون التجيبي (٦٨١-٧٥٠هـ):

هو ابو عثمان سعد بن ابي جعفر احمد بن ابراهيم بن ليون التُجيبي " من أكابر الائمة الذين افرغوا جهدهم في الزهد والعلم والنصح " [3].

ولد بالمرية سنة ٦٨١ للهجرة، نشأ بها ولم يخرج منها، وتوفى بالطاعون سنة سبعمائة وخمسين للهجرة، وله اكثر من مئة مصنف مفقود، وقف المقري على اكثر من عشرين كتاباً له منها " كتاب في الهندسة وكتاب في الفلاحة وله كتب في

---

[1] وقد حققت الكتب الثلاثة بعنوان : الحكمة والموعظة في شعر ابن ليون التجيبي : جمع وتحقيق ودراسة د. عمر ابراهيم توفيق دار غيداء الاردن .

[2] لتعريفات : ١ : ٨ ، علي حسين الجرجاني .

[3] نصائح الاحباب : الدراسة الموضوعية : ٥ .

الوصايا والمواعظ منها "النصائح الاحباب وصحائح الاحباب " و " الابيات المهذبة في المعاني المقربة " و " اندام الديم في الوصايا والمواعظ والحكم "[1] " وبغية الموانس من بهجة

المجالس وانس المجالس " و" بغية الموانح من بهجة المجالس وانس المجالس " ولم نعثر عليهما واشتهر باختصاره للكتب منها: "اختصار بهجة المجالس لابن عبد البر " و " اختصار المرتبة العليا لابن راشد القفصي " و " نفح السحر في اختصار روح الشعر لابن جلاب الفهري " [2] وكتب اخرى[3] وشعره كله حكم وعظات فيه كثير مما هو دائر على السنة الزهاد والمتادبين والاقوال المشهورة في شعر السابقين، وهو نمط اشتهر في حقبة الانكسار السياسي الذي رافق القرون الثلاثة الاخيرة في الاندلس الصغرى، وتتسم تجربته بتعالي النبرة العاطفية والوجدانية والانفعالية بآفاقها الانسانية بحكم الاسباب والقضايا والاحداث التي انشغلت بها الاندلس، وانعكست تأثيراته على الشاعر وفكره ورؤيته، فامتزجت غنائية المقطعات بالبكاء والاسى والمرارة والصبر باسلوب خطابي وعظي منصهر فيه المرجعات الدينية والتراث الاسلامي، وتمركزت معظم مقطعاته حول الذات والعبر وأفول الحياة وسخرية القدر والزمان والعلاقات الاجتماعية، ولغته كانت من عناصر اللغة المتداولة دون اللجوء الى الرمز او الضبابية لغلبة المباشرة، وموسيقاه، افقية ذات ترددات منخفضة، وكانت مقطعاته جرعات استشارية بمذاق مر لما يحس به ويتوقعه لمجتمعه في غياب الفرح والابتهاج والحب في مقطعاته، لذلك لم يدل دلوه في الغزل، إلا مقطعة واحدة جاء في آخر كتابه " الابيات المهذبة " ولم يعاد المرأة ولم يتطرق اليها إلا في مقطعتين ، " في عدم مطاوعة النساء او مسايرة هواهن مع العدل والترضي " اما

---

[1] النفح ٨ : ٥٧ .

[2] حققت نفح السحر من قبل الباحثة منال محمد مذيزل ، ضمن رسالة ماجستير لكلية الدراسات العليا ، الجامعة الاردنية ، ١٩٩٥ .

[3] نصائح الاحباب : ٣ .

بحوره فمعظمها مجزوءة كثيرة الخلل في التفاعيل وكثرة الزحافات والعلل لانه كان يفكر بعقله ويكتب بعقله، فهو عالم اجتماعي ورجل قياس وتوجيه.

وقسمنا موضوعاته الى ابواب عدة وهي: العلم والصداقة والعلاقات الاجتماعية، والخلق والاخلاق الحميدة، واللهو والخمول، والدنيا والزمان.

اورد في كتابه " نصائح الاحباب " اثنتين وتسعين قطعة شعرية وفي "الابيات المهذبة " اثنتين وخمسين قطعة وفي " اندام الديم... " ثماني واربعين قطعة شعرية ومن مقطعاته: باب العلم: [١].

شفاء داء العي حُسنُ السؤال فأسأل تنل علماً وقل لا تبال

واطلب فالاستحياء والكبر من موانع العلم فما إن ينالِ

وفي الصداقة يقول: [٢]

اذا كنتَ لا تنصر الصديق فدع سماعك القول فيه واجتنب

سماع عرض الصديق منقصةٌ لا يرتضيها الكريم ذو الحسب

وفي صيانة اللسان يقول: [٣]

نعوذ بالله من شر اللسان كما نعوذ بالله من شر البريات

يجني اللسان على الانسان ميتته كم للسان من آفات وزلات

وفي الطهارة[٤]:

مروءة المرء ثوبه والعرى في الناس عيبه

بثوبه المرء يعلو قدرا ويحفظ قربه

---

[١] صحائح الاحباب : ٣ .
[٢] نفسه : ق: ٢٧ .
[٣] م : ٥٧ .
[٤] الابيات المهذبة : م : ٢٠ .

مَـــن لـــم يصـــنْ ثوبـــه لـــم يَصُـــــــــن وان لاح شـــــــيبه

وقوله: [1]

عليـــك بنفســـك لا تشتغـــل بشـــيء ســـواها وخـــلَّ الفضـــول

تعـش رائـح القلـب فـي غبطـة فـــلا مَـــنْ يضـــر ولا مـــن يقـــول

واخيراً قوله: [2]

لا تـبح مـا حييـت يومـا بـسر لصـــــــديق ولا لغيـــــر صـــــديق

إنّ ســراً يجــاوز الصــدر فــاشٍ يدريـــه العـــدا ومـــن فـــي الطريـــق

٣- شعر الأسـر:

كان الحرب سجالاً بين المسلمين والنصارى، وفي القرون الثلاثة الاخيرة اقترب النصارى من عقر ديار المسلمين، واصبحت اراضيهم وحصونهم ساحات للمعارك، وكان الافرنج أحياناً يقومون بغارات على قرى وبساتين المسلمين يأسرون ما يقع تحت أيديهم من رجال ونساء يبيعونهم عبيداً في سوق النخاسة، ويضعون مبالغ كبيرة فدية لاطلاق سراحهم، وكانت تجارة رابحة تدرُ أموالاً طائلة، وقد يكون بين الاسرى علماء وأدباء، اطفال ونساء، لا فرق بينهم، كل واحد يباع بسعره، وعبر بعضهم عن معاناته واحواله في رسائل او قصائد بعثها الى اهله وأصدقائه، أمَرُّ وأوجَعُ من قصائد أبي فراس الحمداني لان المستقبل كان مظلماً امامهم، ومن بيم هؤلاء شاعرنا البسطي، اخر شعراء الاندلس كنموذج لشعر الاسر.

البسطي: (ت٨٩٥أو ٨٩٦)

---

[1] اندام الديم : م : ٩ .
[2] نفسه : م : ١٥ .

هو عبد الكريم او محمد عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي ولد في مدينة بسطة المشهورة بطبيعتها الجميلة قرب غرناطة، في العقد الثاني من القرن التاسع الهجري، وفيها نشأ وقضى معظم حياته، وكان له حانوت يشتغل فيه بالنسخ والتقييد والفتوى والتعليم، وقال قصيدة طويلة بعد احراق حانوته ظلماً[1].

فـاحراق حـانوتي – لتـنحط رُتبتـى يعـــود علـــيهم بانعكـــاس المؤمـــل
فقـد كـان للاحكـام مجلسَـها الـذي تُصـــانُ بـــه مـــن مُفســـدٍ أو مُبـــدَّلِ
وكـــان لتقييـــد العلـــوم وضـــبطِها وعقـــد شـــروط القـــوم أقنـــى منـــزل

وكـان لـه اصـدقاء مـنهم القلصـادي الشـاعر ولـه معـه مراسلات كثيـرة فـي ديوانه، وكان رفيقا لأبي عبد الله بن الازرق الوادي آش والشاعر أبي يحيى ابن عاصم وابي حامد ابن الحسن النباهي وولده أبي جعفر احمد... وبعد ان أخذ قدراً من العلم اضطر تحت وطأه الحاجة الى مغادرة " بسطة " وهو في مرحلة شبابه للعمل في مسجد " برجة لقاء اجر سنوي قدره خمسون ديناراً كما يتضح من رسالته الى أبيه[2]

فقـد شـيبتْ هـذه البُشَـراتُ مفرقـي وسنـــي كمـــا تـــدرون سِـــنُّ غـــلام
بخمســين دينـــاراً ومـــا هـــو تـــابعٌ لـــــها مِـــن فـــراش لائـــق وطعـــامِ
اروح واغـــدو بـــين قـــوم تواطـــؤو قديمـــــا علـــى إكـــرام كـــلِّ إمـــامِ
وفـــي بَرجـــةٍ مثـــوايَ حيـــث تبســـمتْ ثغـــورُ الاقـــاحي مـــن بكـــاء غَمـــامِ

وخلال تجواله في القرى والمدن الصغيرة تعرض للاسر في بعض الطرقات بينما ذهب البعض انه اسر اثر اشتراكه في الجهاد وانخراطه في صفوف المجاهدين،

---

[1] البسطي أخر شعراء الاندلس : ١١ .
[2] نفسه : ٢٥ .

والارجح أو اسر في احدى الغارات على مدينته لان الاسارى لم يكونوا من المحاربين وكان بينهم نساء[١].

وفي الاسر وضع في زنزانة وعمل في الاشغال الشاقة وانه بيع بعد ذلك الى احد كبراء النصارى كخادم، وفي اسره تفتحت قرائحه الشعرية وسجل لنا اقوى القصائد في الحنين والشوق الى اهله وبلدته والتضرع الى الله تعالى، ويتبين ذلك من خلال مراسلاته الشعرية الى أبيه وأصدقائه، وطلب منه الف دينار فدية لاطلاق سراحه ودبر بعضه من بيع كتبه واطلق سراحه كما يقول في رسالته الى صديقه ابن الحسن النباهي عند خروجه من الاسر[٢]:

اعلاقَ علمي بعتُ في الخطبِ الذي هو ظاهر للمبتدى والشادى

ورجع بعد الاسر الى بلده " بسطة " ورضيّ الغنيمة بالأياب، وبدأ يفصح عن هواجسه وخوفه من الموت بعد بلوغه الأربعين من العمر قائلاً[٣].

مرور الأربعين اطار نومي واجرى فوق صفحَ الخدَّ دمعي

وعلمي بالرحيل غداً وتركي من أهلي مِنْ غدا بصَري وسمعي

وفي بلوغه الخمسين[٤]:

أيلهو امرُؤٌ مثلي صباهُ قد انقضى بخمسين عاماً قد تولَتْ من العمرُ

وانه عاش حصار بسطة من قبل الملكين فردناند وايزابيلا ملكي قشتالة واراجون الذي استمر قرابة سبعة اشهر و انتهت بتسليم المدينة سنة ٨٩٤ للهجرة و قد اشاد بقائد حامية مدينته وقت الحصار[٥].

عزموا على إجلائنا عن ارضنا مِنْ بعدِ ما اجتمعوا لنا وتألفوا

---

[١] نفسه : ٢٧ .
[٢] نفسه : ٣٩ .
[٣] نفسه : ٤٠ .
[٤] نفسه : ٤١ .
[٥] نفسه : ٤٣ .

والارجح أنه توفي قبيل حصار غرناطة وسقوطها لانه لم يتطرق الى حصارها والمشاكل السياسية التي رافقته وربما توفي سنة ٨٩٥ أو ٨٩٦ وله قصيدة في مرضه يقول[١].

وما زلتَ تشفي السقمَ يارب دائماً وتُطفي ببَرد البُرءِ من غُلة الصدر

فجُدْ الهي بالذي منكَ ارتجي وَحقَق رجائي فيك يا عالمِ السِّرِّ

له قصيدة في رثاء ابنيه التوأمين اذ مات احدهما باثر الاخر وهما في الطفولة المبكرة مطلعها[٢].

اودى حسينُ واودى بعدَه حَسَنُ فطار بعدَهما عن مقلتي الوسَنُ

وكان يرى ان نعم الدنيا محصورة في ثلاث جمعها في قوله: [٣]

نعمةُ الدنيا ثلاث هُنّ في الدنيا النَّهاية

صحة الجسم وزوجٌ ومن المال الكفاية

ديوانه: مفقود، ونشر د. محمد ابن شريفة دراسة عنه مقرونة بقصائده وفق سيرة حياته، بعنوان " البسطي آخر شعراء الاندلس " معتمداً على مخطوطة حصل عليه[٤].

أسرياته: الارجح إنه أسر في غارة على مدينته، وانه سجل تفاصيل حياته في الاسر من خلال رسائله الشعرية التي كان يرسلها لان اراضي مملكة غرناطة كانت متداخلة في ذلك العصر مع اراضي مملكتي قشتالة واراجون، ويمكن تصنيف موضوعات مراسلاته الشعرية الى:

---

[١] البسطي : ٤٥

[٢] نفسه : ٤٥ .

[٣] نفسه : ٥١ .

[٤] نشرت الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر،دار المغرب الاسلامي،ط١،المغرب، ١٩٨٥

١- **وصف احوال السجن والأسر:** يخبرنا في قصائده باطوار اسره وسجنه وقد وضع اول الامر في شبه زنزانة مقيداً مكبلاً مهدداً بوسائل التعذيب [١].

فـــي قعـــر بيـــتٍ غولُـــه مجموعـــةٌ والهـــــامُ فيـــه قـــدْ أجـــاب الهامـــا
وبجـــامعٍ جُمعـــتْ يـــدايَ وقُرمـــةٍ منعـــــتْ قيـــامي إنْ اردتُ قيامـــا

ووصـف الاشغال الشاقة التي يكلف بها التي اثرت على جسمه وقواه البدنية [٢].

حتـى ضـعفت، ورقّ جسـمي بيـنهم وتغيـــرت عـــن حالهـــا اعضـــائي
وتقرحـــت منـــي الجفـــون بـــدمها وتقـــــطعت بلهيبـــــها أحشـــائي

ويظهر أنه بيع الى أحد كبراء النصارى واصبح يعمل خادماً لديه[٣].

واحســرتي بـــعد اشـــتغالي بـــالعلو م ودرســـــها وتـــــلاوة الـــــقرآن
أُمســـي واصـــبحُ خـــادماً مُتصـــرفاً لعـــــبادة الأصنـــــام والأوثـــــان
إن لـــم اكـــن بالحفـــرِ مشـــتغلاً أكـــنُ بالـــــهدم مُنشـــــغلاً مـــع البنيـــــان
والكـنس فـي يـوم الجلـس صـناعتي والـــــرشّ يتبعُـــه مـــدى الأحيـــان
وبغســـل أقـــذار الكـــلاب تحرفـــي فـــي أكـــثر الأوقـــات والأزمـــان
فثيـــــابهم أدرانُهـــــا مغســـــولةٌ بيـــدي، وثـــوبي الدهـــرَ بـــالادرانِ

وعن بيعه يقول: [٤]

وببيعِـــي كبيـــعِ العبـــدِ بيـــعَ تزايـــدٍ بدرهـــــمِ نقـــــدٍ بعـــد درهـــمِ

---

[١] البسطي : ٢٨ ، ٢٩-٣٠ ، ٣٠ ، ٣٢ .
[٢] البسطي : ٢٨ ، ٢٩-٣٠ ، ٣٠ ، ٣٢ .
[٣] البسطي : ٢٨ ، ٢٩-٣٠ ، ٣٠ ، ٣٢ .
[٤] البسطي : ٢٨ ، ٢٩-٣٠ ، ٣٠ ، ٣٢ .

٢- الحنين الى مدينة بسطة وطبيعتها الخلابة ومتنزهاتها الجميلة وفواكهها المتعددة وفي ذلك له قصائد عدة منها قصيدته [١].

وَدَعِ الحنـــين لبسطـــة وربوعهـــا إن الحنـــين يهيـــج منـــك غلـــيلا
حيـــث الجـــداول ماؤهـــا مـــتفجرٌ اضـــحى الصـــغيرُ بهـــا يفـــوقُ النـــيلا
حيـــث البطـــاح كأنهـــا صـــحفٌ بـــدت تهفـــو الجفـــون بحســـنها التكحـــيلا
حيـــث الظـــلال توارفَـــتْ وتفيـــأت بجوارهـــا تهـــوى النفـــوسُ مَقـــيلا

حيـــث التـــراب لطيبـــه ولحســـنهِ تهـــوى الشفـــاه تســـومُه التقبـــيلا
تلـــك الربـــوع بهـــا الفـــؤاد مُتـــيّمٌ عمـــا يحـــن أبـــي التنقيـــلا

وقصيدة اخرى له مطلعها: [٢]

مـــعَ مـــا اعانيـــه يُبعـــدي دائمـــاً عـــن بسطـــة المأنوســـة الارجـــاء

ومن فواكهها في قصيدة أخرى[٣].

بالدمنـــة الغـــراءِ مـــن بســـطةٍ ادواحُ أعـــنابٍ تـــروق العيـــون
تلـــونت فيهـــا عناقيـــدها واظهـــرت للـــحسن شـــتّى الفنـــونِ
قـــالوا: هـــي الشـــهدُ لـــدى ذوقِهـــا طيبـــاً، فقلـــتُ: الشّـــهد والله دون

كما له قصائد يحن الى ايام الدراسة، يذكر ايامها ويتحسر ذهابها ويتمنى رجوعها من خلال رساله الى زميله في الدراسة ابن مالك الأليرُي.

٣- التوسل الى الله تعالى والتشفع برسوله الكريم[٤].

---

[١] نفسه : ١٩ .
[٢] نفسه "٢٠، ٢٠ .
[٣] نفسه "٢٠، ٢٠ .
[٤] نفسه : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

يـا مَـنْ عليـهِ فـي السِـراح أُعَـوِّل وإليـــه فـــي تعجيـــله أتوسَـــلُ

انـــتَ المـــؤمَلُ للشـــدائدِ وعليـــكَ فـــي تخفيفهـــا اتوكـــل

٤- وكان يرى ان ذنوباً ارتكبها كانت من اسباب محنته واسره وفي ذلك يقول نادماً على ما اقترف وسائلاً العفو والفرج[١].

ولا تلتفـتْ نحـو الـذنوب التـي مضَـتْ فمنهـــا بلائـــي الان اعظـــم دائـــي

٥- وكان يتمنى الموت على بقائه في الاسر[٢].

المـــوتُ اهـــونُ مـــن أســـرٍ بـــأبرة عنـدَ الـذي ذاقـــه فيهـا مـن النـاسِ

وفي الاسر كانت فتاة نصرانية تخفف عنه تدعى " إلبيرة " وقد تغزل فيها في بعض قصائده[٣].

والصـبرُ فـي اســرها مـا كنـتُ آلفـهُ لـولا اجتلائـي فيهـا حُسـنَ إلبيـرة[٤]

٤- **شعر المدح النبوي:** فن قديم متجدد، ارسى قواعده كعب بن زهير وتبعه شعراء اخرون في بيان مناقب الرسول تعبيراً عن مشاعر الحب والاعجاب والرجاء ومتنفساً ببؤس الحياة الانسانية[٥]، ووسيلة للشفاعة والتقرب من الله تعالى.

واجـــلّ الكـــلام مـــا كـــان فـــي مـــد ح شفيـــع الـــورى عليـــه الســـلامُ

طيَّـــب العَـــرفِ دائـــم الـــذكر لاتـــأ تـــي الليـــالي علـــيه والأيـــامُ[٦]

---

[١] نفسه : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .
[٢] نفسه : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .
[٣] نفسه : ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .
[٤] للمزيد عن هذه القصائد ينظر : البسطي ، آخر شعراء الاندلس : ١٩-٤٠
[٥] فنية شعر المدح النبوي في الاندلس : ١ ، د. عمر ابراهيم توفيق ، دار غيداء / الاردن المجلد /٥ لسنة ٢٠١١ .
[٦] الاغاني ١ : ١٦٣ ، ابو فرج الاصفهاني ، دار المعارف ، مصر

اقدم قصيدة قيلت في مدح الرسول، هي قصيدة الاعشى بعد السنة السادسة للهجرة اثناء صلح الحديبية الذي مهد لفتح مكة، واراد التقرب من الرسول فنظم قصيدة مطلعها:

ألـم تغـتمض عينـاك ليلـة ارمـدا وعـادَك مـا عـاد السّـليمَ المسُـهدا

وان قريشاً صدوه في طريقة وهي قصة مشهورة [1] وفي السنة الثانية عقب معركة الطائف، اسر جمع من قبيلة هوازن، وكان بينهم أبو جرول زهير بن حرد الجشمي، فالقى على الرسول قصيدة نقلها المقري بسند كامل مطلعها: [2]

امـنن علينـا رسـول الله فـي كـرم فانـك المـرء نرجـوه وننتظـر

وتعد قصيدة كعب بن زهير (ت٢٤ هـ) المرتكز الذي بنيت عليها القصائد المدحية في الرسول ولم يزل الشعراء منذ ذلك الوقت الى الآن ينسجون على منوالها ويقتدون باقوالها تبركا بما انشدت بين يديه، والقصيدة تتكون من مقدمة غزلية (١-١٢) ومطلعها: [5].

بانـت سـعاد فقلبـي الـيومَ متبـولُ مُتيـم إثرهـا لـم يُفـد مكبـول

و من و صف الناقة التي تبلغ بالشاعر الى المحبو بة (١٣-٣٣) و من اعتذار ومدح الرسول الكريم (٣٤-٥٨).

انبئـت أن رسـول الله اوعـدني والعفـو عنـد رسـول الله مـأمول

مهـلاً هـداك الـذي اعطـاك نافلـةال قـرآن فيهـا مـواعيظ وتفصـيل

لا تأخـذني بأقـوال الوشـاة ولـم اذنـب وان كـثرت فـيّ الاقاويـل

وحظي الرسول بقصائد حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، وفي ديوان الاول سرد لحادثة " شاة أم معبد [1] ومعظم قصائد المديح النبوي قيلت

---

[1] النفح ٣: ٣١٨ .

[2] ديوان كعب بن زهير ، صنعه الامام ابي سعيد الحسن بن الحسين العسكري ـ تقديم د. حنا نصر الحتي ، دار الكتاب العربي ،بيروت .

بعد وفاته، وما يقال بعد الوفاة يسمى "رثاء "، وفي الرسول مديح لانه موصول الحياة، وان الشعراء يخاطبونه كما يخاطبون الاحياء وان المراد بها التقرب الى الله والاشادة برمزه محمد (صلى الله عليه وسلم) بينما قصائد الرثاء تبنى على التفجع والحزن والبكاء، وللشاعر حسان ثلاث قصائد مراثيه في الرسول الاكرم، وتعد داليته من اكثر القصائد تأثيراً في نفوس المسلمين مطلعها[٢] وكان للمتصوفة الذين برز وجودهم في القرن الثالث في حقبة الجنيد (ت٢٩٧) والحلاج (ت٣٠٩) والشبلي (ت٣٣٤) اثرفي التمهيد لفكرة المديح النبوي في قصائد مستقلة وربطه بالحب الالهي، وظهور مقدمات فيها تشبيب بالارض الحجازية والهوى العذري والاسماء الرمزية، ويعد الشاعر ابو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري (٦٥٦ هـ) من أكثر الشعراء المجيدين في المديح النبوي وكان طويل النفس في قصائده التي بلغت احداها ثمانمائة وخمسين بيتاً ويأتي بعده الشاعر ابو عبد الله محمد بن أبي بكر رشيد البغدادي الشافعي الواعظ (ت٦٦٢هـ) وقصائده الوتريه في مدح الرسول على حروف المعجم[٣] وتعد قصيدة البوصيري من أهم القصائد انتشاراً وذيوعاً ومصدر وحي لكثير من القصائد الاخرى التي امتدت كسلسلة متشابهة الى العصر الحديث[٤].

أما في الاندلس: فان المجتمع الاندلسي وان طغت عليهم مظاهر اللهو، فان صورة الرسول كانت تتلألأ امام اعينهم كباراً وصغاراً ولم تكن بينهم حركات الحادية او زندقة كظواهر عامة مثلما وجدت في الشرق وان الفلسفة كانت مذبوذة لانها تؤدي الى مناقشة الوجود الالهي، وان الفطرة كانت غالبة عليهم وملائمة لمذهبهم المالكي وان الصراع الديني مع الافرنج كان له الاثر الكبير في اضفاء الثبوتية على معتقداتهم، ويعد ابن حزم الاندلسي (ت٤٥٦ هـ) من الشعراء الاوائل

---

[١] ديوان حسان بن ثابت : ق٤٦ ، ق٤٧ .
[٢] نفسه : ق٣٠ .
[٣] معجم المؤلفين : ٩ : ١١٤ ، عمر رضا كحالة ، مط الترقي ، دمشق ، ١٩٥٧ .
[٤] للتفاصيل ينظر : فنية المديح النبوي : ١-٩ .

الذين مهدوا لقصائد المديح النبوي والاشادة بسنته واستعمال عبارة "صلى عليه " في الشعر في قصيدته التي تبلغ عدد ابياتها ثمانين بيتاً [١].

وتبلورت قصائد المديح النبوي بوضوح اكثر واستقلاليته في النصف الاول من القرن السادس للهجرة وللشاعر ابي محمد عبد الله بن السِّيد البطليوسي (ت٥٢١هـ) قصيدة يخاطب فيها مكة المكرمة ويذكر بيت الله الحرام ومبعث واصبح موضوع " الخطايا ومخاطبة الحجيج وارسال التحايا والسلام من اركان هذه القصائد وبهذا يشهد للاندلسيين السبق قبل الصرصري في العراق والبوصيري في مصر، ولأبي عبد الله بن الخصال (ت٥٤٠هـ) قصيدة في المديح النبوي[٣] ويعد ابو العباس بن العريف (ت٥٣٦هـ) أول من قال الشعر النبوي في الاندلس يحمل سمات صوفية، ونقل المقري اشعاراً نبوية له يذكر انه نقلها من كتابه المفقود " مطالع الانوار ومنابع الاسرار "[٤].

وحقّـــكَ يـــا مُحمـــد إنّ قلبـــي يُحبـــك قربـــة نحـــو الالـــه

جـــرَتْ امـــواه حبِّـــك فـــي فـــؤادي فهـــام القَلـــبُ فـــي طيـــب الميـــاه

وله قصيدة اخرى بعنوان " شد الرحال " بصيغة اشراقية مستعملاً إشارات صوفية يمكن تسميته بالحجازيات في مخاطبة مواكب الحج[٥].

شـدوا الرِّحـال وقـد نـالوا المنـى بمِنـي وكُلُهـــم بـــألِيم الشَّـــوق قـــد باحـــا

راحـــتْ ركـــائبهم تنـــدى روائحهـــا طيبـا بمـا طـــاب ذاك الوفـد اشـباحا

نسـيم قبـر النبـي المصطفـى لهـم راحٌ اذا ســـكروا مـــن اجلـــهِ فاحـــا

---

[١] القصيدة كاملة : تاريخ الادب العربي ، سيادة قرطبة ، الملحق ٢٧٠-٢٧٤ ، طبقات الشافعية ٢ : ١٨٤ السبكي ، البداية والنهاية : ١١ : ٢٤٧ ، ابن كثير .

[٢] القصيدة كاملة : القلائد ٢ : ٧٢٩ ، ازهار الرياض ٣ : ١٤٧ .

[٣] فهرسة : ٤٢١ ، ابو بكر بن خيرة ، تاريخ فكر الاندلسي : ١٧٧ .

[٤] النفح ٧ : ٤٩٧ .

[٥] نفسه ٦ : ٦٤ .

كما له قصيدة يفتتح ابياتها البالغة واحداً وثلاثين بيتاً بعبارة " صلى الله عليه وسلم "[1] وهو نمط تكرر لاحقاً في القصائد النبوية، و هو يدعو الله ان يصلي على رسوله ما هطلت السحب بالغيث وتغنى الطير على الاغصان وهو اسلوب سار عليه المتأخرون في الصلاة عليه بعدد الحصى في الارض وزخات المطر، ولم تتضح عنده فكرة " الحقيقة المحمدية " بان الله تعالى اول ما خلق محمدا وبشره بالنبوة و من ثم خلق ادم على صورته وخلق العرش والنور والاولياء من النور المتكاثف و هي الفكرة التي كررها الصرصري بقوله [2].

لـــولاه لـــم يخلـــق ابـــونا آدم وجحـــيم نـــارٍ أو نعـــيم جنـــان

قـــد كـــان آدم طينـــة ومحمـــد يـــدعي نبينـــا عنـــد ذي الاحســـان

واضفاء صفات غير حقيقية على الرسول الكريم حسنة سيئة لاسيما ان الله تعالى خلق آدم اولاً وقدمه على بقية الانبياء في الترتيب الزمني "إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين " [3].

انتعشت قصائد المدح النبوي في عهد الموحدين وبني الاحمر امتداداً للقصائد السابقة ورد فعل على الظروف السياسية السيئة من انحلال وذوبان و خوف على حياتهم من انقضاض عدوهم النصراني عليهم، والتحليق في الاجواء الشعرية بحجازيات يختلط فيها النسيب والشكوى والرجاء، ورفع المعنويات لمقاومة التحدي الخارجي من خلال الاستلهام من مقاومة الرسول الاعظم ومدح الملوك في تمجيد مواقفهم في رعاية المقدسات والدفاع عنها اضافة الى الاستنجاد بالرسول وان الله تعالى لا يتخلى عن دينه وعن عباده المخلصين.

---

[1] نفسه : ٧ : ٤٩٧ .
[2] الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد : ٢٧٩ د. عبد الكريم توفيق .
[3] آل عمران : ٣٣ .

قال ابن خلدون (٨٠٨هـ): " ان الشعر في الربانيات والنبويات قليل الاجادة في الغالب إلا الفحول " [١] لذلك نشير الى اهم الشعراء الذين اجادوا او احتل المديح النبوي المساحة الاكبر من شعرهم.

يعد لأبي زيد الفازاري (ت٦٢٧ هـ) الفضل في رسوخ قصائد المدح النبوي في الاندلس، فله مجموعة شعرية بعنوان " الوسائل المتقبلة والاثار المسلمة في مدح النبي "[٢] وهي مخمسات على الحروف الهجائية من الهمزة الى الياء، وقد اشتملت على عشرين دوراً، فمن قوله في المخمس النوني:

بدا قمرا مسراه شرقٌ ومغربُ وخُصّتْ بمثواه المدينة يثربُ

وكان في سُدرة النور مضرب نجيٌّ لرب العالمين مقرّب

حبيبٌ فيدنو كل حين ويستدني

ويقول ان الرسول الاعظم استضاء المشرق والمغرب بنوره وخصت بها يثرب ويشير الى صعوده السماء في سورة المنتهى ليقترب من رب العالمين.

ولابن سهل الاشبيلي (٦٤٩هـ) عينية في ثمانية وعشرين بيتاً، اشتهرت في بلاد المغرب يتناول اماله وشوقه لزيارة قبر الرسول، ويصف ركب الحجيج وما في صدورهم من الشوق الذي ينعكس عليهم كغصون يانعة او حمامات مسجعة تنم بها مسكاً من مناجاة الرسول، ووصل الشوق به الى مطالبة الحجيج بأخذ قلبه ورميه مع الجمرات [٣].

خذوا القلبَ يا ركب الحجاز فأنني أرى الجسم في اسر العلائق قابعا

ولا ترجعوه إن قفلتم فإنما أمانتكم ألا تردوا الودائعا

مع الجمرات ارموه يا قوم إنه حصاة تلقتْ من يد الشوق صادعا

---

[١] مقدمة ابن خلدون : ١١٠٧-١١٠٨ .
[٢] مطبوع ، دار احياء الكتب العربي – القاهرة .
[٣] ديوان ابن سهل : ٩٩ .

بينما تصدر معاصره ابن الجنّان الانصاري (ت ٦٥٠هـ) الملقب بشاعر المديح النبوي شعراء عصره من حيث غزارة انتاجه وتحتل النبويات والحجـازيات نصف قصائده المجموعة ومعانيه تدور في حب الرسول والتفنن في ذكر مواجده واشواقه وعرض خلاله ومعجزاته والاستشفاع في الدنيا والآخرة، ويكرر مفهوم الصلاة والسلام في أبياته: [١]

صـــلوا علـــى هـــذا النبـــي فأنـــه مَـــن لـــم يـــزل بـــالمؤمنين رحيمـــا

يـــا أيهـــا الراجـــون منـــه شـــفاعة صـــلوا عليـــه وســـلموا تســـليما

وفي القرن الثامن للهجرة اصبح المديح النبوي جزءاً من قصائد المديح في سلاطين بني الاحمر، ولابن الخطيب (٧٧٦هـ) قصائد مدحية مرفوعة يستهلها بمقدمة غزلية قصيرة في النسيب ثم الانتقال الى المديح النبوي ومختتماً بأبيات قليلة في الممدوح، كما له قصائد على شكل رسائل موجهة الى الرسول الاعظم على لسان سلاطين بني الاحمر ومختتماً قسماً منها بنصوص نثرية[٢].

وسار على منهجه الشاعر المعاصر له ابن مرزوق (٧٨١هـ) الذي له قصيدة القاها في المولد النبوي سنة (٧٦٣ هـ) ابتدأها بمقدمة وصفية لروض من رياض غرناطة على غرار قصائد ابن زيدون في الحديث عن لهو في ظل الطبيعة الزاهرة ثم التخلص الى وصف الركب المتجهة الى الديار المقدسة[٣] ولابن زمرك الذي اشرنا اليه سابقاً قصائد كثيرة في المديح كان يقدمها سنوياً في الاحتفال في ليلة المولد النبوي [٤] وللمنتشافري المعروف بأبي الحجاج الحذامي الذي عاصر ابن الخطيب قصائد وكتب في السيرة النبوية[٥].

---

[١] النفح ١٠ : ٢٩٤ .
[٢] المديح النبوي في الاندلس : ١٧ .
[٣] النفح ٧ : ٣١٥-٣٢٢ .
[٤] ديوان ابن زمرك : ١٤-١٦ .
[٥] النفح ٨ : ٢٤٢ .

أما الشاعر ابن جابر الضرير (ت٧٨٠هـ): فقال عنه المقري"وامداحه النبوية في غاية الاجادة " له قصيدة تجمع بين قصيدتي كعب بن زهير والبوصيري بنفحة أندلسية متكونة من مئتين وستة وتسعين بيتاً مطلعها: [١].

بـــادرَ قلبـــي للهـــوى ومـــا ارتـــأى لمـــا رأى مِـنْ حسـنها مـا قـد رأى

يبدؤها بالنسيب ثم يتخلص الى مناجاة المكان وبيان الغرض من تنظيم القصيدة والذي هو التوبة واصلاح ما فاته من الذنوب في حوار داخلي مع النفس، صعوداً بالافتخار بالذات وهبوطاً في الحديث عن الشيب والكبر والدعوة الى التزهد وعرض الخواطر والحكمة باسلوب وعظ عن الجود والبخل والفقر والعلم والجهل والزمن.... والعبرة من التاريخ بتذكر المتلقي بعروش ساسان ومعاوية والمأمون... وتفصيل القول في شمائل الرسول ومعراجه ومعجزاته، كما تحدث عن تفاصيل حجه الى البيت الحرام واكتحال عينيه بنور قبره... وتغلب الوعظية والمباشرة على القصيدة مع كثرة الخواطر والحكم وقلة الصور البيانية والبديعية وغلبة نظام السرد وفيها ضعف العاطفة لطول القصيدة وهي اشبه بشعر تعليمي وأخيراً لا بد الاشارة الى نونية القشتالي وهي في المديح النبوي وشرح الحال وبيان ما في الضمير من الغربة والارتحال، وأورد المقري القصيدة كاملة[٢].

معاني قصائد المدح النبوي: [٣]

١- الحجازيات والشوق لزيادة أرضه الطيبة.
٢- صفات الرسول وخُلقه.
٣- دلائل النبوة.
٤- مدح أهل البيت والصحابة.

طبقات الشعراء

---

[١] النفح ٢ : ٦٦٤ .
[٢] نفسه ٦ : ٣٢٧-٣٤١ .
[٣] للتفاصيل ينظر : فنية المدح النبوي : ١٩-٣١ .

١- الشعراء الموظفون (شعراء البلاط):

وهم الشعراء الذين خدموا كتابا او وزراء في دولة بني الاحمر وكانت مهمتهم التغني بامجاد السلطة وتحرير الرسائل الرسمية لسلطان غرناطة والبحث عن كل لطيف وممتع يمكن تطبيقه في المناسبات الرسمية شأن القوانين الادارية ذات الصبغة الموحدة وطريقتهم كانت طريقة محافظة تتناسب مع حرفيتهم ومكانتهم الادارية لذلك بقي الشعر العربي في تلك الحقبة على شكل واحد لا يختلف بين شاعر وآخر متصفاً بنوع من الجمود قليل الحيوية، كأنه موضوع ضمن مقاييس مقننة او مصبوبة ضمن قوالب مكررة بحرفية بالغة معتمدة على العقل والتعلم، ومن هؤلاء الشعراء: ابن الحكيم الرُندي وابن الجياب الغرناطي الذي كان رئيسا لديوان الكتابة طيلة خمسين عاماً ولسان الدين ابن الخطيب وابو الحسن النباهي وابن زمرك وابن فُركون الذي كان مادحاً ليوسف الثالث وابن عاصم الذي كان يكتب قصائده بألوان ثلاثة من المداد الاسود والاحمر والاخضر وله قصيدتان وموشحتان بذلك التنوع واخيراً الشاعر محمد بن عبد الله العقيلي، المعروف بالعربي الذي كان مادحاً لابي عبد الله الصغير اخر سلاطين بني الاحمر ويمثل ابن الخطيب خير من يمثل تلك الحقبة: -

١- **لسان الدين ابن الخطيب:** هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني المعروف بابن الخطيب، من اشهر اعلام القرن الثامن للهجرة لمنزلته السياسية التي تحققت له وتنوع شخصيته العلمية وغزارة نتاجه على مستوى العلوم الانسانية المتنوعة.

ولد في مدينة لوشة سنة (٧١٣هـ)، مارس جده الادنى التعليم والتدريس فغلب عليه لقب"الخطيب " ورثه فيه ابناه، وكان ابوه يشغل منصباً ادارياً في دولة ابي الوليد اسماعيل، لذلك نشأ في غرناطة، واخذ علومه على يد أكابر علماء عصره[١] وحين توفي ابوه سنة (٧٤١هـ) خلفه في ديوان الانشاء و كان يرأسه الشاعر ابو

[١] اللمحة البدرية : ٢١ ، الاحاطة ٤ : ٤٥٨ .

الحسن بن الجياب وزير السلطان ابي الحجاج يوسف بن اسماعيل (٧٣٤-٧٥٥هـ) ثم خلفه بعد وفاته واصبح رئيس الكتاب ورئيس ديوان الانشاء وانعم عليه السلطان لقب الوزارة، تألق نجمه وعظمت منزلته، ودخل معترك السياسة، واحترق بنارها، غادر الاندلس الى المغرب لاجئا، واحرقت كتبه سنة ٧٧٣ هـ ثم سجن في المغرب بأمر سلطان بني الاحمر وقتل في السجن سنة (٧٧٦للهجرة)، كما توضح لدينا عند حديثنا عن تلميذه ابن زمرك[١].

أثاره ومؤلفاتــه: بلغت ستين كتاباً وكراسة وصل منها ثلثها[٢] ويمكن تقسيمها الى:

أ – النثر التأليفي ويتجه معظمه نزعة موسوعية او رسالة موجزة، تاريخية وعلمية، منها "الاحاطة في اخبار غرناطة "، التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى، الكتيبة الكامنة في من لقيته بالاندلس من شعراء المئة الثامنة، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، نفاضة الجراب في غلالة الاغتراب، اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام، طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر، الاكليل الزاهر فيمن فصل عند نظم الجواهر، عائد الصلة، و"الاماطة عن وجه الاحاطة "....

ويتميز كتاباته التاريخية بان التاريخ عنده رواية واداة لتدوين السير والاعتبار بالحوادث الماضية واخذه بالمنهج النقدي والمنهج الاجتماعي في دراسة التاريخ والتثبث والتحقيق في حوادثه[٣] خلف مجموعة من المؤلفات العلمية وهي

---

[١] للمزيد عن حياته ينظر : لسان الدين بن الخطيب ، حياته وتراثه الفكري ، محمد عبد الله عنان ، مط الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، النفح : ق٢ ، كتاب " العبر .. ابن خلدون ، نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان ونثير الجمان في شعر من نظمني واياه الزمان لابي الوليد بن الاحمر ، تحقيق : محمد رضوان الداية ، وبغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، لابي زكريا يحيى بن خلدون (ت٧٨٠هـ) .

[٢] لسان الدين ابن الخطيب : ٢١٦ .

[٣] لمعرفة مؤلفاته ينظر : كتابه معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق : د. محمد كمال شبانة الفصل الاول : حياته واراء المستشرقين عنه والفصل الثاني : تراثه الفكري ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢ .

رسائل في الطب والأغذية وعلاج السموم، ومنها رسالته عن وباء الطاعون وارجوزة في اصول الفقه وأخرى في العروض وثالثة في فن السياسة[١].

مؤلفاته الشعرية: له ديوان بعنوان " الصيب والجَهام والماضي والكهام " اذلا يحتوي الديوان على اشعاره جميعاً، لوجود مجموعة ضخمة منها في الجزء الرابع من كتاب الاحاطة لم ترد في الديوان، كما له مجموعات شعرية مختارة منها: كتاب السحر والشعر كما ورد في النفح[٢] وكتاب جيش التوشيح الذي يعد اوسع مجموع شعري للموشحات، ومجموعتان شعريتان مفقودتان من شعر استاذه ابن الجياب ونثره ومن شعر ابي جعفر بن صفوان المالقي[٣].

شاعريته: كان من ذوي المواهب المزدوجة وجمع بين ملكتي الشعر والنثر، وتناول الاغراض الشعرية من المديح والغزل والزهد والتصوف والمدح النبوي، وله مساهمات واسعة في ميدان الزجل والتوشيح[٤].

أغراضه الشعرية

١- المديح:

ممدوحه الاول هو ابو الحجاج يوسف بن اسماعيل، وله تسع واربعون قصيدة مرفوعة اليه في الفي بيت بمناسبات مختلفة كالتهنئة بعيدي الفطر والاضحى او الاحتفال بالمولد النبوي وقدوم نوروز وازدياد مولود وتعزية بمفقود والتهنئة بالبيعة، ويمكن ان نعد قصائده سجلاً حافلاً للوقائع السياسية والعسكرية لتلك الفترة، وممدوحه الثاني هو محمد الغني بالله الذي خلف اباه، وقد نظم قصيدة دالية في اربعين بيتاً يهنئه ببيعته سنة ٧٥٥هـ [٥].

---

[١] لسان الدين : ٢٢٠ ، الادب الاندلسي: ٢٢٩ منجد .
[٢] النفح ١ : ٧٦ .
[٣] لسان الدين : ٢٨١ .
[٤] تناول شاعريته رسالتان جامعيتان ، دراسة وتحقيق ديوانه ، د. محمد الشريف قاهر وشعر لسان الدين بن الخطيب وخصائصه الفنية ، وهاب سعيد الامين ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ .
[٥] الديوان : ق : ١٧٣ .

إمـــام هـــدى مـــن آل ســـعدِ نجـــاره ونصـــر الهـدى ميراثــه لنبـي سـعد

غمـــام النـــدى جـــاد الـــبلاد فاصـــبحت تجـرر ذيـل الخِصـب والعيشـة الرغـدِ

مـــن النفـــر الوضـــاح والســـادة الألـــى يغيثـون فـي الجـلى ويوفـون بالعهـدِ

٢- الغـزل:

غالباً ما يرد في مقدمات قصائده المدحية، وله عشر قصائد مستقلة في الغزل الخالص منها قوله[١].

يـــا حبيبـــاً مَـــن لعينـــي أن تـــراه قـــد رمـــى حبُـــك قلبـــي وبـــراه

لـــم يـــدع هجـــرك لـــي مـــن رمـــق آه ممـــــا فعـــــل البـــــين وآه

يـــا لقَلبـــي كلّـــما هَبَـــتْ صَـــبا شـــفه الوجـــد لأيـــام صـــباه

يـــا نســـيم الريـــح بلـــغ خبـــري إن اتيـــتَ الربـــعَ أو جئـــت حِمـــاه

ولقـــد كنـــتَ صـــبورا إنـــما صـــدعَ البيـــن فـــؤادي وكـــواه

جـلّ مـا ألقـاه مِـن فـرط الجـوى حســـبي الله، فـــلا ربّ ســـواه

٣- الشعر الديني:

تغلب المسحة الدينية على قصائده، فهو رجل ورع تقي له قصائد زهدية ونفحات صوفية، وقصائد في المدح النبوي، وقد اشرنا الى ذلك في موضوع المدح الذبوي، كما له قصائد في الرثاء والاخويات ومقل في الهجاء لعدم التناسب مع شخصيته وفي كتاب الاحاطة، له مقطعات كثيرة متنوعة وقد استهلها بقوله " المقطوعات المشتملة على الاغراض العديدة " [٢] ولم يرد معظمها في الديوان.

نثـره: قال المقري " اما نثره فهو البحر الزخار، بل الدر الذي به الافتخار "[٣] ونثره الفني يتخلل نثره التأليفي ويتجلى في مقدمات كتبه وفي سياقها ومن ذلك ما كتبه في مقدمة كتابه " معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار " " بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، الحمد لله الذي انفردت صفاته بالاشتمال على اشتات الكمال والاستقلال باعباء الجلال، المنزه عن احتلال الحلال، المتصفة

---

[١] الديوان : ق : ٣٤٧ .
[٢] الاحاطة ٤ : ٤٩٧-٥٢٥ .
[٣] النفح ٦ : ١٦٤ .

الخلال بالاختلال، المعتمد بالسؤال لصلة النوال، جاعل الارض كسكانها متغايرة الاحوال، باختلاف العروض والاطوال، متصفة بالمحاسن والمقابح عند اعتبار الهيئات والاوضاع والصنائع والاعمال، على التفصيل والاجمال، فمن قام خيره بشره دخل تحت خطة الاعتدال، ومن قصر خيره عن شره، كان أهلاً للاستعانة والاستبدال،

ومن أربى خيره على شره وجب اليه شد الرحال، والتمس بقصده صلاح الحال... "[1].

وتحتل رسائله الدبلوماسية (السلطانية والديوانية) حيزاً كبيراً من مساحة نثره الفني لانه تولى رئاسة ديوان الكتابة وكانت دولة بني الاحمر تمر بأيام صعبة، وكانت مهمته عسيرة وتحتاج الى دراية ودبلوماسية وقد اورد المقري رسائل مطوله له، ومنها رسالة كتبها عن سلطان الاندلس الغني بالله الى سلطان مصر احمد بن الناصر قلاوون يشرح فيها احوال الاندلس الصغرى والمخاطر الخارجية التي كانت تهددها ونصها " الابواب التي تُفتَح لنصرها أبواب السماء، وتُستدر من آفاقها سحاب النعماء، وتجلى بانوار سعدها دياجي الظلماء، وتُعرَّف نكرة البلاد والعباد بالانتساب الى محبتها والانتماء، على اختلاف العروض وتباين الحدود وتعدد الاسماء... أبواب السلطان الكبير، الجليل الشهير، الطاهر الظاهر، الاوحد الاسعد، الاصعد الامجد الاعلى العادل، العالم الفاضل الكامل.... " [2]

ويلاحظ الاسراف في السجع والإيغال في الصنعة، وكثرة الالقاب السلطانية التي تزيد أحياناً عن ثلاثين لقباً، الاطالة والاطناب الى حد الملل، وفي التحميدات اتى باربع وعشرين سجعة على حرف واحد، وهو غير جائز في النثر، كما وله رسائل اخوانية مع ابناء عصره من العلماء والادباء منها المراسلة التي جرت بينه وبين الاديب ابن خاتمة الانصاري (٧٧٠ هـ) وقد نشر المقري في ازهار الرياض نص

---

[1] معيار الاختيار : ٧١ .
[2] النفح ١ : ٣٠٠ .

الرسالة والجواب[١] وهي تختلف عن الرسائل السلطانية واقل مبالغة منها، ولابن الخطيب مشاركة في ادب المقامات، اذ وردت مقامة له باسم " مقامة السياسة " في القسم الاخير من كتاب الاحاطة[٢] ومقامة خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف وهي عبارة عن مشاهداته الاندلس[٣] وكتاب معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار وهو اشبه بالمقامات من حيث الاسلوب في وصف مشاهداته في رحلته الى شمال افريقيا[٤]، واتبع طريقة المقامة اسلوباً وروحاً ووصفاً ومزجاً بين النثر والشعر، وبطله شيخ وقور معروف بالاستقامة والراوي هو نفسه لانه اتبع اسلوب السرد، وما جاء في معيار الاختيار في وصف البلدان[٥]، " قال: ضمني الليل وقد اسدل المسح راهبه، وانتهب قرص الشمس من يد الامس ناهبه، ودلفت جيوش الحبشية كتائبه وفتحت الازهار بشط المجرة كواكبه وجنحت الطيور الى وكونها، وانتشرت الطوافات بعد سكونها، وعوت الذئاب فوق هضابها ولوحت البروق ببيض عضابها، وباهت الكف الخضيب بخضابها، وتسللت اللصوص لانتهاز فرصها، وخرجت الليوث الى قسمها وحصصها، في مناخ رحب المنطلق، وثيق الغلق.... فلما ارحت الكلفة واقضمت جوادي العلفة وأعجبتني من رفقاء الرفق الألفة، رمقت في بعض السقائف آمنا في زي خائف، وشيخاً طاف منه بالارض طائف... حتى اذا اطمأن حلوله، واصحب ذلوله وترد الى قيمّ الخان زغلوله، واستكبر لما جاءه بما يهواه رسوله، استجمع قوته واحتشد ورفع عقيرته وانشد:

اشكـــو الـــى الله ذهـــاب الشـــباب كـــم حســـرة اورثنـــي واكتئـــاب

ســـدّ عـــن اللـــذات بـــاب الصـــبا فـــزارت الاشجـــان مـــن كـــل بـــاب

---

[١] ازهار الرياض ١ : ٢٦٧ .
[٢] الاحاطة ١ : ٦١٤ .
[٣] مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ .
[٤] معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار ، تحقيق ودراسة محمد كمال شبانه ، مكتبة الثقافية الدينية ، القاهرة ٢٠٠٢ .
[٥] نفسه : ٧٣ .

وغربـــة طـــــالتْ فمـــا تنتهـــي موصـــولة اليـــوم بيـــوم الحســـاب

وشـــر نفـــــس كلمـــا هملجـــت فـــي الغـــي لـــم تقبـــل خطـــام المتـــاب

يـــا رب شفـــــع فـــي شـــيبي ولا تحرمنـــي الزلفـــى وحســـن المـــآب

..... " [1].

**** *

٢- **شعراء غير الموظفين:**

لم يكن شعراء غرناطة جميعهم موظفين، فقد كان منهم من يكتب لهواية للاستمتاع به، وكان أحياناً يولعون بألغاز شعرية او يتناولون موضوعات جادة بعيدة عن معنى اللذة واللهو الذي امتاز به الشعر الاندلسي قبل العصر الغرناطي، وكان موضوع الفناء والعدم وفكرة زوالهم وفنائهم والاشارة الى ظهور الشيب كما بينا في مقامة ابن الخطيب من الموضوعات المتكررة عندهم، او بلوغ العمر اربعين او خمسين سنة علامة الفراق للدنيا كما ظهر عند البسطي وغيره في موضوع زوال الشباب والحياة، لذلك يمكن القول ان الشعر في تلك الفترة للظروف السياسية القاسية والخوف من المستقبل كان خالياً من البهجة على الرغم من وجود الصنعة الفنية الفائقة، وكان الشعر الصوفي والزهد والمدح النبوي والرثاء اضافة الى مدح السلاطين من الموضوعات التى طغت، وقد حاولوا سد الفراغ بابتكار ألغاز شعرية كالتوريات أو شعر مزدوج او ثنائي الدلالة فيما يمكن تسميته باللعب بالالفاظ ومن شعراء تلك الفترة: ابو حيان الاندلسي وابن مرجل المالقي والبسطي وابن خاتمة والعربي والقلصادي والسلطان يوسف الثالث وكانت المرارة على السنة معظمهم كما في قول الاخير وهو يصور حسرته على ثغور الاندلس وفرسانها: [2]

---

[1] ذلوله : دابته سهلة القياد ، زغلوله : غلام الخفيف السريع ، هملجت : المشي .

[2] ديوان يوسف الثالث: ٢٣ .

لهـف نفسـي علـى الثغـور تخلـت فهـي صـغر مـن الكمـاة الحمـاة
وانـاس علـى المعاصـي جهـاراً قـد أبـاحوا حريمنـا للعـداة
لسـت للصـيد مـن خلائـف نصـر يـوم اهنـأ بسلـم تلـك العتـاة

أو حسرة البسطي بعد معركة غير متكافئة قوله: [1].

لمصـاب أنـدلس تصـوب الأدمـع ولمـا جـرى فيهـا تـذوب الاضـلع
فلهـا مـع الأعـداء حـال تفـزع تقضـي بحسـرة مـن يـرى او يسـمع

وتكاد مهجتـه له تتصدع

جـار الزمـان علـى جميـع جهاتهـا فأبـاح حرمـة أهلهـا لعـداتها
اتـرى الألـه يقيلهـا عثراتـها ويزيـل مـا هـي فيـه مِـن غمراتهـا

بدنو نصر بالفتـوح يشفع

فلقـد احـال عدوهـا أحوالهـا حـين الخطـوب أذاقهـا اهوالهـا
وافـاض فـي اقطـارها إذلالهـا لمـا أبـاد بلـورق ابطالهـا

يوم العروبـة كان فيه المصرع

ابن خاتمة الانصاري (ت ٧٧٠هـ): هو ابو جعفر احمد بن علي بن محمد بن خاتمة الانصاري ولد سنة (٧٢٤ هـ) في مدينة المرية، و هو شاعر وكاتب ومترسل وفقيه وزاهد، له مؤلفات عدة منها " مزية المرية على غير ها من البلاد الاندلسية " وديوان شعر جمعه وخطه بنفسه[2] وفيه مو شحات حسنة بديعة، و له باع في فن التوريه، جمع ما قاله تلميذه ابن زر وجعله بعنوان " رائق التحلية في فائق التورية " له مراسلات شعرية مع الشاعر ابن جزي الكلبي، منها قصيدة من اربعة وعشرين

[1] البسطي : ١٧٢ .
[2] ديوان ابن خاتمة الانصاري،تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، وزارة الثقافة،دمشق ١٩٧٢.

بيتاً خالية من حرف الراء لان شاعرنا كان يلثغ فيجعل الراء غينا منها ما ارسله اليه فأجابه ابن خاتمة بقصيدة زائية خالية من الراء يقول فيها: مطلعها: [1]

مــزج البلاغــة بالجزالــة مــوجزاً واتــى بــه فــي ا لحسـن بـدعاً معجـزاً

عـاش فـي القـرن الثـامن للهجـرة المتسـم بنـوع مـن الاطمئنـان بعـد التعـاون العسكري الذي كان بين دولة بني مرين في المغرب ودولة بني الاحمر في الاندلس، ، واشتهر شاعرنا بقصائده الغزلية التي استوحاها من طبيعة منطقة مرية المزينة بازهار الاندلس ومياهها، وله في ذلك تسع واربعون قصيدة مرتبة حسب الطول، و هي قصائد تجمع بين الوصف والغزل، وقال عنها محقق الديوان " غزله رقيق المعاني، رشيق العبارة، يدل على قدرة الشاعر وموهبتــه وتمكنه من الصنعة "[2] وقدرته في توظيف الحواس كالعين والسمع واللمس والشم والذوق، وله وقفات مع العيون [3].

فـانْ خـفّ خطـوُ الـوهم عـن حـدِّ طـوره فـثمَّ سِهــام اللحـظِ عـن كثـب تُـردي

وا ين ضراب السيـف من لحظِ ناظرٍ وأنّ طِعـانَ الرمــحِ مِـن قـائم النَّهـدِ

أو قوله[4]:

أكــلُّ شــاكٍ بــداء الحــبِّ مضــناك مــاذا جَنَتْــهُ علــى العشــاق عينــاكِ

قد كان لي عن سبيل الحب مُنصرفٌ حــتى دعــوتِ لــه قلبــي فلّبــاكِ

وقد وظف القمر والبدر والشمس في قصائده الغزلية، اذإن حبيبته في معظم قصائده تشبهه او تتفوق جمالاً وهو يستنير من سناها في الليل ولاسيما عندما تخلع

---

[1] اعلام المغرب والاندلس : ١٧٩ .
[2] ديوانه : ١٨ .
[3] نفسه : ق٥ .
[4] نفسه : ٢٠٣ .

النقاب عن وجهها، فيلوح جمالها تماماً كما يلوح البدر من وراء السَّحاب في ظلمة الليل.

****

الفصل الرابع

الفنون الشعرية

- شعر الطبيعة
- المعارضة في الشعر الاندلسي
- تعدد القوافي
- الزجل
- الموشحات
- اثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوربي

الفصل الرابع

الفنون الشعرية

شعر الطبيعة

تعد بلاد الاندلس من البقاع الجميلة، وقد وهبها الله تعالى من جمال وخضرة واعتدال وكثرة الانهار والينابيع والجبال والارض المنبسطة الخضرة، لذلك قال ابن سعيد " انها جزيرة قد احدقت بها البحار فاكثرت فيها الخصب والعمارة من كل جهة، فمتى سافرت من مدينة لاتكاد تنقطع من العمارة ما بين قرى ومياه ومزارع... وان قراها في نهاية الجمال لتصنع اهلها في أوضاعها وتبييضها لئلا تذبو العيون عليها... وكانت فيها أربعة أنهار طويلة تصب في المحيط وأربعة أنهار تصب من البحر المتوسط، وأضفت هذه الانهار الخضرة الدائمة والهواء المعتدل، وكانت اكثرها صالحة للملاحة، تصعد عليها القوارب بين المدن المختلفة للنقل والنزهة وعلى متنها اعالي القوم ليتمتعوا بجمال الطبيعة ومفاتنها وما بها من الروعة والسحر، وغالباً ما كانت جلسات الطرب والشرب تعقد عليها في ليالي الصيف وتحت اضواء القمر ولمعان النجوم، كما كانت تتميز بكثرة المرتفعات مع تعدد مساقط المياه، ووجود انهار جوفية قد تطفو على سطح في بعض المنخفضات مكونة بحيرات جميلة، قد ينصب عليها النواعير فيحيلها الى جنة خضراء لذلك قال ابن خفاجة[1].

يـــا أهـــل أنـــدلس لله دَرّكـــم ... مـــاءٌ وظـــلٌ وانهـــارٌ وأشـــجارٌ

مـــا جنـــة الخلـــد إلا فـــي ديـاركـــم ... ولـــو تخيـــرت هـــذا كنـــت اخـــتار

لا تخشـــوا بعـــد ذا ان تـــدخلوا ســـقراً ... فـــليس تـــدخل بعـــد الجنـــة النـــارُ

[1] ديوان ابن خفاجة : رقم ٣٠١ .

لذلك استحوذ جمال الاندلس على حواسهم وجوارحهم، واصبحت الطبيعة الملهم الأول لهم، والباعث الأكبر على الإبداع، وان جمالها ومفاتنها أجبر الاندلسي ان يتلاحم معها وان يرهف إحساسه ويحس بالجمال، فأصبحت الطبيعة شغل الناس جميعاً خاصتهم وعامتهم، وكانت الشخصية الاندلسية تذوب وتتلاشى كلما التقت بالطبيعة وتدفعها الى الاستجابة والاستمتاع بها.

وقد ملأت الطبيعة النفوس وسحرت المشاعر وسيرت الطباع وهذبت النفوس وغلفتها بالفرح والفكاهة وغذتها بطرق العيش والمتعة والتسلية في عامة الناس، فان الشعراء هم اصحاب الحس الرهيف والذوق الرفيع والخيال الخصب كانت استجابتهم لجمالها ومفاتنها وسحرها اشد، فأصبحت الوسادة الخضرة والروح النفاذة الى مخيلتهم لذلك هامت بها نفوسهم وتعلقت بها قلوبهم.

ومن جانب آخر ساهمت الطبيعة في تنامي الحياة اللاهية والمرح والفكاهة وفي ربوعها استسلم الشعراء للهو والحب والخمر واخذوا يصورون مجالسها في اطار الطبيعة ممزوجة بالعبير والاصباغ والالوان في كل بهجة ونشوة مع الجواري المائسات الجميلات اللاتي يتصفن بسحر وجمال واناقة، وقد ابدع الخالق وتفنن العبد.

لذلك قال ابن خفاجة[1]:

فمـــا الأُنـــس إلا فـــي مجـــاج زجاجـــةٍ ولا الـــعيش إلا فـــي صـــرير ســـريرِ

وانـــــي وان جئـــتُ المشـــيبَ لمولـــعٌ بطّـــرة ظـــلٍ فـــــوق وجـــه غـــديرِ

لذلك عرفوا برقة الطبع وخفة الروح واشاعة النكتة وكثرة المزاج والميل الى الحياة اللاهية على الرغم من الظروف الصعبة والحروب التي تتطلب الحياة الجادة، والجدة والتجلد، وروي ان المعتمد بن عباد في آخر ساعة من سلطانه كان

[1] ديوان ابن خفاجة : ١٨١ .

يتجرع الخمر مع جارية فاتنة له وقوات المرابطين يقتحمون قصره، ويخرج اليهم للقتال بالملابس الاعتيادية.... ويقتلهم ويكسر سيفه ويقتل ابنه ويستسلم، لذلك كانت وبالاً عليهم وصدق الشاعر في وصف ملوك الاندلس قوله[1].

أرى الملـــوك أصـــابتهم بأنـــدلس دوائـــر الســـوء لا تبقـــى ولا تـــذر

وكيـــف يشـــعر مَـــنْ فـــي كفـــه قـــدح يحـــدد بـــه ملهيـــاه النـــاي والـــوتر

قال احد الباحثين ان الأندلسيين تفوقوا في ألوان ثلاثة وهي شعر الطبيعة وشعر الحب والشعر الحزين[2].

وكانت للطبيعة أثرها في الاتي: -

١- من العناوين التي اختاروها لكتبهم فمن ذلك: الحدائق لابن فرج الجيابي (٣٦٦هـ) وحديقة الارتياح في صفة حقيقية الراح لابي عامر بن مسلمة، وكتاب الحديقة لامية بن أبي الصلت الحكيم (ت٥٢٩ هـ) والطير ليوسف بن هارون (٤٠٣ هـ) والبديع في وصف الربيع لابي الوليد الحميري (٤٤٠هـ) والروض المعطار في خبر الأقطارلابن المنعم الحميري (ت٧٢٧هـ)، وروضة التعريف بالحب الشريف لابن الخطيب، ونفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، وازهار الرياض في اخبار عياض وروضة الآس العاطرة الانفاس للمقري التلمساني (ت١٠٤١).... وغيرها.

٢- تسمية الحرائر والجواري والبنات باسماء الزهور، ومن هذا ما روى ان المنصور بن ابي عامر سمى بناته باسماء الزهور، فنظم الشعراء في وصف الزهور لبيان فضيلة كل نوع منها، وهم في هذا يحاكون خصائص بنات المنصور.

---

[1] ابو الحسين بن الجد ، البيان المغرب ٣ : ١١٠ .

[2] قضايا اندلسية : ١٣١ ، د. بدير متولي حميد ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٣- مطالع القصائد، فقد خرجوا على العرف السائد بالوقوف على الاطلال في مطالع القصائد واستهلوها بشعر الطبيعة.

٤- امتزاج شعر الطبيعة بالاغراض الشعرية كافة، وقلماّ نجد شاعراً في غرض معين لا يأتي الى وصف الطبيعة او توظيفها في قصيدته، ولنا في ذلك قصيدة ابن زيدون التي مطلعها [١]: -

أنـــي ذكـــرتك بالزهـــراء مشـــتاقا والافق طلق ومرأى الارض قد راقا

والـروض عـن مائـه الفضـي مبتسـمٌ كمـــا شـققتْ عـن اللبـــات أطواقـا

نلهـو بمـا يستمـيل العـين مـن زهـرٍ جـال النـدى فيـه، حتـى مـال اعناقـا

كـــأن أعينـــــه اذ عاينـــت أرقـــي بكـت لمـا بـيّ، فجـال الـدمع رقراقـا

ولم تختلط الطبيعة فقط في الغزل، بل بالاغراض الاخرى مثل الرثاء والزهد، فابن خفاجة قال قصيدة في رثاء ابن اخته، وقد مات بعيداً في الغربة يصف حاله وما يعانيه من الألم والعذاب من أثر الفجيعة ويستعير من الطبيعة للتعبير عن الحزن والحسرة[٢].

كـــأن لهيبـــاً بـــين جنبـــي واقـــداً بـــه وركايـــا بـــين جفنـــي تُمتـــحُ

ترانـــي اذا أعولـــت حزنـــاً حمامـــة تُـــــرنُ وطـــوراً ايكـــةٌ تتـــرنّحُ

غريقـاً ببحـر الـدّمع والهـم والـدجى ولـو كـان بحـراً واحـداً كنـت اسبحُ

وقصيدة أخرى ، شاركت الطبيعة ابن خفاجة في مصابه فبدت مظلمة وضيقة كنفسية الشاعر من جراء الفواجع[٣].

فـاظلم قَـرن الشـمس وهـي منيـرةٌ وضـاقت بـلاد الله وهـي رحـاب

---

[١] ديوان ابن زيدون : ١٣٩ .
[٢] ديوان ابن خفاجة : ٢٦٧ ، ركايا : بئر ماء .
[٣] نفسه : ٢٢٥ .

٥- تشخيص مظاهر الطبيعة، وقد نظروا اليها كأنها حية تشاطرهم الحياة فشخصوا الامور المعنوية، فلابن خفاجة رائعة مشهورة، اعجب النقد الحديث بها، لذلك قيل أنها معجزة ابداعه، يقف الشاعر أمام الجبل يبدؤها بالحكمة والاعتبار، وبصور حالته النفسية واضطرابه حتى يبلغ البيت العاشر فيصف الجبل: [1].

وارعـــنَ طمـــــاح الذؤابـــة بـــاذخ يطـــاول اعنـــان السمـــاء بغـــاربِ
يسـد مهـب الـريح عـن كـلّ وجهـةٍ ويزحـــمُ لـــيلاً شهبـــه بالمناكـــبِ
وقـــور علـــى ظهـــر الفـــلاة كأنـــهُ طـوال الليـالي مطـرُقٌ فـي الـعواقبِ
يلـوث عليـه الغـيمُ سـودَ عمـــائمٍ لهـا مـن ومـيض البـرَق حمـرُ ذوائـب
أصـخت اليـه وهـو اخـرسُ صامـتٌ فحـدثني ليـلُ السـرى بالعـــجائب

شخص الجبل بسبعة عشر بيتاً، فيصفه بالشموخ وعلو المغارب ويزاحم النجوم ليلاً ويسد الريح من كل جهة، فيه الوقار والاتزان والتفكير في العواقب، وهو جالس على ظهر الفلاة، إنه صورة كاملة لشيخ وقور حكيم مجرب جاعلاً من السحاب الداكن عمامته ومن وميض البرق ذوائب تداعبها الرياح، فأنصت اليه رغم أنه اخرس فأخذ يحدثه بكلمات شجية قريبة من نفس الشاعر وبنبرة اسية حزينة عن سنة الكون وناموس الحياة وعن العجائب التي مرّت عليه، ومن لجأ اليه من فاتك قاتل

---

[1] ديوان ابن خفاجة : ق١٦٤ ، الذخيرة ١/٣ : ٥٨٧ .

ارعن : الاهوج في منطقه / طماح : الجبل الطويل الشديد النتوء ، المناكب : جمع منكب : اجتماع رأس الكتف بالعضد ، يلوث : يلف ، ذوائب : اطراف ، اصخت : اصغيت ، ليل السرى: طول الليل ، وفي ترجمة : ابن خفاجة ، ينظر : القلائد : ٢٣١، المغرب ٢٦٧/٢ ، المطرب : ١١ التكملة : ١٧٥ ، معجم الصدفي : ٥٩ ، المطمح : ٨٦ ، والبغية : ٢٠٢ ، وفيات الاعيان ٥٦/١ ، والخريدة ٢: ١٤٧ ، ومقدمة ابن خلدون : ١٣٠٨ ومقدمة ديوانه ، تحقيق سيد غاري، ورسالتنا في الماجستير " شعر الطبيعة بين ابن الرومي وابن خفاجة " دراسة موازنة ، جامعة صلاح الدين – العراق ، ١٩٩٤ : ٤٠-٤٩ .

ومن تواب صالح، ومن استراح بظله، وما لقيّ من نكب الرياح وهطول الامطار، وأخيراً تمادى في الاندماج والاستغراق فأخذ يحدثه، كأنه هو ابن خفاجة – عن همومه وشكواه من فراق الاحبة وكيف طوتهم ريح النوى والنوائب، وبلغ به الانفعال والعنفوان في الاثارة بان ما يسمعه من خفق الرياح هو رجفة اضلع من دقات قلبه، وما يسمعه من نوح الحمام إلا صرخات نعي وندب في رثاء احبابه وما يراه من جفاف وشحة من الحياة بسبب ما استهلكه من الدمع في فراق الاصحاب، ويغلب عليه رهبة الموت ودنو الاجل وشقاء الانتظار، وأخذ يتساءل الى متى سيبقى ثابتاً من مكانه، وما حوله من رحيل من غير عودة، والى متى يراقب النجوم والكواكب في سهر طويل كل ليلة، فأخذ كاي رجل بلغ من الكبر ان يدعو مولاه ان يمده برحمته بعد ان يئس من الحياة في سأم وضجر وعجز. وقد حرص ابن خفاجة في هذه الصور ان يصور معاناته بطريقة غير مباشرة في اتحاد مع الجبل في عرض لموضوع الفناء والعدم باسلوب قوي جزل بحيث اصبح الجبل منطلقاً لأفكاره ودفين مشاعره.

والقصيدة في بحر الطويل " فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن " وحرف الروى " ب" مؤسسة دخيلة، وحركة الدخيل كسرة، وعاطفية ذاتية إنسانية مصدرها نفسيته القلقة جراء الشيخوخة وايمانه بتفاهة الحياة بعد ان اصابه الوهن والضعف ورحيل اقرانه واشتمل خياله على كثير من الصور البيانية والمحسنات البديعية في اغلب الابيات متوجاً قصيدته بتشخيص الجبل على أنه شيخ جليل مهيب وقور حكيم، واسلوبه جزل فخم العبارات له طنين وجلجلة والفاظه ذات الجرس القوي والوقع الشديد مع استعمال الفاظ حوشية كما في البيت الاول، واحاط قصيدته بغلاف وصفي في وصف مظاهر الطبيعة من الريح والليل والغيم والبرق... والمؤشرات الزمانية

والمكانية اضافة الى اضفاء الصفات الشخصية مثل وقور، مطرق، اخرس، صامت.... [1].

أنواع الطبيعة: -

١- **الطبيعة الصامتة:** الروض والشجر والازهار والورود والثمار والفصول والربي والبطاح والتلول والجبال والانهار والبحر والغمام والمزن والندى والسيل والبرد والثلج والبرق والرعد والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار.....

٢- **الطبيعة الحية:** الحيوانات والحشرات والطيور، ولنا في ذلك مقطعة لابن شهيد في وصف نحلة: [2]

وطائرةٌ تهوي كأن جناحَها ضميرٌ خفي لا يحدده وهمُ

ملازمةٌ للروض حتى كانما لها كلّ ما تفتر عنه الربى طُعم

تمج بفيها الشهد صرفا ويختفي لمشتاره ما بين أحشائها سهم

٣- **الطبيعة الصناعية:** القصور والابنية والاحواض الصناعية والتماثيل والحمامات والادوات مثل السيف والرمح... والطعام والشراب... والآلات مثل دواليب المياه، والاساطيل والسفن... في حقبة كان الاهتمام بمظاهر الدنيا في غاية عظمتها ولاسيما القصور وما فيها من البرك والتماثيل والصور وما يحيط بها من الترع والبساتين والاشجار والانهار ولابن حمديس الصقلي (ت٥٢٧هـ) [3] قصيدة في وصف قصر ببجباية نقل المقري خمسين بيتاً منها، وتعد من اروع قصائد الوصف وقال عنها " لم أر

---

[1] للمزيد عن تحليل هذه القصيدة : ينظر : التحليل اللغوي الاسلوبي لبائية ابن خفاجة : د. جمعة شيخة ضمن كتاب "القيروان وامامها سحنون " تونس : ٢٠٠٩ .

[2] ديوان ابن شهيد : ق : ٦٠١ .

[3] ترجمة ابن حمديس : ينظر : مقدمة ديوانه .

لهذه القصيدة من نظير " [1] يبدأ القصيدة بالدعاء ومن ثم ربط فخامة القصر بمقام الممدوح... المعتمد بن عباد، ثم مقارنته بالقصور المعروفة في التاريخ مثل الخورنق وسدير وايوان كسرى ثم يصف اجزاء القصر، الباحة والبركة التي تحيطها اشجار من ذهب وفضة ترمي فروعها المياه واسود منحوتة على حافاتها، وأبوابه المرصعة بالذهب ثم يصف السقف ويشيد بالصناع وينتقل الى الممدوح، وفي وصف البركة وتماثيل أسودها يقول:-

وضـــراغمٌ ســـكنت عريـــن رياســـة تركـت خريـر المـاء فيـه زئـــيرا
فكأنـــما غشـــيّ النُّضـــار جســـومَها واذاب فـــي افواههـــا البلّـــــورا
اســـدٌ كـــأن ســـكونها متـــحرّكٌ فـي النفس لـو وجـدت هنالـك مثيـرا
وتـــــذكرت فـــــتكاتها فكأنمـــــا اقعـــــت علـــى ادبارهـــا لتثـــورا
وتُخالهـــا والشـــمس تجلـــو لونـــها نـــاراً وألسـنها اللـــواحس نـــورا
فكأنمـــــا ســـلت ســـيوف جـــداول ذابـــت بـــلا نـــار فعـــدن غـــديرا
وكأنمـــــا نســـج النســـيم لمائـــه درعـــــا فـــقدّر ســـرْدها تقـــديرا

لقد جعل الصور تنطق عن طوايا الماضي البعيد والحاضر والمستقبل بطريقة الوصف المباشر لتمجيد الصورة وصاحبها في ملاءة مع السرعة الزمنية، القياسية والنسبية من خلال ربطها بصور من التاريخ وجماليات المكان من البركة والتماثيل والأشجار بأساليب البيان المعروفة لا سيما التشبيه لربط صور بصرية مرئية بمثيلاتها من الخيال في التقاط مزدوج وانتباه بؤري لصور الاسود بابعادها الثلاثة من خلال ابراز موضوعي الكتلة والفراغ ودورها في تشكيل اللوحة الشعرية ومعاني الانسجام والتوازن في تجاذب الاشكال المتجمعة لابراز ملامح اللوحات الفنية التي عرضها بشكل تعاقبي، كما إنه رتب صوره لإبراز قيمتها الجمالية

[1] النفح ٢: ٣٩ .

والحسية والتعبيرية وربطها بعظمة صاحبه وتجميع منسق للكلمات والصور المكانية والبصرية في خلق قصيدة نابعة من قواعد التركيب وآلية المعنى والتأثير الجمعي الذي برز من خلال ثقافته عن الروم والفرس وبيئته الطبيعية الجميلة اضافة الى ما اكتسبه من العلم والمعرفة في سنى حياته ، وأطر قصيدته بحرف الروي " الراء " المنسجم مع الاستمرارية التي يتميز بها تدفق الجداول والسيول والضياء وقرنها بالف الاطلاق الدال على السمو والارتفاع كما اعتمد على الموازنة في توظيف مفرداته في عرض الشيء وشبيهه او الاشياء المناظرة له، فاورد البناء والقصور، والجنة والحرير، والأفواه والبلور، ويد ورجل، وبيت ومعمور، وخورنق وسدير... كما كان للون والمفردات الدالة عليه نصيب في ردم الفجوة بين اللوحة المنظورة والقصيدة، وتدارك اهمية عنصري الظل والضوء في الكشف عن اللوحة الشعرية وتجسيد المشاهد وابعادها النفسية والدلالية، فكرر مفردات النُضار والشمس والنار والنور واللجين واللؤلؤ والنجوم... فضلاً عن الاسماء المزينة التي تجعل بعض اجزائها نغماً تزين بها خرير الماء والبلور والغدير والطيور والصفير.. وكان توظيف سكونه ذروة ابداعه الى الاشارة الى صمت ساكن يرسل ذبذبات للتهيئ لحركة مقبلة، والقصيدة لوحة تشكيلية تتوفر عناصر الرسم فيها من الخط واللون والضوء والظل والكتلة والفراغ اضافة الى المستوى الفضائي المتمثل بالسقف والسماء والنجوم والمستوى الارضي المتمثل بباحات القصر والبلاط وجداول الماء ومقاعد الاسود.... [1]

سمات شعر الطبيعة:

[1] للمزيد عن وصف القصور والتماثيل والصور ينظر بحثنا الموسوم " الاطر التشكيلية لقصائد الصورة في الاندلس " منشورات مجلة جامعة كويه العدد ٩ لسنة ٢٠٠٨ .

١- غلبت على شعر الطبيعة فنون البيان والبديع فجاء مثقلاً بالتشبيهات والاستعارات والصور البديعية اضافة الى التجسيم والتشخيص.كقول ابن اللبانة: [١]

والورد تحت الطل فيها مشبه خدّاً يذوب من الحياء فيقطر

وكأن نرجسها اصيب بروعتي فعلاه لون مثل لوني اصفر

فكأنما الريحان روحي كلّما تتغير الأشياء لا يتغيرُ

٢- تأكيدهم على الالوان في الصور الفنية التي رسموها، كأنها رسم بالكلمات ففيها الضوء والظل، والالوان، والكتلة والفراغ، ومستوى النظر، والفضاءات وصورهم كانت ملونة دال على الحركة كقول احدهم: [٢]

والشمس قد القَتْ عليه رداءَها فتراه يرفل في قميص اصفر

٣- سلاسة الاسلوب والميل بعضها الى الجزالة ومتانة التراكيب وانعكاسُها لبواعث القصيدة وآنية تنظيمها.

٤-غلبت المقطعات على وصف عناصر الطبيعة لاسيما المقطعات المنبثقة من البداهة والارتجال في وصف اشياء بصرية فيما غلبت القصائد على الاغراض الشعرية التقليدية الممزوجة بالطبيعة وصورها مثل الغزل والمدح ووصف مجالس الشوق والحنين والرثاء....

وبالمقارنة بين شعر الطبيعة بين الاندلس والمشرق، اعتمد المشارقة على العقل والتفكير في وصفهم فكانت صورهم اعمق واقوى من الاندلسيين الذين اعتمدوا على الحس والذوق فكانت صورهم اجمل وأوضح[٣].

---

[١] شعر ابن اللبانة : ق:٣٤ ، تحقيق : د. محمد مجيد السعيد، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٧٧ .

[٢] ديوان ابن سهل الاشبيلي : ١٦٦ .

[٣] قضايا اندلسية ، د. بدير مرتولي : ١٤١ ، دار المعرفة ، القاهرة ، ١٩٦٤، وللمزيد عن شعر الطبيعة وموازنتها بالشرق يذظر : رسالتنا الماجستير: شعر الطبيعة بين ابن الرومي وابن خفاجة ، دراسة موازنة ، جامعة صلاح الدين ، العراق ، ١٩٩٤ .

المعارضة في الشعر الاندلسي

المعارضة: لغة: هي المقابلة، يقال عارضته في السير اذا سرت حياله وحاذيته وعارضه بمثل ما صنع أي أتيت اليه بمثل ما أتى وفعلت مثل ما فعل[1].

أما اصطلاحاً: فعرفها احمد الشايب بقوله: " ان يقول شاعر قصيدة في موضوع ما من أي بحر وقافية فيأتي شاعر آخر فيعجب بهذه القصيدة لجانبها الفني وصياغتها الممتازة، فيقول قصيدة في بحر الاول وقافيتها وموضوعها اومع انحراف عنه يسير اوكثير حريصاً ان يتعلق بالاول في درجته الفنية ويفوقه، فيأتي بمعان او صور بازاء الاولى تبلغها في الجمال الفني او تسمو عليها بالعمق او حسن التعليل وجمال التمثيل او فتح باب جديدة في المعارضة، ولا علاقة بين اتفاق الشاعرين في العصر او اختلاف فيه[2].

الفرق بين المناقضة والمعارضة: المناقضة تدل على الاختلاف بين الشاعرين وعدم إتفاقهما من حيث الافكار وان تكون في زمان واحد، اما المعارضة فانها تدل على الاعجاب و الوفاء وتتصل بالبراعة الفنية التي تصل الى درجة التحدي وتتجاوز التقليد الى الابداع والمتابعة الى الابتكار، وهنالك امثلة كثيرة على اخفاق الشعراء في معارضة بعض القصائد.

اما الفرق بين المعارضة وقصائد المراجعات والمجاوبات، فبينهما و شائج تتمثل في اعتماد البحر والقافية والروي ووحدة الموضوع عند الشاعرين ولكنها تختلف عن المعارضات لانها قصائد اقرب الى الاخوانيات وفيها ضعف في القيمة الفنية، ولا نجد ابداعاً او تفوقاً في اشعار المراجعات والمجاوبات وتخلو من عمق

---

[1] معجم مقايس اللغة : ٤: ٢٩٦ ، احمد بن فارس تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، للمزيد ينظر : المعارضات في الشعر الاندلسي : ٤١ ، د. يونس طركي سلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

[2] تاريخ النقائض في الشعر العربي : ٧ ، احمد الشايب ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

المعنى وموضوعاتها بديهية مثل الدعوة الى المجلس او السؤال عن الحال او ضجر من المرض.....

أسباب المعارضات في الأدب الاندلس

١- تقليد ادباء الاندلس لادباء المشرق، نتيجة لشدة تعلقهم بالمشرق، وقد وصف ابن بسام هذا التعلق بقوله: " إلا أنّ هذا الافق أبوا إلا متابعة أهل الشرق، يرجعون إلى اخبارهم المعتادة، رجوع الحديث الى قتادة حتى لو نعق بتلك الافاق غراب او نعق بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنماً وتلوا كتاباً محكماً "[١].

٢- نظرة الاستهانة الى نتاج الأندلسيين واستضأل ما يصدر عنهم من الأندلسيين أنفسهم.

٣- البعد السياسي حين يكلف أمير أو حكم اندلسي شاعراً بمعارضة شاعر مشرقي، فأنه إن نسب لشاعره التفوق على الشاعر المشرقي يكون قد عزز ملكه.

٤- اعجاب اهل الاندلس بنتاجات المشرق، وادى ذلك الى معارضة كتبهم، مثل العقد الفريد لابن عبد ربه معارض لعيون الاخبار لابن قتيبة، والذخيرة لابن بسام معارض ليتيمة الدهر للثعالبي... أو يطلقوا على أنفسهم القاب شعراء المشرق، وقد لقب ابن زيدون ببحتري الاندلس والرصافي البلنسي بابن رومي المغرب وابن خفاجة بصنوبري الاندلس...، وتسمية مدنهم باسماء مدن المشرق، مثل تسمية اشبيلية بحمص في الشام.

٥- بيان المقدرة الفنية واظهار التفوق والسمو في نظم القصائد.

٦- الاعجاب بالقصائد المعارضة لسمو مستواها الفني.

أنواع المعارضة:

---

[١] الذخيرة ٢/٢ : ٥٩٠-١٩١ .

الاتفاق في البحر والروي والموضوع يجعل المعارضة تامة، وأي اختلاف او نقص في هذه العناصر الثلاثة يجعلها معارضة ناقصة.

من أبرز المعارضين في الأندلس:

ابن عبد ربه الأندلسي وجهورَ بن أبي عبدة عندما فتح باب المعارضة بمعارضة قصيدة ابن الرومي في تفضيل النرجس على الورد وعارضه عدد من الشعراء كما يتضح في كتاب " البديع في وصف الربيع "[1] وابن شهيد في معارضته لشعراء

الجاهليين والعباسيين في رسالته " التوابع والزوابع " والشاعر يحيى الغزال في معارضته لقصيدة ابي نواس في زيارة الحانة[2].

امثلة على قصائد معارضة:

أ- معارضة الأندلسيين للمشارقة.

طلب المنصور بن ابي عامر من ابن دراج القسطلي معارضة قصيدة ابي نواس في صاحب خراج مصر أبي الخصيب ومطلعها: [3]

أجـــارةُ بَيْتينـــا ابـــوكِ غيـــورُ ومِيسـورُ مـا يرجـى لـديك عِسـيرُ

- **الشوط الاول:** في مطلع القصيدة يتغزل بحسناء ممتنعة عليه لا سبيل الى الوصول اليها ثم ينتقل بالدعاء على نفسه إن لم تكن صاحبته وزوجته... وانه ذو نظر ثاقب يزجر عيون الناس بعينه التي هي كنظر العقاب ثم يطلق حشداً من المعاني العذبة في مدح الخصيب باسلوب رقيق جرساً وايقاعاً.
- **الشوط الثاني:** يخاطب زوجته التي انهمرت دموعها وتطلب منه عدم السفر لكثرة المتاعب.

---

[1] تحقيق : هنري بيرس ، الرباط ، ١٩٤٠

[2] للمزيد عن قصائدهم ينظر : المعارضات في الشعر العربي، محمد محمود قاسم " نوفل " ومواز نات عربية بين الاندلسيين والمشارقة ، د. حميدة صالح البلداوي، والمعارضات في الشعر الاندلسي ، د. يونس طركي سلوم .

[3] ديوان أبي نواس : ٤١٧-٤٢٦ .

تقـول التـي مـن بيتهـا خـف مركبـي عزيـزٌ علينـا ان نـراك تسـيرُ

ويقول ابو نواس ان أمله كبير بالخصيب

ذريتـي أكثـر حاسـديك برحلـةٍ الـى بلـد فيـه الخـصيب أميـرُ

- الشوط الثالث: مدح مباشر.

- الشوط الرابع: يصف الرحلة والمدن التي مر عليها، كقوله في وصف حال الابل.

رحلـن بنـا مـن عـقرقوف وقـد بـدأ مـن الصبـح مفتـوق الأديـم شـهيرُ

اصبحن بالجولان يرضخن صخرهـاو ولم يبق من اجراحهن شطـور

وفي القسم الثاني يرجع الى المدح وطلب النوال مختتماً بقوله:

فـان تـولني منـك الجميـل فأهلـه وإلا فـأنى عـاذرٌ ومشـكورُ

وهي من القصائد المشهورة في الأدب العربي وتبلغ عدد أبياتها أربعين بيتاً.

وبعد الحاح المنصور بن ابي عامر عليه بعد أن اعتذر الصاعد البغدادي نظم ابن دراج قصيدته في خمسة وستين بيتاً، وزيادة مبنى القصيدة وعدد الابيات تأكيد على اظهار البراعة والتفوق وهي معارضة تامة في البحر والروي والموضوع وعدد الاشواط. ومطلع القصيدة: -

دعـي عزمـات المستضـام تسـير فتُنجـد فـي عُـرض الفـلا وتغـور

الشوط الاول: مخاطبة الزوجة، وزجرها، وتخوفها عن عواقب السفر، ووصف مواقف الوداع في أبياته فيما يسمى بالتعلق الاسرى، ثم التخلص الى ممدوحه قوله:

تخـوفني طـول السّـفار وأنـه لتقبيـل كـفّ العـامري سـفير

الشوط الثاني:

واستنشـق النكبـاء وهـي بـوارحُ واسـتوطئ الرمضـاء وهـي تفـور

وللمـــوت فـــي عـــين الجبـــان تلـــوّن وللـــذعر فـــي ســـمع الجـــرئ صـــفير

وبالموازنة بين القصيدتين يتبين: -

١- اتفاق الوزن والقافية والموضوع.

٢- توسع ابن دراج في وصف الرحلة ومشاعر الاسرة والاولاد بينما توسع ابو نواس في وصف جغرافي في ذكر الاماكن التي مرّبها، كما أنه وصف الناقة وصفاً مسرفا في رحلته.

٣- شدد ابو نواس على جانب الكرم لانه كان صاحب خراج وابن دراج شدد في ممدوحه على القائد المسلم الشجاع المدافع عن الاندلس.

٤- لغة أبي نواس لا يمكن الوصول اليها، وقصيدته غراء، وابن دراج لم يقصر عنها فكانت الجزالة وبراعة الاسلوب والصياغة، وبذلك إدرك الشاعر مرماه وان لم تصل الى شهرة قصيدة ابي نواس، وكانت معارضته ناجحة.

ب – معارضة الأندلسيين فيما بينهم:

هنالك امثلة كثيرة لاسيما في مجال مفاضلة الورود وقد جمعه الحميري في كتابه " البديع في وصف الربيع " قصائد متنوعة وقد فصلنا عن ذلك في شعر الطبيعة، واورد ابن بسام مقطعات عدة في وصف الحمامة منها مخاطبة يوسف بن هارون (ت٤٠٣هـ) [١] بها:

أحمامـــةٌ فـــوق الاراكـــة تنثنـــي بحيـــاةِ مَـــنْ ابكـــاكِ مـــا ابكـــاك

أمـــا أنـــا فبكيـــتُ مِـــنْ حـــرقِ الـــهوى وفـــراقِ مَـــن اهـــوى، أأنـــت كـــذاكِ

ومن ثم مقطعات اخرى مشابهة بالقافية نفسها والوزن كقول أبي علي ادريس بن اليماني العبدري اليابسي: -

ورقـــاً مطوقـــةُ الســـوالف سندســـاً لـــم يحـــكِ ضـــعَتَها حيـــاكةُ حـــاكِ

---

[١] الذخيرة ١/٣ : ٣٤٤-٣٤٥ .

تشـدو علـى خُضـرِ الغصـون بألسـنِ صـبغت ملاثمتهـا بـلا مسـواك

وكـأنّ أرجلـها القـواني أُلبسَـتْ نعـلاً مـن المرجـان دون شِـراكِ

وكأنهـا كُحِلـتْ بنـار جـوانحي فتـرى لأعينهـا لهيـبَ حشـاكِ

كما اورد مقطعات معارضة لأبي الربيع القضاعي ويحيى بن هذيل وابي مروان المعروف بالبليئة، وأثنى ابن بسام على مقطعة اليابسي بقوله " وأجاد أراد وزاد"[1].

ج – معارضة المشارقة للأندلسيين:نظم ابن زيدون نونيته المشهورة [2]

اضـحى التنـائى بـديلاً مـن تـدانينا ونـاب عـن طيـب لقيانـا تجافينـا

معارضاً لقصيدة البحتري:

يكـاد عاذلنـا فـي الحـب يُغرينـا فمـا لجاجـكُ فـي لـوم المـحبينا

واشتهرت نونية ابن زيدون وقال الشقندي (٦٢٩ هـ) " لم يقل مع طولها في النسيب ارق منها "[3] واثيرت اساطير حولها، وشغف الشعراء بمعارضتها وتخميسها وتسديها وفي العصر الحديث عارضها احمد شوقي.

يـا نائـح الطلـع اشـباه عوادينـا نشـجي لواديـك أم تأسـى لوادينـا

ومن القصائد المشهورة الاخرى، قصيدة " ياليل الصب " التي عرفت بالعصماء التي نظمها ابو الحسن الحصري القيرواني (ت ٤٨٨ هـ) في مدح صاحب مرسية وبلغ عدد ابياتها تسعة وتسعين بيتاً ومطلعها: [4].

ياليـل الصـبّ متـى غـده أقيـام السـاعة موعـده

---

[1] نفسه ١/٣ : ٣٤٥ .

[2] ديوان ابن زيدون : ١٤١ .

[3] نفح الطيب ٣ : ١٩٤ .

[4] ينظر : النص الكامل للقصيدة والقصائد المعارضة لها " أبو الحسن الحصري ، محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج ، مطبعة المنار ، تونس ، ١٩٦٣ .

وبلغ معارضوها اكثر من تسعين شاعراً وشاعرة [١].

معارضات ابن عبد ربه الاندلسي:

١- ما ورد في العقد الفريد في باب شواهده على الاوزان الشعرية، يذيل كل قطعة غزلية بيت شعري لشاعر مشهور، وقد انتظم منها ثلاث وستون قطعة، كل واحدة منها تتراوح بين أربعة وستة، مثل قوله:

زادنـــــي لومـــــك أصـــــرار إنّ لـــي فـــي الحـــب أنصـــارا

طـــار قلبـــي مـــن هـــوى رشـــأ لَوْدَنـــا للقـــلب مـــا طـــارا

انضـــجت نـــار النـــوى كبـــدى ودمـــــوعي تطفـــئ النـــار

رب نـــــار بـــــتُ ارمقهـــــا تقضـــم الهنـــدي والغـــارا[٢]

البيت الاخير للشاعر عدي بن زيد العبادي.

٢- **الممحصات:** محص الذهب بالنار أي اخلصه من الشوائب وهي قصائد يعارض فبها قصائد تقدمت في حياته الاولى، يلتزم اركان المعارضة من الوزن والقافية وحركة الروى وينقض نزعته في اللهو والمجون ويشير الى تلك القصائد، وجل مّا وصلنا من القصائد والمقطعات في هذا الموضوع تبلغ خمسون بيتاً، وإنه يضمـن قصائده الثانية شطر بيت من قصيدته الاولى، وإنه عندما شبع من معارضة الاخرين أخذ يعارض نفسه وربما تقع في باب التوبة بالتوجه نحو الموعظة والزهد تكفيراً ومن ممحصاته[٣].

يـــا عـــاجزاً لـــيسَ يعفـــو حـــين يقتـــدر ولا يُقـــضى لـــه مـــن عيشـــه وَطَـــرُ[٤]

عـــاين بقلبـــك إنّ العـــين غافلـــةُ عـــن الحقيقـــة وأعلـــم أنهـــا سَـــقَرُ

---

[١] المعارضات في الشعر الاندلسي : ٧٧ .

[٢] العقد الفريد ٥ : ٤٤٧ .

[٣] ديوان ابن عبد ربه : ٧١ .

[٤] وَطَر : حاجة .

سـوداء تزفـرُ مـن غـيظ اذا سـعرت للظالمـين، فـلا تبقـى ولا تـذرُ

إنّ الـذين اشـتروا دنيـا بأخـرةٍ وشـقوة بنعـيم سـاءَ مـا تجـروا

انـتَ المقـول لـه، مـا قلـت مبتـدئاً " هـلا ابتكـرت لبـين انـتَ مبتكـر"

والبيت الاخير مطلع لقصيدة له في الغزل بالمذكر في فتى كان يألفه وقد ازمع على السفر [١].

٣- ومن صوره الاخرى في معارضته لشعراء المشرق، أنه يستعرض في كتابه أمثلة شعرية في موضوع معين ثم يشفعها بأبيات من شعره، دون ان يلتزم الوزن والقافية، كما فعل حينما تناول " القلم " وذكر قصائد او قطع شعرية لشعراء: ابو تمام والبحتري والعلوى... ثم انتهى بقوله: " ومن قولنا في القلم " ذكر قصيدة في أربعة عشر بيتاً مطلعها: [٢].

بكفـه ساحـر البيـان اذا اداره فـي صحيفـة سـحرا

٤- **المعارضة التامة:** عندما بلغ مرحلة متقدمة من الثقة بالنفس، أخذ يعارض شعراء المشرق ويلتزم الوزن والقافية وحركة الروي والموضوع، ومن ذلك قصيدة له يعارض لامية مسلم بن الوليد (صريع الغواني) والتي مطلعها: [٣]

أديـرا علـيّ الـراحَ لا تشـربا قبلـي ولا تطلـبا مِـنْ قاتلـتي ذحلـي

فيسوق ثلاثة ابيات من تلك القصيدة ثم يذيلها بقصيدة له في أثنى عشر بيتاً قائلاً[٤].

اتقتلنـي ظلمـا وتجحـدني قتلـي وقد قام من عينيك لي شاهداَ عدل

---

[١] ديوانه : ٧٠ ، للمزيد ينظر : الممحصات في شعر ابن عبد ربه الاندلسي ، ابراهيم ابو زيد ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٨٩ .

[٢] العقد ٤ : ١٩١-١٩٤ .

[٣] ديوان مسلم بن الوليد : ١٨ .

[٤] العقد الفريد : ٥ : ٣٩٨-٣٩٩ .

واحياناً يتبع التقليب والتغيير والعكس والاسهاب في معارضاته فهو رجل قياس وشواهد لذلك لم يشتهر كشاعر وانما اشتهر من خلال كتابه " العقد الفريد ".

تعــدد القوافــي.

قبل ان نتناول الزجل والموشحات، لا بد ان نتطرق الى التنوع في القوافي الذي انتشر في الاندلس والمشرق العربي لشيوع الغناء، والتنوع في القوافي احد متطلبات الغناء الجديد، وكان الشعراء يلجأون الى القافية الواحدة اذا كانوا ينشدون الجلال في القصائد الجدية والموضوعية والى التنويع في القوافي اذا كانوا ينشدون الجمال، وفيما يلي أهم هذه التنويعات: -

١- المزدوج:

يعتمد الشاعر على تصريع[١] أبيات القصيدة جميعاً، وغالباً ما يكون في الأراجيز، وأبو العتاهية من روادها الاوائل، له ارجوزة في اربعة ألالف بيت وهي التي وسمها "بذات الحكم والامثال " ولابن المعتز مزدوجة في الشراب، ويكثر هذا النوع من الشعر في الاندلس ولاسيما في الامثال والقصص والاراجيز التاريخية والعلمية، ويجوز للشاعر ان يعود الى التصريع بعد كل سبعة أبيات كأنما هو يبدأ مقطوعة جديدة، ومنه تفرع " المشطر " وفيه يعد الشطر الواحد بيتاً مستقلاً وقد يلتزم في صدرها قافية وفي عجزها قافية أخرى فتسمى " بالمثنيات " وغالباً ما تكون قافية الشطر الاول مشابهة لقافية الشطر الثالث، وقافية الشطر الثاني مشابهة لقافية الشطر الرابع وهكذا: -

ـــــ أ ـــــ ب

ـــــ أ ـــــ ب

---

[١] التصريع : ان يكون هنالك قافية واحدة في نهاية الشطر الاول والثاني من البيت مثل قول البارودي :

ومنه " المثلثات " ويعتمد فيها الشاعر على ثلاثة اشطر يكون نظامها قريب من الموشحات، وكالآتي: -

ـــ أ ـــ أ

ـــ ب

ـــ جـ ـــ جـ

ـــ ب

هـــــو البـــــينُ حتـــــى لاســـــــلامٌ ولا ردٌ

ولا نظـــرةٌ يقضـــي بهـــا حقَّـــهُ الوجـــدُ

٢. المُرَبعات (دو بيت): -

وفيها يقسم الشاعر منظومته الى مجاميع كل مجموعة مؤلفة من أربعة أبيات مشطرة وبقافية واحدة ويسير فيها على وزن واحد، وكلمة " دو بيت " فارسية او كردية بالاصل بمعنى بيتين (دو+بَيتْ) ومنه حُرف الى بوذيت بوذية أبوذية، ووزنه خاص خارج عن بحور الخليل وغالباً ما يكون على وزن " فِعلُن – متفاعلن – فعولن – فَعِلُن " والمربعات تختلف عن الرباعيات التي تنظم على أوزان الخليل وتقسم الى مجاميع كل مجموعة متكونة من أربعة اشطر وغالباً تنظم كل مجموعة بقافية أو حرف روى وقد تنظم ثلاثة اشطر بحرف روى والرابع بحرف روى مغاير يتكرر في كل مجموعة جوازا.

ـــــ أ ـــــ أ

ـــــ أ ـــــ ب

* * * *

ـــــ جـ ـــــ جـ

ـــــ جـ ـــــ ب

* * * *

٣- المخمسات:

عبارة عن قطع يتألف كل واحدة منها من خمسة اشطر، الاربعة الاولى ذات قافية موحدة والخامسة بمثابة اللازمة التي تكون لها قافية خاصة، والتخطيط كالاتي:

-

ـــــ أ ـــــ أ

ـــــ أ ـــــ أ

ـــــ أ

ـــــ ب ـــــ ب

ـــــ ب ـــــ ب

ـــــ أ

ـــــ جـ ـــــ جـ

ـــــ جـ ـــــ جـ

ـــــ أ

وتعد القصائد التي تتشابه فيها القوافي جميعاً في الاشطر كافة من اعذب انواع المخمسات، وهي الاكثر انتشاراً

٤- المسمطات:

وهي اقرب المنظومات الى الموشحات، وهنالك مسمطة منسوبة الى امرئ القيس وجدتها في العمدة لابن رشيق، والأرجح انها منحولة مطلعها:

توهمــتُ مــن هنــدٍ معــالم اطــلال غفاهنَّ طول الدهر في الزمن الخالي

مرابــع مــن هنــد خلَــتْ ومصــايفُ يصيــح بمغناهــا صــدى وعــوازفُ

غيرهــا هــوجُ الريــاح العواصــفُ وكــــلّ مســفٌّ ثــم آخــرُ رادفُ

بأسحم من نوء السماكين هطالِ

ويكون المخطط كالآتي

ـــــ أ ـــــ أ

* * * *

ـــــ جـ ـــــ جـ

ـــــ جـ ـــــ جـ

ـــــ أ أو ب

* * * *

ـــــ د ـــــ د

ـــــ د ـــــ د

ـــــ أ أو ب

٥. الملمعات: -

وظهر هذا النوع في العصور المتأخرة، وفيها ينظم الشاعر الشطر الاول بلغة معينة والشطر الثاني بلغة اخرى أو لهجة عامية، وقد يتجاوز الى ثلاث لغات أو أربع، والقصد منها إظهار الباع، وفيها تكلف كبير على حساب المعنى أو الدلالة، وتمثل مرحلة التزاوج بين اللغات المتداولة في العراق .

الزَجـَل

الزّجَل: بالتحريك، اللعب والجلبة ورفع الصوت، فن يعتمد الى حد كبير على الغناء والحركة حتى يتسنى لسامعيه أن يتلذّذوا به.

وقال صفي الدين الحلي: انما سُميّ هذا الفن زجلا، لأنه لا يلتذ به، وتفهم مقاطع اوزانه، ولزوم قوافيه، حتى يُغنّى به، ويصوَّت، فيزول اللبس بذلك[١].

وقد ولد الزجل في الاندلس في أواخر القرن الرابع للهجرة، ونشأ فيها، وتطور على أيدي زجالة مشهورين، ويعد ابو بكر بن قُزمان (٥٥٤ هـ)شيخ صناعته

---

[١] العاطل الحالي : ١٠ .

وامام فنه، ثم استمر تطوره في القرن السابع للهجرة، ولاسيما فيما يتعلق بجنوحه نحو التصوف والزهد وكانت تسمى بالمكفرات، بسبب ما لحق بالاندلس من المحن والمصائب والنكبات، وانتقل الى المشرق، ودخل مصر قبل غيرها بحكم قربها ثم انتقل الى الشام والعراق.

وأول من عني به في المشارقة الشاعر المشهور صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ) في كتابه " العاطل الحالي والمرخص الغالي " وتبعه في ذلك ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ).

الزجل، ملحون، بعيد عن الاعراب، يغلب عليه التسكين، ويصلح للغناء، وينظم على بحور الشعر المعروفة الى جانب بحور اخرى، والشائع فيه ان يكون البيت من أربعة اشطر او مصاريع، الثلاثة الاولى من روي معين، والرابع من روي مغاير لها، ومكرر في كل شطر رابع من القصيدة، ويشيع الجناس في القوافي الثلاثة الاولى، وقد ينظم اقفالاً شبيها بالموشح، ولايزيد القفل الواحد على بيتين في الغالب، وربما يكون للبيت رويان، أحدهما للصدر والأخر للعجز، ويسمى في العراق بـ " العتابة " أو " الزهيري " الاول يأتي في الغالب على وزن الوافر " مفاعلتن، مفاعلتن، مفاعلتن " والثاني على وزن البسيط " مستفعلُن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن " و الزجالون قد استعملوا بحور الخليل الستة عشرة وابتدعوا بحوراً أخرى الى جانب ذلك.

والعتابة العراقية تتكون غالباً من أربعة مصاريع، الثلاثة الاولى على روى والرابع على روى آخر، ولا ينظمونها إلا من الوافر، ويلتزمون في قوافيها الثلاثة الاولى الجناس كالآتي.

ـــــ أ جناس ـــــ أ جناس

ـــــ أ جناس ـــــ ب

كقول احدهم

خـــدودك شمـــس وعيـــوني حَربْهـــا وأوصـــافي اليـك كـل كـاهن حارَبهـا

يـا عينـك مـن تصـد تنبـت حربْهـا بـدلالي وَتَهـتْ عـن رد الجـواب

والشعر الزجلي المستعمل حالياً عدا العتابة يأتي على اوزان مختلفة، ينظمونه اقفالاً كل قفل مستقل بذاته لا يزيد في الغالب عن بيتين، وقد يكون بروبين مختلفين او بقافية واحدة، مثل قول احداهن باللغة العامية الجنوبية العراقية: -

مـا قْـلْتْ لْـجْ يايُمـه[1] علـى الـرحى عينينـي

مـا ادري الرحيـة ثجيلـه[2] لـو لا الـعشق رامينـي

ويعد ابن غُرلة الشاعر المغربي من ابرز الزجالين بعد ابن قُزمان وهو من اكابر اشياخهم، وينظم الموشح والزجل، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل، وكان الوزير ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك ولهذا لم يثبت شيئاً من موشحاته في " دار الطراز ".

ومن موشحاته، الموشحة الموسومة بالعروس التي نظمها عند عشقه رُميلة اخت عبد المؤمن الموحدي، أمير الموحدين في الاندلس، وقتله بسبب التشبيب بها، وكان حسن الصورة، جليل القدر، ذا عشيرة، وكانت جليلة القدر، جميلة الخلق، فصيحة اللسان، تنظم الازجال، ومطلع الموشحة[3]:

مِـنْ يصـيدُ صـيدا فليكـن كمـا صـيدى

صيـدي الغـزالة مـن مراتِـع الأسـد

---

[1] لج:لك

[2] ثجيله : ثقيلة .

[3] العاطل الحالي والمرخص الغالي : ١١ ، صفي الدين الحلي ، تحقيق حسين نصار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠.بلوغ الامل في فن الزجل ،ابن حجة الحموي

كيـــــــــــف لا اصـــــــــــولُ واقتـــــــــــنصتُ وحشـــــــــيّهْ

ظبيـــــــــــــةٌ تجـــــــــــولُ فـــــــــي ردا وســـــــــوسيه[1]

صـــــــــــاغَها الجليـــــــــــلُ فهـــــــي شـــــــبه حـــــــوريه

تنثنـــــــــــــي رويـــــــــــدا إذ تمـــــــيسُ فـــــــي البـــــرْدي

تعـــــــــــــجن الغلالـــــــــــة والـــــــرِّدى مـــــــع النَّهـــــــدى

ومن الزجالين الاخرين ابو عبد الله مَدْغَلّيس في ديوانه ثلاث عشرة قصيدة على اوزان الخليل، ومن ذلك زجل في بحر المديد في ثمانية وعشرين بيتاً وبحرف روى عين، مطلعها [2]: -

مضـــى عنّـــــى مِـــنْ نَحبّـــو ووَدَّعْ ولهيـب الشـوقْ فـي قلبـي قـد اودَعْ

لـو رأيـت كِـفْ كُـنْ نِشـيّاعُوا بـالعِينْ ومَ نـــــدرى أنْ روحـــــي نشـــيّع

الموشحات

الموشحات: الموشح: لغة: اسم مفعول من الفعل وشح، والوُشاح (الضم أو الكسر) كرسان من لؤلؤ وجوهر منظمان يخالف بينهما، معطوف احدها على الآخر على اديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة على عاتقها وكشحيها، والجمع وشحٌ أو اوشحة أو وشائح، والسبب في تسمية هذا الاسم على هذا النوع من النظم، وهو تصور الاندلسيين من هذا النظم كرقعة الثوب فيه خطوط منظمة افقياً او عمودياً،

[1] ردا : رداء ، وسوسيه : نوع من الرداء .

[2] العاطل الحالي والمرخص الغالي : ١١ ، صفي الدين الحلي ، تحقيق : حسين نصار ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٠ .

والرابط بين المعذبين هو فكرة التجميل، والمرأة تتخذ من الوشاح وسيلة للتجميل، والموشح مجمل بهيكله المتنوع.

وقد عرفه ابن سناء الملك (٦٠٨هـ) وله: " كلام منظوم على وزن مخصوص، يتألف في الاكثر من ستة اقفال، وخمسة ابيات، وفي الاقل من خمسة اقفال "[١].

اجزاء الموشحة

١- **المطلع**: او المذهب: وهو القسم الاول من الموشحة يتألف من شطرين الى ثمانية اشطر وهكذا ـــ غصن ـــ ـــ ـــ قفل

ـــــ المطلع

سمط ـــــدور

ـــــ

ما ابتدأ بالقفل يسمى تاماً وما ابتدأ بالأبيات يسمى بالأقرع.

٢- **الدوَر**: وهو مجموعة من الاشعار، تتركب من مجموعة من الفقرات مختلفة العدد، وفي الغالب يلتزم بقافية واحدة في الدور الواحد، وبغيرها في الدور الذي يليه.

٣- **القفل**: وهو مجموعة الاشعار التي تلي الدور، وتكون غالباً على غرار المطلع من حيث بنائه وقوافيه ويلتزم الوزن وعدد الاشطر والاجزاء وانها تبنى على المطلع اذا كان تاماً او على الخرجة أذا كان اقرعاً.

٤- **الخرجة**: وهي القفل الاخير من الموشحة، وأهم جزء فيه لانها الخاتمة، وغالباً ما تكون بالعامية او حجاجية او معربة من لغات أخرى.

---

[١] دار الطراز : ٤٠ .

نموذج هيكلي من موشح تام مثالي (موشحة ايها الساقي).

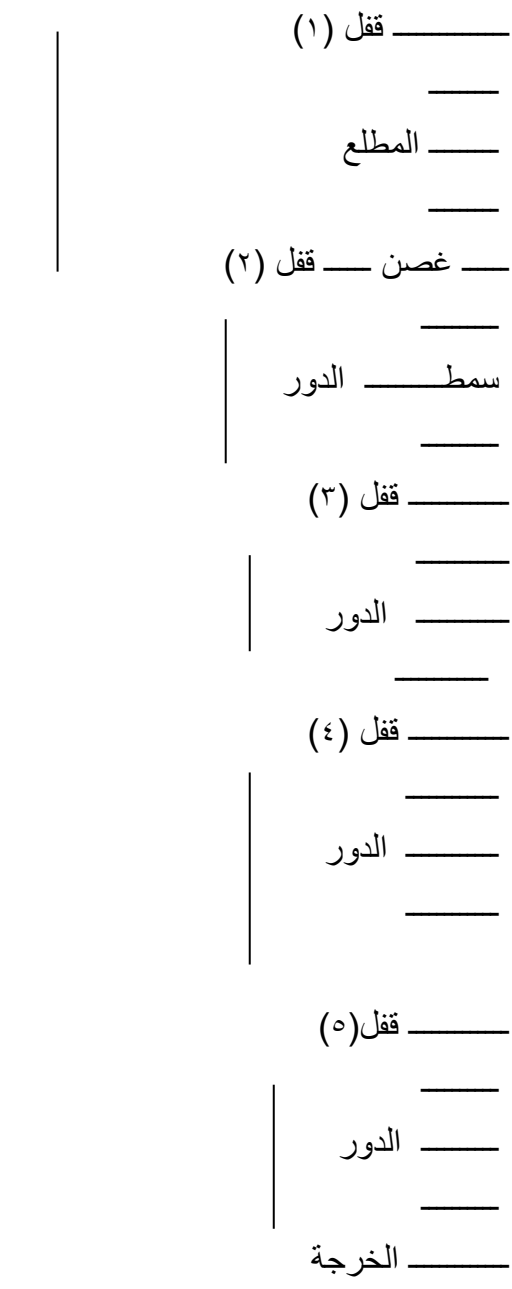

الاقفال: قافية واحدة ووزن واحد

الادوار: مختلف القوافي والاوزان في الغالب

موشحة ايها الساقي: ابن زهر الاشبيلي (٥٩٥هـ)

ايهـــا الســـاقي الـــيك المشـــتكى قـــد دعـــوناك وإن لـــم تســـمعِ

ونديم همـــتُ في غرتهِ

وشربت الـراح من راحتهِ

كلما استـيقظ من سكرتهِ

جـــذبَّ الـــزقّ اليـــه واتكـــا وسقـــاني أربـــعاً فـــي أربـــع

ما لعـيني عشيتُ بالنظرْ

انكرتْ بعـدك ضوء القمرْ

فاذا ما شئت فاسمع خبري

عشـيتْ عينـــاى مـــن طـــول البُكـــا وبكـــى بعضـــي علـــى بعضـــي معـــى

غصن بانٍ مال من حيث استوى

ماتَ من يهواه من فرط النوى

خافق الاحشاء موهون القوى

كلـــما فكـــر فـــي الـــبين بكـــى مالـــه يبكـــى لمـــا لـــم يقـــعِ

ليس لي صـبر ولا لي جَلَدُ

ما لقومي عذلوا واجتهدوا

انكـروا شكوايَ مما اجدَ

مثـــل حـــالي حقهـــا أن تشـــتكي كـــــمد اليـــــأس وذلّ الطمـــــعِ

كَبـِـدٌ حرّى ودمع لا يكفُ

يعـَرف الذنب ولا يعترفُ

ايها المعـَرض عمّا اصفُ

قـــد نمـــا حُبـــكِ عنـــدي وزكـــا لا تقـــل فـــي الحـــبِ إنـــى مـــدّع

مناقشـة عائديـه موشـحة ايهـا السـاقي الـى ابـن المعتـز (٢٩٦هـ) أم ابـن زهـر (٥٩٥هـ).

أدلة عائديه الموشحة في ديوان ابن المعتز.

١- وجدت الموشحة في ديوان ابن المعتز[١].

٢- رجل بامكانية ابن المعتز و هو الذي وضع اول كتاب في علم البلا غة، وشاعر مجيد لا يستكثر عليه.

٣- لا يمكـن ان يكـون الموشـح قـد جـاء مـن الغـرب والغربيـون لا يعرفـون القافيـة، ومـا يقـال ان الصـوناتات اصـل الموشـحات غيـر صـحيحة لان الموشحات اقدم من الصوناتات.

٤- ان زرياب الذي انتقل الى الاندلس هو الذي نقل الموشحات اليها.

٥- ايد ذلك: كامل امين، صفاء خلوصي، المستشرق نيكل.وغيرهم

أدلة عائدية الموشحة الى ابن زهر الحفيد.

---

[١] ديوان ابن معتز ، تحقيق : د. يونس السامرائي ٢: ١٧٠ .

١- ورود الموشحة في ديوان ابن المعتز سهو من الناسخ.
٢- ان الموشحة وردت في المصادر الاندلسية وغير الاندلسية منسوبة الى ابن زهر الحفيد (٥٩٥هـ) الذي عاش بعد ابن المعتز فقد اوردها ابن سناء الملك (٦٠٨هـ) في دارالطراز وابن دحية (ت٦٣٣ هـ) في المطرب وابن سعيد (٦٨٥هـ) في المغرب وغيرهم.
٣- بعد الموشحة عن روح ابن المعتز كما أنها لا تمثل شيئاً من نظراته في الحياة ولا فنه الادبي وليس فيها تشبيه واحد من التشبيهات التي عرف بها، وليس فيها شيء من خصائص فنه.
٤- لا نعرف لابن المعتز موشحات اخرى، فمن غير المعقول ان تكون وحيدة التي نظمه.
٥- في التراجم لم نجد ذكرا لابن المعتز انه كان وشاحاً.
٦- الف كتاب البديع وتطرق الى ثمانية عشر فناً ولم يتطرق الى الموشحات.
٧- لو كانت هذه الموشحة لابن المعتز لشاعت في الشرق.
٨- ان الموشحة جاءت مشابهة ومناظرة لموشحات اخرى لابن زهر.

أولية الموشحات.

تشير عدد من المصادر الاندلسية ان اول مخترع للموشحات هو مقدم بن معافي القبري ويسميه ابن بسام محمد بن محمود القبري الضرير، ولم تصلنا موشحة منه، هناك اتفاق ان الاندلس انجبت هذا الفن ولكن الخلاف قائم على الجذور التي انبثقت فيها والمؤثرات التي اثرت فيها فانتهت الى هذه الصورة.

الاتجاه الاول: ان الموشح تطور من الشعر المشرقي العربي فيما عرف بالمسمطات والمزدوجات، وذهب، فؤاد رجائي في "الموشحات الاندلسية " ان زرياب المغني نقل طريقة الغناء المشرقية القائمة على اصول النوبة الغنائية وتتمثل

هذه الطريقة في عدد من المغنيين يغني كل واحد حين تأتي نوبته عدداً من الابيات على لحن واحد بايقاع وقافية مختلفين[١].

ومن ذهب الى القول بالاصل المشرقي: المستشرقون نيكل، وهارتمان ويو هان فك.....، واحسان عباس وشوقي ضيف وصفاء خلوصي..... [٢].

الاتجاه الثاني: ثمرة من ثمار الاندلس اليانعة، والذين نحوا هذا المنحى، عدد من مستشرقي الاسبان وعدد كبير من الباحثين العرب وكالاتي: -

١- وجد " ريبيرا " أن الموشحات فيها اثر من اثار الاغاني الجليقية، وهي خلاصة الاغاني الرومانثية الاسبانية، فالنساء الجليقيات اللاتي انتشرن في البيوت كن يستخدمن تلك الاغاني في الحفلات وفي ساعات الفراغ[٣].

٢- وقال بطرس البستاني هنالك صلة بين الموشحات والشعر الفرنسي والاسباني، وانها تدل على تأثر العرب بهذين الادبين وقد ذهب عدد من الدارسين الى اثبات عكسها والادعاء بتأثر شعر التروبادور بالموشحات[٤].

٣- ورأى المستشرق الاسباني (ميليكروسا) المختص بالدراسات العبرية الذي رأى في الموشحات اثراً من اثار الاغاني والاناشيد الدينية مثل " البزمون " وكان يرددها اليهود المعايشون للمسلمين[٥].

ومن أدلة الاتجاه:

١- اختلاف الموشح في بنائه وأوزانه عن فنون الشعر العربي.

٢- الخرجات الاعجمية التي وجدت منها.

٣- انتشار الموشحات في الاندلس.

اسباب نشوء الموشحات في الاندلس.

---

[١] الموشحات الاندلسية : ١٢٥-١٢٦ ، د. فؤاد رجائي ، مصر .
[٢] فصول في الادب الاندلسي : ١٢٩-١٣٣ .
[٣] الادب الاندلسي : ٢٥٤ منجد .
[٤] ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث : ٨٢ .
[٥] الادب الاندلسي : ١٥٢ ، هيكل .

١- العوامل الاجتماعية: تطور الحياة الاقتصادية والثقافية وما بلغته الاندلس من الرفاه والترف وسعة العيش مما اتاح لهم الاقبال على اللهو والتفنن في اساليبه وطرقه والبحث عن الجديد.

٢- العوامل الفنية: ثمرة للتطور الذي حصل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالتوجه الى الحياة الفنية وتشجيع الغناء والمغنين وإغداق الاموال عليهم، ومن عوامله دخول زرياب المغني الى الاندلس وتعليمهم اصول اداب المجالسة والمحادثة وانواع الاطعمة والغناء حتى لقبوه " معلم الناس المروءة " كما علمهم اللطف والرقص وارهاف الذوق فضلاً عن جهوده في مجال الغناء والموسيقى، فأصبحت هنالك الحاجة الى لون جديد من الشعر يواكب الغناء، فأصبحت الموشحات تلبي هذا الغرض من حيث تنوع الوزن والقافية وثنائية اللغة.

٣- تأثير الغناء والفلكلور الاسباني.

فالموشحات: ثمرة اندلسية، تأثرت من حيث بناء القصيدة وأوزانها بالمحاولات الشرقية القديمة التي خرجت على الاوزان المألوفة، مع تأثرها بالاثار الاسبانية والفرنسية من الغناء والشعر.

أغراض الموشحات

الغزل والمديح والوصف والرثاء والزهد والتصوف.

الدراسة الفنية: المضمون: معانيها لم تتضمن جدة او عمقاً وإنما جاءت لطيفة حلوة على ابتذالها، ويستر هذه المعاني طلاء خارجي مستمد من ضروب البيان والبديع ولا سيما ان الهدف الأساس هو خلق أجواء الحب وإثارة عواطف الحنين وشطحات الخيال اما اغراض الرثاء والزهد والتصوف فانهالا تختلف عن القصائد المألوفة الا اذا نظمت من اجل الانشاد.

أما الشكل: فاتصفت بالضعف والركاكة لان الشاعر ينبغي ارضاء الأذواق العامة فكانت هنالك اللغة الفصحى والعامية والأعجمية وبحورها غير منضبطة لا يمكن القياس عليها.

أثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوربي.

وصلت الحضارة الاندلسية الى مرحلة متقدمة لاسيما في عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠-٣٥٠هـ) وكانت اوربا تعيش في مرحلة القرون الوسطى، وكان من الطبيعي انتقال تلك الحضارة الى اوربا عبر الاندلس وجزيرة صقلية التي خضعت للحكم المسلمين (٢١٢-٤٨٤هـ) ومن خلال[١]: -

١- **الزمالات الدراسية والبعثات العلمية:** - كان محبو العلم والمعرفة في اوربا يسافرون الى الاندلس ويقضون سنوات عدة في الاطلاع على مراكز العلم

---

[١] ينظر : تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٤٧٤-٤٧٨ ، ،د. خليل ابراهيم السامرائي وآخرون ، جامعة الموصل ، واثر العرب في الحضارة الاوربية ، جلال مظهر ، دار المعارف ، واثر الشعر الاندلسي في شعر التروبادور ، عباس محمد ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، ١٩٨٣ ، واثر العرب في الحضارة الاوربية عباس محمود العقاد ، دار المعارف ، مصر ، اثر العرب والاسلام في النهضة الاوربية ، د. محمود علي مكب ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، العرب والحضارة الاوربية ، محمد مفيد الشوباشي ، المكتبة الثقافية رقم ٤٣ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ورحلة الادب العربي الى اوربا ، سلسلة مكتبة الدراسات الادبية رقم ٤٧ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ ، وغيرها .

والتطور ودراسة الكتب العلمية التي كانت تصدر في الاندلس، ومن هؤلاء الراهب الفرنسي " جربرت دي اورياك " الذي وفد في عهد الحكم المستنصر واهتم بدراسة العلوم الرياضية، واصبح فيما بعد بابا روما باسم البابا سلفتر الثاني (٣٩٠-٣٩٤ هـ) اضافة الى البعثات العلمية ذات الطابع الرسمي حتى بلغت سنة ٣١٢ هـ في عهد الخليفة الناصر سبعمائة طالب وطالبة.

٢- **العقود العلمية:** عهد بعض ملوك اوربا الى استقدام علماء الاندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والمعرفة، وفي القرن التاسع الميلادي وما بعده وقعت حكومات هولندة وسكسونيا وانكلترا على عقود مع حوالي تسعين من علماء المسلمين ومئتي خبير في مختلف الصناعات لغرض انشاء السفن وصناعة النسيج والزجاج والبناء وفنون الزراعة، وقد اقام بعض المهندسين الاندلسيين اكبر جسر على نهر تايمس في بريطانيا عرف باسم جسر هليشم وهي كلمة محرفة من هشام امير الاندلس الذي اطلق اسمه عن الجسر عرفاناً بفضله في ارسال المهندسين[١].

٣- **الترجمة:** بعد سقوط طليطلة عام ٤٧٨ هـ قامت حركة ترجمة واسعة النطاق لترجمة الكتب اليونانية والرومانية التي ترجمت الى العربية وفقدت نسخها اللاتينية في اوربا، وثبتت شروح وتعليقات المسلمين عليها، ثم نقلت الكتب الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية والفلاحة... واسس مطران ريمندو معهداً للترجمة، وعهد الى مترجمي اليهود ترجمة تلك الكتب، واستمرت عمليات الترجمة ولاسيما في عهد الفونسو العاشر الملقب بالعالم (٦٥٠-٦٨١هـ) الى عصر النهضة.

٤- **التمازج الاجتماعي:** - كان المجتمع الاندلسي خليطاً من المسلمين والمسيحيين واللغتان العربية والرومانية كانتا متداولتين فيما بينهم، وكثير

---

[١] تاريخ العرب وحضارتهم : ٤٧٧ .

منهم كان يكتب باللغتين العربية واللاتينية وحسب مقتضيات ذلك التأليف، وان المطران ريمندو لوليو (٦٣٢-٧١٤ هـ) كان يتقن العربية، وأنه تقليداً للمسلمين دأب على استهلال رسائله باسم المسيح (ع) وانه الف كتابه " الكافر والعلماء الثلاثة " بالعربية اولاً ثم ترجمه بنفسه الى القطلوينة ومنها ترجمت الى اللغات الاخرى.

٥- **التجارة:** - كانت الاندلس بوابة شمال افريقيا في نقل البضائع بين العالمين الاسلامي والمسيحي، وكانت التجارة مزدهرة عبر موانئ وانهر اندلس، وكانت المرية من اكبر المراكز التجارية في المنطقة، تنقل اليها بضائع الشرق من الهند والصين والمشرق الاسلامي وفيها تباع الى تجار الاوربيين ، وكثير منهم كانوا لهم المام باللغات المتداولة، وكان هنالك عرف في حمايتهم حتى في اوقات الحرب، وقد ساهموا في نقل العلوم المختلفة والحرفيين بين المناطق كافة.

٦- **المورسيكيون وتأثيرهم في التمازج الثقافي**: - ونقصد بالمورسيكيين المسلمين الذين بقوا في الاندلس بعد سقوطها عام ١٤٩٢م، والمدجنون هم سكان المدن التي سقطت في نهاية الحكم الموحدي بعد معركة " العقاب " سنة ٦٠٩ للهجرة مثل قرطبة اشبيلية ومرسية..... اضافة الى مدن التي سقطت في عهد المرابطين مثل سرقسطة ومدينة طليطلة التي سقطت في عهد ملوك الطوائف، واصبحت اللغة القشتالية لغة رسمية للدولة، لذلك اخذ المدجنون والمورسيكيون يؤلف كتبهم وقصائدهم باللغات الاسبانية على وفق بحور وقوافي القصيدة العربية أو على وفق قوالب الشعر الاسباني المعروف بالرمانئس، وكان بعضها تقص حياة الرسل والانبياء وتعاليم الاسلام والمدح النبوي، ومن ذلك مخمسة الفها ابراهيم البلغادي، وهو

بصير، يشرح فيها عقيدة الاسلام، ووجود الله تعالى وما قاله في ذلك مترجماً الى العربية: [1]

وحيث اننا نرى في عالم المخلوقات

انه لا فعل بدون فاعل

فمن هذا نفهم بوضوح

ان هذا الكيان الذي نراه

له من غير شك صانع

وكان لهم ادب قصصي في اللغة القشتالية والقتلونية، وروايات شعبية ذات اصل عربي تتخللها قصص الانبياء وسيرة الرسول الاكرم اضافة الى قصص غزلية ذات مضامين صوفية وزهدية، وقصص فروسية مورسيكية وكتب علمية مستلة من الكتب العربية في الطب والنبات والفلك والرياضة... [2].

أثر الأدب الأندلسي على الأدب الأوربي.

١- الشعر الاوربي:

يأتي الاثر الاكبر على الشعر الاوربي من تأثير الزجل والموشح كما يرى المستشرق الاسباني "ريبيرا " الذي درس الاغاني الاسبانية ودواوين شعراء التروبادور وهم الشعراء الجوالون في العصور الوسطى وشعر المنسنجر وهم شعراء الغرام، كما اثبت انتقال بحور الشعر الاندلسي والموسيقى الاندلسية الى اوربا[3] وأنه وجد شعرا غنائيا مكتوبا باللاتينية الدارجة في الأندلس الاسلامية، وان شعراء التروبادور والبروفنسيين قلدوا الوشاحين والزجالين في الاندلس، واعلن غرسيه غومس عن اكتشافه مخطوطة نفيسة لابن بشري الغرناطي تتضمن أربعاً

[1] تاريخ الفكر الاندلسي : ٥٤٩ انخل جنثالث بالنثيا .
[2] للمزيد ينظر : نفسه : ٤٨٥-٥٣٦ .
[3] الفكر الاندلسي : ٥٢٤ .

وعشرين خرجة باللغة اللاتينية، وان شكل القصيدة التروبادورية وأوزانها وقوافيها ولغتـــها مرتبطة بالموشحات، وان موضوعاتها مثل الكورتوزاية والقصيدة الغزلية والألبا "اغنية الفجر "او الصبوحيات والباستوريلا وشعر الرثاء والشعر الديني فيها نفحات من الموشحات[١].

وانتشر شعر المروءة بفضل ترجمة كتاب " طوق الحمامة " لابن حزم وما فيه من الدعوة الى العفة والطهارة اضافة الى تأثير كتب المتزهدة والمتصوفة، ومافكرة الحب النبيل التي تسود الغزل في الشعر البروفنسالي إلا صورة من صور الحب العذري في الادب العربي، وان شخصية الفارس النبيل (جنتلمان) في الادبين الانكليزي والفرنسي هي صورة مماثلة للفروسية الموجودة في الادب الاندلسي[٢] وان سوناتات الادبين الانكليزي والايطالي هي صورة متأثرة بالموشحات.

ويرى احد الباحثين[٣] ان تأثير الادب الاندلسي لم يكن عابراً او سطحياً وانما ادى الى نهضة ادبية كبيرة غيرت واقعه الاغريقي المتعلق بالمأساة والملهاة التي كانت تكتب باللاتينية وبعيدة عن الشعب الى ادب شعبي وطني تكتب باللغات القومية.

وقال انخل جنثالث بالنثيا[٤] ان اوائل التروبادور الفرنسيين استخدموا القوالب الزجلية الاندلسية وتغنوا بغرامياتهم الجارحة للحشمة بنفس الحرية وعدم التحرج التي نراها في شعر ابن قزمان ومن ذلك منظومة للشاعر " كونت بواتيه " وتاريخها ١١٠١ للميلاد، وترجمة مطلعها:

إنّ لي شوقاً في الغناء

ولهذا سأنظم أنشودة أتغنى فيها بآلامي

ولكنني لن اكونَ عاشقا

---

[١] الفكر الاندلسي الاسلام والحضارة الاسلامية : ١: ٣٤٦ ، محمد كرد علي .: ٥٢٤ .

[٢]

[٣] العرب والحضارة الاوربية : ٣٢ ، محمد مفيد الشوباشي .

[٤] الفكر الاندلسي : ٦١٥ .

فانه اتبع نظام الموشحات في التعدد القوافي بين القفل والادوار، ومنه انتشرت القافية المعروفة بتشابك القوافي في الادب الحديث، كما ظل نظام الطراز الشعري ذي الاغصان في صناعة الالحان والمعروفة عندهم بالروندو، و هي ترجمة للفظ العربي "نوبة " أي نظام تعاقب الفريقين او مفرد ومجموعة على الغناء، وتعد ايطاليا الدولة الثانية في تأثر ها بالقوالب الشعرية الاندلسية، وقد بلغ اتصال صقلية بالثقافة الاسلامية اوج الاندماج حتى بعد استردادها سنة ٤٨٤هـ كما بين لنا ذلك ابن جبير في رحلتـه

وتوصـل الباحـث مليـاس فاليكروسـا وجـود موضـوعات فـي الشـعر الايطـالي تخص الشعر الشعبي الاندلسي، وان الشعر الديني الايطالي المسمى " باللاودس " هو زجل اندلسي صرف أو محور قليلا ومثله البالاتا " المرقصات " و هو شعر في احسن صوره والمدائح المقدسة والمديح الالهي التي كانت تغني في الكنائس صورة للمدائح النبوية وقصائد الزهد التي انتشرت في الاندلس[١].

بينما ترى ماريا خيسوس روبيرا متى في حديثها عن قصيدة ابي البقاء الرُندي الذي يبكي فيها ضياع المدن الاندلسية الكبرى ويتناول فناء الدول الغابرة التي ترجمت الى الاسبانية والالمانية بداية لظهور الاغنيات الاسبانية ذات الفواصل فيما يسود فيها من توافق واشتراك في الرؤية الفكرية الايدلوجية امام الموت المتصل بموضوع الفناء والعدم [٢].

وهنالك كتاب بعنوان " رباعيات حاج بوي مذثون " و هو لرجل مورسيكي مسلم من قرية على حدود قطلونية، نظم رباعيات في شعر قشتالي يتكون من مقطعات، كل مقطعة تتكون من ثمانية ابيات، يصف رحلته الى الاراضي المقدسة

---

[١] نفسه : ٦١٩ .
[٢] الادب الاندلسي : ١٤٥ ، ماريا خيسوس .

في الحجاز، ويتناول يوم القيامة والحساب وعن يوم الحشر يقول مترجماً الى العربية[1]: -

هناك رجالاً ونساءً

سنحشر معاً جميعاً

ومن الاعمال الصالحة التي عملناها

سنجزي جزاءً طيباً

ولن ينال احد عقابا

إلا بحساب عادل

وعلى قدر اعمالنا سيكون الجزاء

علما بان النص القشتالي في هذه المقطعة تنتهي بحرف (س) اللاتيني.

لقداعتنق عدد من الاسبان الدين الاسلامي، ونظموا قصائد بقوالب شعر الاغاني الاسبانية التي كانت شائعة في ذلك العصر، ومن ذلك ما نظمه المعلم خوان الفونسو الذي هاجر الى الجزائر لكي يمارس شعائره بحرية وترجمة مطلعها[2]: -

ايها الغراب الاسباني الملعون

يا ناشر الوباء، ايها السجان البغيض

ها أنتَ واقف برؤوسك الثلاثة

على ابواب الجحيم

وفي موضوع متصل، اشتهر الاندلسي في عصر دولة غرناطة بمقطعات شعرية في الحكمة والموعظة وقد تطرقنا الى هذا الموضوع في موضوع الحكمة

---

[1] الفكر الاندلسي : ٥٢٤ .

[2] نفسه : ٥٢٠ .

والزهد واشرنا الى تحقيقنا لكتب ابن ليون التجيبي (ت٧٥٠هـ) وانتقل تلك المقطعات وغيرها الى اسبانيا في ايام فرناندو الثالث والفونسو العاشر، ونظمت شعراً ونثراً ومن ذلك كتاب " العلماء الاثني عشر " وكتاب " في الذيل والاخلاص " وكتاب زهور الفلسفة، وهي مجموعة من اقوال مأثورة تنسب الى سنيكا وكتاب " الامثال الطيبة " وهو مجموع من الامثال ترجمت من كتاب " حكم الفلاسفة " لحنين بن اسحاق، وكتاب: نصائح الملك سانشو " هو ترجمة لكتاب " واسطة السلوك في سياسة الملوك " لابن يوسف ملك تلمسان.... وغيرها[١] وان الكنتيجات ومعناه " الاغاني " بالاسبانية، والمنسوبة الى الفونسو العاشر تتكون من (٤٢٠) قطعة شعرية في مديح العذراء، وقد اظهر ريبيرا ان معظمها من طراز الازجال، وان كانت الخرجة تنظم في بعضها على قافية سابقة وعدد مقطعاتها احياناً تتجاوز اربعة وعشرين بيتاً مما لا نجد لها مثيلاً في الاداب الاوربية الاخرى، ومن المقطعات التي استند عليها ريبيرا في دراسته للموسيقى " انشودة العربيات الثلاثة " التي نجدها في ديوان الشاعر بلاثيو وترجمتها تبين تغلغل التأثير العربي على الشعر الاوربي، وامتداد زمان الوصل بوشائجه الاجتماعية الى مابعد السقوط، منها[٢]: -

عشقت ثلاث فتيات عربيات في جيان

عائشة وفاطمة ومريم

ثلاث عربيات بالغات الجمال

ذهبن يجمعن الزيتون

فوجدنه قد جمع في جيان

عائشة وفاطمة ومريم

---

[١] الفكر الاندلسي : ٥٧٧ .
[٢] نفسه : ٦٢٧ــــ٦٢٨ .

٢- اثر اللغة العربية على اللغة الاسبانية وغيرها.

دخلت بعض الكلمات مباشرة من العربية الى اللغات الاوربية، ودخل بعضها عن طريق اللغة الاسبانية او اللاتينية النتي كانت لغة العلم والادب في تلك العصور، مما يدل على تغلغل الحضارة الاسلامية في اللغة العلمية في اوربا وفي شؤون المعيشة التي تلازم المرء في بيته وفي موطن عمله، وفي جده ولهوه [١] وهنالك دراسات كثيرة في رصد اثار اللغة العربية في اللغتين الاسبانية والبرتغالية، منها ما قام به فرانشيسكو مارينا سنة ١٨٠٥ حيث احصى الالفاظ القشتالية ذات الاصل العربي، والمعجم اللغوي الذي اعده دوزي وانجلمان بعنوان " معجم الكلمات الاسبانية والبرتغالية المشتقة من العربية " وصدرت سنة ١٨٦١م ، والف " ايكيلاث " معجم اشتقاقي للكلمات الاسبانية ذات الاصول الشرقية في سنة ١٨٨٦م ودراسة المستشرق ليفى بروفنسال عن اثر العربية في اللغة الاسبانية وهما في الاصل محاضرات القاها في الجامعة المصرية سنة ١٩٣٨م[٢] ورأى د. حكمت الاوسي في بحثه التأثير العربي في الثقافة الاسبانية[٣] واثناء دراسته هناك، ان اللغة الاسبانية وجدت نفسها مضطرة ان تأخذ من اللغة العربية لتستطيع التعبير عن المفاهم الجديدة والآلات والحرف التي دخلت اوربا، وان هذه التأثيرات ظاهرة في اخلاق القوم وطباعهم وعاداتهم وفي دمائهم وسحناتهم وفي لون بشرتهم ويشير د. عبد الرحمن الحجي ان الاسبان تبنوا طواعية بعض العادات الاسلامية كالختان وعدم اكل لحم الخنزير وتسموا بالاسماء الاسلامية[٤] وان اكثر من اربعة الاف كلمة وتمثل ١٧ % من مفردات اللغة الاسبانية ذات اصل عربي[٥] منها تركيبات وصيغ لغوية ترجمت حرفياً عن العربية وبعضها حدث فيها التقليب والتغيير بما يناسب اللكنة الاسبانية

---

[١] تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس : ٤٨٦ .
[٢] الادب الاندلسي : ٣٥٢ ، منجد .
[٣] التأثير العربي في الثقافة الاسبانية ، سلسلة الموسوعة الصغيرة (١٥٢)
[٤] تاريخ الموسيقى الأندلسية : ١١٢ ، عبد الرحمن الحجي ، دار الارشاد ، بيروت ، ١٩٦٩ .
[٥] فصول في الادب الاندلسي : ١٤٦ .

ومن تلك الالفاظ التي ما تزال مستخدمة في اللغة الاسبانية، المصطلحات المتعلقة بالتنظيمات العسكرية، الفارس، الملازم، الطليعة الساقة والمؤخرة والالفاظ الزراعية من المقاييس والموازين وصيد البحر ومعاجم الذبات والملابس والاحذية والالات الموسيقية مثل العود والقيثارة والربابة والنقارة... ويشير المستشرق مونتكمري واط[1] بشكل تفصيلي الى تلك الالفاظ، وان اللغة المالطية اكثر من نصف مفرداتها ذات اصول عربية كما نجد ذلك في اللغات الاوربية الاخرى، مثل كلمة ال كحول في اللغة الانكليزية على سبيل المثال.

٣- اثر القصص الشرقية على القصص الاوربية:

يقول المستشرق رينان " ان اوربا استوردت من العالم الاسلامي قصصه ورواياته وحكمه وامثاله " ويقول جاستون باري: " ترجم عدد من القصص العربية الى الفرنسية والالمانية والايطالية والانكليزية وغيرها من اللغات الاوربية، وتولدت منها سلسة طويلة من الروايات بل هناك مجموعة كاملة من قصص عربية الاصل انتقلت الى اوربا"[2].

ويقول ادخل جنثالث بالنثيا: أول ما ذاع في بلاد النصارى اثناء العصور الوسطى من القصص المستقاة من اصول عربية هو كتاب " أدب العلماء " الذي الفه بدرو الفونسو واصله يهودي من اندلس، اذ الفه اول مرة بالعربية ثم ترجمه الى اللاتينية بنفسه ثم ترجمت الى اللغات الاخرى، ويورد في الكتاب ثلاثاً وثلاثين اقصوصة شرقية مأخوذة من حكايات حنين بن اسحاق وكليلة ودمنة والسندباد، واستعمل فيها الخرافات والامثال، وعلى غراره أُلف عشرات الكتب[3] والمجموعة القصصية تصدر عن رجل على فراش الموت يوصي ابناً له ويعظه، ومنهجه شبيه

---

[1] تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى : ٤٢ ، مونتكمري واط ، ترجمة د. عادل نجم عبود ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨٢ .

[2] الادب الأندلسي : ٣٦٠ ، د. منجد .

[3] الفكر الاندلسي : ٥٧٩ .

بكتاب " الامتاع والمؤانسة " لبديع الزمان الهمذاني وقصص الف ليلة وليلة، لذلك يمكن تصنيف القصص التي تركت أثاراً على القصص الاوربية بما يأتي: -

١- القصص الوعظية:

- يعد كتاب كلية ودمنة من أهم الكتب الشرقية التي انتشرت في اوربا، و هي مجموعة من الحكايات الخرافية الهندية، جمعها برزويه طبيب انوشيروان ملك الساسانيين كسرى الاول (٥٣١-٥٧٠م) ونقله الى العربية الاديب عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ) ومن العربية نقل الى اكثر من أربعين لغة وهو مجموعة قصصية متصلة بعضها ببعض على ألسنة الحيوان.

ومنه ألف الأوربيون قصصاً كثيرة مستوحاة منها كمجموعة لافونثين المنشورة سنة ١٦٧٨ وقصص أخرى كثيرة، كما أنهم قاموا بترجمة " رسائل اخوان الصفاء " و هي مجمو عة رسائل تتكون من أحدى وخمسين رسالة نشروا آراء هم خلالها وفيها حوار على ألسنة الحيوان مثل كتاب " مجادلة الحيوانات لبني آدم "

٢- القصص الخرافية:

أ - **قصة السندباد:** وهي من اصل هندي وانتقلت الى اوربا من غربي اوربا عن طريق الترجمة اليونانية نقلاً عن السريانية وعرف باسم السنتيباس ومنه نقلت " قصة الوزراء العشرة " وحكاية " علماء روما السبعة، وترجمت الى القطلونية شعراً في القرن الخامس عشر وفي سنة ١٢٥٣م ترجمت الى الاسبانية وعرفت بـ " مكائد النساء وحيلهن " وذاعت شهرتها والفت على غرارها عشرات القصص نثراً وشعراً [١].

ب - **قصة الف ليلة وليلة:** و هي قصص من اصل هندي ترجمت الى البهلوية بأسم " هزار افسانة " أي الف خرافة او اسطورة وانتقلت الى الادب العربي وغُلفتْ باجواء بغدادية ومصرية في العصر الوسيط، وقد ترجمهاالى الفرنسية جالان

[١] لمزيد عن هذه القصص ينظر : الفكر الاندلسي : ٥٨٤ .

في أوائل القرن الثامن عشر بينما وصلت مجموعة من قصصها الى اوربا عن طريق الاندلس، وتواترت هذه القصص في سلسلة من الكتب الشعبية، واحتلت مكانة مهمة في تاريخ الادب الاوربي بما يصوره عن الشرق الغامض الساحر، والشرق الذي يزخر بالسحرة والجن والكنوز والمغامرات الرائعة والخيال المفرط[١] كما ترجمت قصة زياد الكناني التي الفت بعد عصر المرابطين، من قبل فرانسيسكو فرناندو اعتماداً على مخطوطة مكتبة الاسكوريال وعنوانه الكامل " كتاب فيه حديث زياد بن عامر الكناني وما جرى عليه من العجائب والضرايب بقصر اللولب وبحيرة العجب " وهي قصص في الفروسية.

٣- قصص الشطارة:

لاقت مقامات الهمذاني والحريري ذيوعاً كبيراً في الاندلس وتناقلها الناس ضمن قصص الصعاليك المعروفة بـ " البيكار سيكي " في الادب الاسباني وهي قصص في العادات والتقاليد للطبقة الدنيا من المجتمع، وذات ضبغة هجائية محورها كسب الرزق[٢].

٤- قصة بوذا:

لم يصل احد الى معرفة الاصول العربية لقصة بوذا التي نشأت عنها فيما بعد قصة " بَرْلعام ويواصف " ويقول انخل بالنثيا ان اصل القصة ربما مأخوذة من اليونانية في الكتاب المسمى " ابن الملك والدرويش " الذي كتبه اليهودي البرشلوني ابراهام ابن حسداى في القرن الثالث عشر للميلاد، وربما لها علاقة بترجمة القصص الوعظية التي اشرنا اليها[٣].

٥- قصة حي بن يقظان لابن طفيل (ت٥٨١هـ):

---

[١] للمزيد عن ذلك ينظر : الف ليلة وليلة بين الادبين العربي والفارسي، محمد غنيمي هلال ،والادب المقارن،فسه: ٣١٧ ، ط١ ، دار العودة ، ١٩٨١ .

[٢] للمزيد ينظر : نفسه : ٢١١ .

[٣] تاريخ الفكر الاندلسي : ٥٨٥ .

وترجمت سنة ١٣١٤م الى العبرية من قبل موسى الارجوني ومن ثم الى اللاتينية واللغات الاوربية وتأثيرها واضح في قصة روبنسو كروزو التي ألفها دانيال دي فو وقصة " كريتيكون " لجراسيان، وقصة ابن طفيل قصة فلسفية ادبية لان صاحبها كان شاعراً وطبيباً وفيلسوفاً وفلكياً، وتوصل الى معرفة الخالق من خلال التشريح والتجريب والى اكتشاف العناصر الاربعة للحياة وهي التربة والهواء والنار والماء وخلاصة القصة، وجد طفل رضيع في صندوق تحمله الامواج الى شاطئ جزيرة نائية ويستقر على الارض وقد تصدعت جوانبه، ويتحرك الطفل فتعطف عليه غزالة وتتبناه، ويكبر الطفل شيئاً فشيئاً وكان قوي الملاحظة فيقارن نفسه بالحيوانات ويستر نفسه باوراق الاغصان ومن ثم بالجلود ويتوصل الى العصي للدفاع عن نفسه وعندما تموت الغزالة يقوم بتشريح صدرها ويتوصل الى القلب مركز الجسم وإن "الذات " او "الروح " التي خرجت من الغزالة هو سر الحياة ويهتدي ببصيرته الى النار والى بدائع خلق الله ومن ثم يتوصل عن طريق المنطق الى وجود الله تعالى، ثم يفد اليه رجل اسمه " أبسال " من جزيرة اخرى وكان ورعاً زاهداً فيعلمهُ اللغة، ويحدثه عن سكان الجزيرة المجاورة ويذهبان اليها لارشاد الناس دون جدوى ويتفقان العودة الى جزيرته والاستغراق في حياة التأمل والعبادة، وهي قصة ادبية فلسفية، تختلف عن قصة شيخه ابن سينا التي تحمل الاسم نفسه بان الاخيرة قصة فلسفية رمزية صرفة تتعلق بالعقل والغرائز كما تختلف عن قصة السهروردي (ت٧٥٨هـ) التي تحمل الاسم نفسه المبنى على التصوف ومبادئها.

ودرست قصة حي بن يقظان في مدارس اللاهوت في اوربا، وذهب غرسيه غومس الى أنه عثر على مخطوطة مورسكية تعود الى القرن السادس عشر في مكتبة الاسكوريال بعنوان " قصة الصنم والملك وابنته " مكتوبة بحروف لاتينية ارغونية ضمن قصص كثيرة عن الاسكندر المقدوني[1]، وهي تشبه قصة حي بن

[1] حي بن يقظان ، لابن سينا وابن طفيل والسهروردي : ١٦ ، تحقيق وتعليق : احمد امين منشورات دار المدى للثقافة والنشر ، ٢٠٠٥ ، الطبعة الاولى صدرت عام ١٩٤٧ .

يقظان من وجوه عدة وتوظيفهما مختلفان والاخيرة فيهما تفصيل عن سبب القاء الطفل في الصندوق الماء لانه كان ثمرة علاقة غير مشروعة بين أخت الملك وابن احد وزرائه، وموضوع القاء طفل في صندوق في ماء ورد في قصة موسى (ع) مع فرعون، وتكمن اهمية قصة حي بن يقظان في حسن توظيفه لبقاء الصبي في الجزيرة وادراكه العقلي وما دار بينهما من حوار النفس باسلوب ادبي رائع.